



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
مخبر تحديث النحو العربي

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الدراسات اللغوية
بعنوان

اللفظ والمعنى عند الخطابي

- دراسة دلالية في رسالة بيان إعجاز القرآن -

إعداد الطالبة: عائشة حمداوي إشراف الدكتور: سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد الجليل مصطفىاوي
مقررا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي
مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد القادر سلامي
مناقشا	المركز الجامعي مغنية	أستاذ محاضر "أ"	د. سعيد بن عامر
مناقشا	جامعة وهران 01	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد الحليم بن عيسى
مناقشا	جامعة تيسمسيلت	أستاذ محاضر "أ"	د. الحاج لونيس بلخياطي

العام الجامعي: 1442/1443 هـ _ 2021/2020 م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مخبر تحديث النحو العربي

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الدراسات اللغوية

بعنوان

اللفظ والمعنى عند الخطابي

- دراسة دلالية في رسالة بيان إعجاز القرآن -

إعداد الطالبة: عائشة حمداوي إشراف الدكتور: سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد الجليل مصطفىاوي
مقرا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي
مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد القادر سلامي
مناقشا	المركز الجامعي مغنية	أستاذ محاضر "أ"	د. سعيد بن عامر
مناقشا	جامعة وهران 01	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد الحليم بن عيسى
مناقشا	جامعة تيسمسيلت	أستاذ محاضر "أ"	د. الحاج لونيس بلخياطي

العام الجامعي: 1442/1443 هـ _ 2021/2020 م



الإهداء

أهدي هذا العمل إلى والديّ
الكريمين، وزوجي الفاضل، وأبنائي الأحباء،
وإخوتي الأعزاء، وأساتذتي الأجلّاء، وأهديه
إلى كل متوسّم بالقرآن الكريم.

عائشة حمداوي

شكر وتقدير

بعد حمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا
فيه، أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور:
سيدى عبد الرحيم مولاي البوخيلى الذى تابع
موضوع هذا البحث بالإشراف والتوجيه مذ كان
فكرة إلى أن استوى على سوقه، كما أشكر
اللجنة المناقشة رئيسا وأعضاء على ما تبشّموه في
سبيل قراءة هذه الرسالة بغية تقويمها وإثرائها،
شكر الله سعيكم أساتذتي الأفاضل، وبارك فيكم،
والحمد لله أولا وأخيرا.

عائشة حمداوى

المقّدمة

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه
أجمعين، وبعد:

فإنّ القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى، وكتابه المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،
وهو المعجزة الخالدة التي تكفل الله جلّ في علاه بحفظها إلى أن يرث الأرض ومن عليها.
هذه المعجزة التي صنفت الكثير من الكتب فيها، وكانت سببا في نشأة علوم جمّة وجليلة كالنحو،
والبلاغة، والكلام، والفقه وأصوله ...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه: " إنّ هذا القرآن أنزل أمرا وزاجرا وسنة خالصة، ومثلا
مضروبا، فيه نبؤكم وخبر ما قبلكم، ونبا ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يُخلّقه طول الردّ، ولا تنقضي
عجائبه، هو الحقّ ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم
به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره
أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والتور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله
المتين، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتّبعه، لا يعوجّ فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه،
ولا يخلق على كثرة الردّ. " (أخرجه الترمذي في سننه)

ولا تجتمع هذه الصفات والخصائص إلا في كتاب معجز منزل من عند الله وحده، فمنذ الفترات الأولى لتبليغ كلام الله وقع العرب في حيرة منه، فمنهم من قال إنه سحر، وهناك من وصفه بالشعر، وآخرون حسبوه أساطير الأولين، لكونه كلاما غير عاديّ، هذا الوصف المقترن بالدهشة من كلام الله، وهذا الاستغراب منه بالمقارنة مع كلام البشر، جعل العرب وقتئذ يقفون منه موقف الجهل به، كمن يجهل قول السحرة الغامض، أو يستصعب أساطير الأولين التي تبعد عن زمانهم أزمانا فلا يفهمون فحواها، وتلبس معانيها، وتغلق مفاهيمها نظرا لقدمها، أو قد يلحقوه بالشعر، لتذوّقهم جماله بسليقة عربيّة سليمة راقية، وما هو بالشعر.

هذا الرجوع إلى الذات والاعتراف بالجهل أمامها هو الذي أثبت عجزهم منذ البداية، وأثبت جانبا من إعجاز القرآن الكريم بالمقابل منذ الوهلة الأولى، بعدما انهالت عليهم الأسئلة الداخليّة عن حقيقة هذا القرآن، ومحاوله معرفة طبيعته ومصدره، لكونه مختلفا عن كلامهم المعهود، وامتنح جهلهم بالإقرار بجمال لغة القرآن الكريم، دون إدراك مكن هذا الجمال، فما ملكوا إلا إصاق صفة الشعرية به.

وعدم إدراك مصدر اختلاف القرآن مع الاعتراف بجماله فتح الباب مشرعا للبحث فيما سمي لاحقا: إعجاز القرآن الكريم.

إنّ هذه المسألة ذات ثقل كبير، حيث أسال السؤال البارز: ما هي أوجه الإعجاز القرآني؟ الخبر الكثير، فتنوّعت الآراء فيه، وتباينت المذاهب حوله، ومازالت أبواب البحث في موضوعه مفتوحة إلى يوم الناس هذا.

والمعارف عليه أنّ موضوع إعجاز القرآن الكريم متشعب ومحلّ اختلاف بين العلماء، فهناك القائلون بالإعجاز بالصّرفة، ومنهم القائلون بالإعجاز العلميّ، وبعضهم قال بالإعجاز الغيبيّ، وقال جلّهم بالإعجاز البلاغيّ أو اللّغويّ، وحقّقتهم في ذلك أنّ القرآن الكريم نزل في بيئة عربيّة على قوم فيهم الخطباء المصاقع، والشّعراء المفلقون فأبهرهم وأعجزهم، وتوقّفت بلاغاتهم أمام سموّه ورقّيه، وعليه فمنبع إعجازه بلاغته ولغته السّامية.

ومن أصحاب هذا الرّأي من ذهب به الفخر بلغة القرآن إلى حدّ التّباهي بالعربيّة والزّهو بها، والقول بأنّها أفضل اللّغات وأحسنها، على حساب الانشغال بكلام الله نفسه. وإنّما امتحنت اللّغة العربيّة الشّرف والرّقي من القرآن الكريم إذ نزل بها.

وعليه فإنّ البحث في إعجاز القرآن الكريم ثريّ ومجاله خصب، لأنّ علماء العربيّة وجّهوا اهتماما وعناية كبيرين له، فألّفوا فيه كتبا ورسائل جمّة، خدمة لكتاب الله العزيز.

ومن المتخصّصين من يعدّ الإعجاز علما قائما برأسه فيسمّيه: "علم الإعجاز"، واشتهر الكثيرون من أعلامه منذ الجاحظ والرّماني، والخطّابي والباقلاني، والرّافعي، وعائشة عبد الرّحمن وغيرهم.

غير أنّ الخطّابي صاحب رسالة بيان إعجاز القرآن كان له قدم السّبق في رسالته بيان إعجاز القرآن، حيث يمكن أن نقول: "إنّه في رسالة البيان بطرحه العلمي الرائد كان المؤسس الأوّل لعلم إعجاز القرآن"

إذ يستشعر الباحث ذلك من عنوان الرسالة، فهو يحاول تبين ما لحق هذا الموضوع من غموض، بعدما اختلفت الآراء فيه، وتعددت الأقوال حوله، ممّا يوحي بأنه سيأتي فيها بالقول الواضح البين لموضوع إعجاز القرآن.

وقد عني الباحثون بدراسة "رسالة بيان إعجاز القرآن"، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ جلّ الكتب والبحوث التي تتحدّث عن تاريخ الإعجاز والتأصيل له لا بدّ أن تذكر هذه الرسالة، وتستشهد بأقوال الإمام الخطّابي لأنّها من المصادر الأولى والمهمّة في الإعجاز، وقد خصّ البيان بكتب ودراسات سابقة أفردت له نذكر منها: البلاغة القرآنيّة عند الإمام الخطّابي لصباح عبيد دراز، وهو عنوان مقال للدكتور عبد الجليل مصطفى، ونظريّة النّظم عند الخطّابي في معايير النّقد الحديث والنّقد الحدائثي لنبييل قصاب باشي، وإعجاز القرآن الكريم في مرحلة التّعميد والتنظيم والترتيب عند الخطّابي لفاضل عبد العباس محسن النعيمي، ورسالة ماجستير نوقشت العام الماضي (2020م) بمكّة المكرمة عنوانها: آليات البناء الحجاجي عند الخطّابي في بيان إعجاز القرآن للباحث: أحمد بن عبد السلام العمري، بإشراف الدكتور: أبو بكر هاني فراج.

والملاحظ أنّ عناية الباحثين انصبّت حول وجوه الإعجاز القرآني والبلاغي خاصّة في رسالة البيان، ونحن في هذه الرسالة نحاول تتبّع طرح الخطّابي لموضوع اللفظ والمعنى، هذه الثنائيّة التي جعل منها اللبنة الأولى، والرّكيزة الأساسيّة لدراسة موضوع الإعجاز كاملا، حيث عني باللفظ والمعنى عناية كبيرة، يجعلهما

المنبع الأول لوجوه الإعجاز القرآني الذي سعى إلى بيانه، ومن هذا تتضح أهمية اللفظ والمعنى في رسالة البيان.

وخدمة لهذا الغرض اخترنا عنوانا للبحث هو: " اللفظ والمعنى عند الخطابي -دراسة دلالية في رسالة بيان إعجاز القرآن".

فمن خلال رسالة بيان إعجاز القرآن نريد معرفة كيفية تناول الخطابي موضوع الإعجاز القرآني استنادا إلى اللفظ والمعنى، وسيكون الموضوع دلاليًا وليس نقديًا، خصوصا وأن علم الدلالة في أبسط تعريفاته هو العلم الذي يدرس العلاقة بين اللفظ والمعنى.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع لدوافع ذاتية وعلمية، فالعلمية هي طبيعة التخصص في الدراسات الدلالية العربية في مرحلة الماجستير، والذاتية هي الرغبة الجارحة في معرفة مكونات كلام الله تعالى، وإعجازه، ودلالاته، وعجائبه التي لا تنقضي، إضافة إلى الميل لدراسة المصنفات والكتب التراثية القديمة، وحب التعرف على مواطن التميز فيها.

ولعل أبرز إشكالية يمكن طرحها في هذا البحث هي: ما هو اللفظ والمعنى، وما هي صلتها عند الخطابي؟ كيف ارتبط اللفظ والمعنى بإعجاز القرآن عنده؟

وما هي انعكاساتهما الدلالية على موضوع الإعجاز القرآني في رسالة بيان إعجاز القرآن؟

ونسعى إلى الإجابة عن هذه الأسئلة مستندين إلى:

- المنهج التاريخي أثناء تعريفنا للخطابي وعصره، والتأصيل لبعض المصطلحات.

- المنهج التحليلي عند تحليل أقواله، ومصطلحاته.

- المنهج الوصفي أثناء وصف آراء الخطابي وما اتّصل بها.

وقد وضعنا لهذه الرسالة هندسة تضمّنت خمسة فصول، سبقت بمدخل تأصيلي للإعجاز القرآني،

وذيّلناها بخاتمة ضمّت أهمّ النتائج المتوصّل إليها.

فأمّا الفصل الأوّل فعنوانه: الخطابي ورسالته بيان إعجاز القرآن، واحتوى على: ترجمة الإمام الخطابي

ووصف أوّل رسالة بيان إعجاز القرآن، وقراءة في مقدّماتها، وأمّا الفصل الثّاني فوسمناه: مقوّمات الكلام

وأجناسه عند الخطابي، وضمّ ثلاثة مباحث هي: أصل اللّغة، ومقوّمات الكلام، وأجناس الكلام،

والفصل الثالث عنوانه: عمود الإعجاز القرآني عند الخطابي، انضوت تحته مباحث هي: البلاغة عند

الخطابي، وعمود البلاغة القرآنيّة، والأصول الدلاليّة للإعجاز القرآني، وفي الفصل الرّابع تطرّقنا لدراسة

إعجاز الإعجاز عند الخطابي، فأجاب مبحثه الأوّل عن السّؤال الثّاني: ما هو الإعجاز التّأثيري للقرآن

الكريم؟، وبين المبحث الثّاني إعجاز الإعجاز، وعالج مبحثه الثّالث الوشائج الرّابطة بين اللفظ والمعنى

وإعجاز الإعجاز، وأمّا الفصل الخامس فخصّصناه لآفاق وجوه الإعجاز الخطابيّة، وفيه تناولنا أنواعا

من الإعجاز ذكرها الإمام الخطابي مبثوثة في رسالة بيان إعجاز القرآن، وتبلورت بعد ذلك في شكل

وجوه جديدة للإعجاز القرآني، تماشياً مع التطور العلمي، ومتطلبات الأزمنة المتجددة، فكان الحديث فيه عن الإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي، والإعجاز النفسي.

وألحقنا بالرسالة وثائق مصورة أدرجناها في متن الرسالة منقولة كتابة، وفضلنا ضمها في ملحق يثبت بعض ما تم استعماله من تلك الوثائق المصورة، والتي لم تصدر متونها في كتب ومؤلفات منشورة، بل مازالت مخطوطة، وإنما نشرها مؤلفوها على صفحاتهم الرسمية أو مواقعهم الإلكترونية، فاستندنا إليها نظراً لأهميتها العلمية الكبيرة، وجدتها في الطرح، مما يوجب الاستفادة منها، ونسبتها إلى أصحابها من باب الأمانة العلمية.

ولعل أهم مصدر اعتمد عليه هو: رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي بما أتمها المدونة محل الدراسة، وشرح رسالة بيان إعجاز القرآن لعمر محمد عمر باحاذق.

إذن هذا البحث محاولة لتتبع اللفظ والمعنى تتبعاً دلاليًا، وارتباطهما بالإعجاز القرآني في رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي.

وتجدر الإشارة إلى أننا في سياق البحث لم نستند إلى مقاربات علمية مقارنة لما ورد في رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي بخصوص اللفظ والمعنى، وبين النظريات اللسانية الغربية الحديثة والمعاصرة التي اهتمت بقضية اللفظ والمعنى، حيث فضلنا أن تكون الدراسة تراثية أصيلة، مجانية لإسقاط محتويات النظريات اللسانية الغربية على التراث اللغوي العربي، خصوصاً وأن البحث يخص إعجاز كلام الله تعالى: القرآن الكريم، ولم نجد ملاذاً يعبر عما ذهبنا إليه، أحسن مما قاله العالم اللغوي المعاصر الدكتور:

سعد عبد العزيز مصلوح، في ستّ تغريدات وجهها لنا _نحن الباحثين_ على حسابه الشخصي في "تويتر"، نشرها يوم 04 مايو 2021، وكان عنوان التغريدات الستّ "الدراسات القرآنية ونحو النصّ"، يقول فيها: "منذ أن دعوت مع الدّاعين إلى أن نوليّ وجوهنا شطر اللّسانيّات النّصيّة تجديدا للمنظور البحثي اللّسانيّ، نسلّ الدّارسون من كلّ حدب إلى هذا المجال، فكانت بحوث وأطاريح يُخطئها الحصر من مشارق الجامعات العربيّة ومغارها اتّخذت من القرآن موضوعا للتّطبيق... إنّ الجهود التي تلمس وجوه التّوافق بين النّظريّات الوافدة والقرآن تخدم النّظريّات بأكثر ممّا تخدم القرآن، وأكثرها ينتهي إلى غاية مفروغ من صحّتها، ونتائج خلاء من أيّ مفاجأة، وربّما تتدبّى منزلتها من صفة البحث العلميّ الكاشف إلى صفة المثال الشّارح، هذا بلاغ من ناصح أمين، أسأل الله أن يكون فيه منفعة للباحثين".

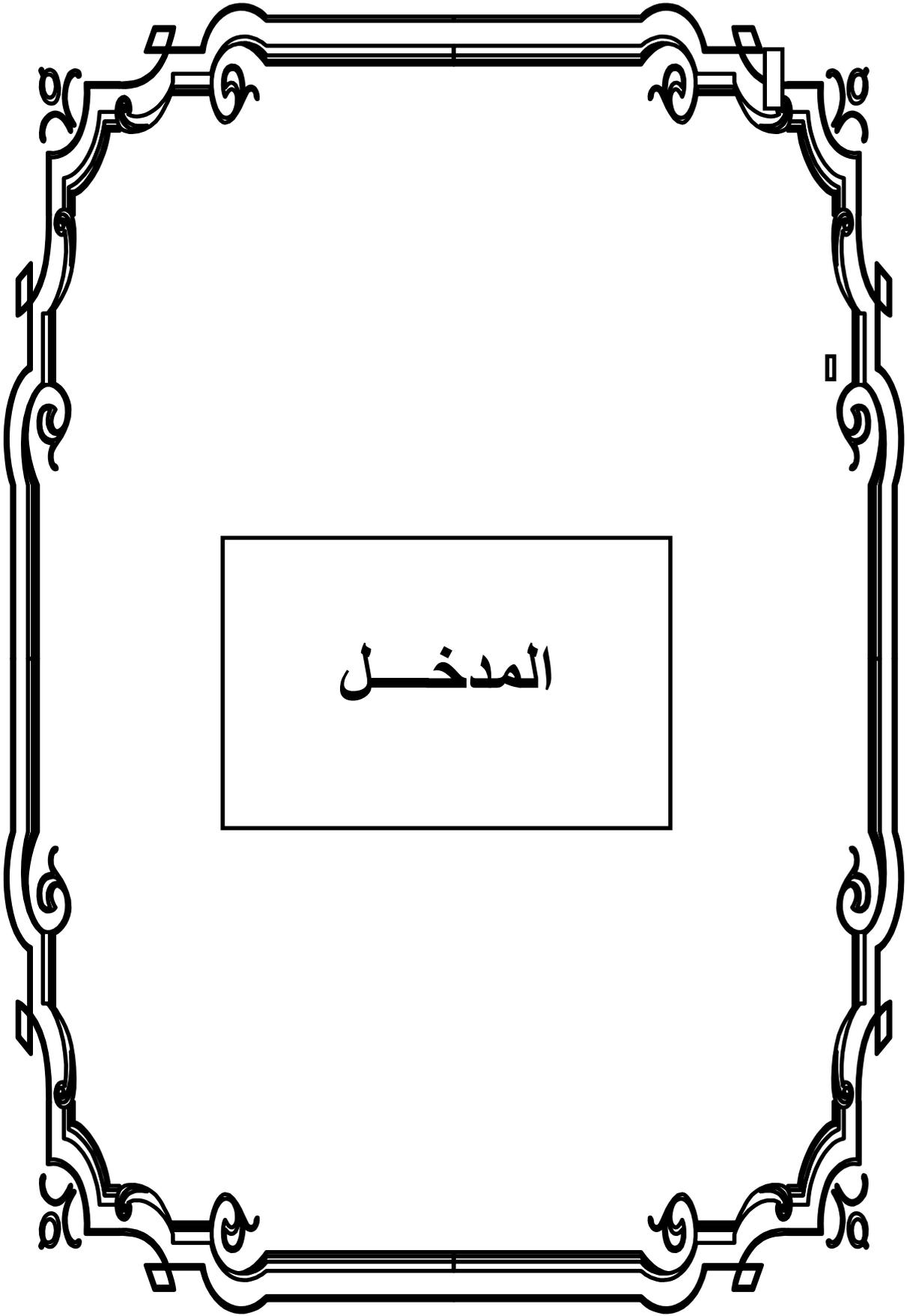
إنّ توجّه الدكتور سعد مصلوح بهذه النّصيحة الثّمينة للباحثين -التي تكسو لغتها مسحة قرآنيّة بهيّة - يوحى بحساسيّة البحث اللّغوي الذي يتخذ الدّراسات القرآنيّة مجالاً له، ممّا يتطلّب الجدّية والاحتراز، والتّحلّي بالدقّة العلميّة، والعمل على أن تكون البحوث العلميّة في هذا المجال بحوثاً كاشفة لمكونات القرآن الكريم، وإعجازه وعلومه الزّاهرة التي لا تنضب، بدل الاكتفاء بإسقاط النّظريات اللّسانيّة الغربيّة عليه، والانكفاء عليها، فلا يعدو أن يكون مثالا شارحا لها، ممّا لا ينفع الباحث في شيء، وقد يؤدّي به إلى الزّلل.

في الأخير نأمل أن تحظى هذه الدّراسة بالتّوفيق _فالتّوفيق من الله وحده لا شريك له_ ولا يفوتني في هذا المقام الكريم أن أتقدّم بجزيل الشّكر وجميل الثّناء لأستاذي الدكتور:

سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي لقبوله الإشراف على هذه الرسالة، ومتابعته هذا العمل بالتوجيه العلمي السديد، وكذلك عهدناه ناصحا مرشدا منذ أن درّسنا في مرحلة الليسانس مقياس منهجية البحث والتحقيق، فبتّ فينا حبّ العلم والعلماء، وقراءة الكتب التراثية الزاخرة، كما أشكر السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذا البحث، وإثرائه بالملاحظات والتقويمات الدقيقة، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

الباحثة: عائشة حمداوي

تلمسان يوم: الاثنين 05 شوال 1442هـ / 17 ماي 2021م



المدخل

المدخل: الإعجاز القرآني... نظرة تأصيلية

يرجع الأصل المعجمي للفظ القرآن إلى المادة اللغوية: (ق ر أ)، والفعل الثلاثي قرأ بمعنى جمع وضمّ ومصدره القرآن¹، ومن أقوال العرب: ما قرأت هذه الناقة سلى، أي ما ضمّ رحمها جنينا². كما يعني القراءة والتلاوة، فالقارئ هو التالي، تقول العرب: " قرأت الكتاب قراءة وقرآنا بمعنى تلوته"³.

وورد في الكشاف في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾⁴ " جعل قراءة جبريل قراءته، والقرآن: القراءة"⁵، ومنهم من جعله مشتقا من القرائن أو قرنت الشيء بالشيء، ومنهم من قال إنه مرتجل أي أنه وضع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنّ المعنى الذي اتفق عليه معظم العلماء هو اشتقاقه من القراءة، ثم نقل من المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، من قبيل إطلاق المصدر

¹ ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، دس، ج2، ص341.

² ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، مادة قرأ، دار صادر لبنان، دط، دت، ج1، ص128، وتاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مادة قرأ، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1979م، ج1، ص65.

³ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج4، ص385، والصحاح، الجوهري، ج1، ص65.

⁴ سورة القيامة، الآية: 17، 18.

⁵ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أو الفاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2009، ص1161.

على مفعوله، ويقال للقرآن: فرقان كذلك، باعتبار أنه كلام فارق بين الحقّ والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾¹، كما يسمّى: الكتاب، والذكر والتنزيل، وله أوصاف كثيرة أخرى، وفي الاصطلاح: فإنّ مصطلح "قرآن" يطلق على كلام الله، وقد يطلق فيراد به الكلام التّفسي، كما قد يطلق فيراد به الكلام اللفظي، والذين يطلقونه إطلاق الكلام التّفسي هم المتكلمون فقط، لأنهم المتحدّثون عن صفات الله تعالى التّفسية من جهة، والمقرّرون لحقيقة أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق من جهة أخرى، والذين يطلقونه إطلاق الكلام اللفظي هم الأصوليون، والفقهاء، وعلماء اللغة العربيّة، والمتكلمون أيضا، لأنّ غرضهم هو الاستدلال على الأحكام وهذا لا يكون إلاّ بالألفاظ، وكذلك علماء العربيّة يعينهم أمر الإعجاز فلا جرم كانت وجهتهم الألفاظ، وعناية المتكلمين بتقرير وجوب الإيمان بكتب الله المنزلة ومنها القرآن الكريم، وبإثبات نبوّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وهذا كلّه مناطه الألفاظ، لذا ساهموا في هذا الإطلاق، ومن الإطلاقات التي قال بها المتكلمون وشاركهم فيها الأصوليون والفقهاء وعلماء العربيّة² أنّ القرآن هو: اللفظ المنزّل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من أوّل الفاتحة إلى سورة الناس، إلاّ أنّ هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزّل اختلفوا في تعريفه، فمنهم من أطل في التعريف وأسهب في ذكر خصائصه، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسّط، فالذين أطنبوا عرفوه بأنّه: "الكلام المعجز المنزّل على النبيّ

¹سورة الفرقان، الآية: 1.

² ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزرقاني، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي لبنان، ط1، س1995، ج1، ص16-21.

صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته " فجمعوا في هذا التعريف: الإعجاز، والتنزيل، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر، والتعبّد بالتلاوة، والذين اختصروا اقتصروا على وصف واحد هو: الإعجاز، بما أنّه الوصف الذّاتي للقرآن، والشّاهد العدل على نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنّ القرآن كلام الله تعالى، ومنهم من اقتصر على وصفي الإنزال والإعجاز، وحتّتهم في ذلك أنّ هذين الوصفين هما اللّازمان للقرآن الكريم، حيث إنّهُ تحقّق بهما دون سواهما على عهد النبوة، وهناك من اقتصر على وصفي النقل في المصاحف والتواتر، ومن الذين توسّطوا من ذكر إنزال الألفاظ، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر.¹

وكثير من العلماء والباحثين -بخلاف ما سبق ذكره- متّفقون على عدم القدرة على تعريف القرآن الكريم بالقيود المنطقيّة، خاصّة إذا أريد به الحدّ الحقيقي، يقول أحدهم: " والقرآن الكريم يتعدّد تحديده بالتعاريف المنطقيّة ذات الأجناس، والفصول، والخواص، بحيث يكون تعريفه حدّا حقيقيّا، والحدّ الحقيقي له استحضاره معهودا في الدّهن أو مشاهدا بالحسّ، كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللّسان، فتقول: هو ما بين هاتين الدّفتين، أو تقول: هو " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين " إلى قوله: من الجنّة والنّاس"² وعليه فلا يمكن تعريف القرآن الكريم تعريفا معبّرا عنه بالألفاظ اعتمادا على القيود المنطقيّة، ولكن ذكره العلماء تعريفا يقرب المعنى، ويميّز

¹ ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزّرقاني، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي لبنان، ط1، س1995، ج1، ص16 - 21.

² مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ط35، س1998م، ص20.

المغزى، فعرف بقولهم: "كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة"¹.

من هذه التعريفات يتضح جلياً ارتباط المعنيين المعجمي والاصطلاحي للقرآن الكريم، فالقراءة غالباً تكون لما هو مكتوب **فيلفظ**، هذا ما ينطبق على التعريف الاصطلاحي بما أنه **ألفاظ معجزة**، ولا يقتصر الإعجاز على كونه وصفاً للقرآن الكريم، بل هو مبحث من مباحث علوم القرآن مثل: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه .. كذلك نلفي إعجاز القرآن وما يتعلق به من قبيل أوجه الإعجاز وغيره، فهو يتعدى كونه صفة من صفات كلام الله تعالى، إلى جعله مبحثاً علمياً قائماً بذاته، ومن هنا نحاول الإجابة عن السؤال التالي: ما هو الإعجاز؟

يعدّ البحث في الإعجاز القرآني مجالاً أصيلاً ورحباً، إذ تعود بذور نشأته الأولى إلى مرحلة نزول القرآن الكريم، وبالرجوع إلى معاجم اللغة نجد أصحابها كعادتهم يشققون الكلام في تعداد معاني الكلمة بعد ذكر أصل مادتها، وتصريفها، وسياقات كلام العرب فيها وقت الاحتجاج، وكلمة المعجزة والإعجاز ليست بدعا من هذا كلاً.²

¹الخرّ في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدّة الرياض، ط2، س2008، ص22.

²جهود مصطفى صادق الرافعي في بيان الإعجاز القرآني، عزوز ياسين قلايلية العربي، مجلّة لغة كلام، المجلّد 6، العدد 2، ص128، 2020.

ورد في مقاييس اللغة لابن فارس: "عجز: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على الضّعف، والآخر على مؤخّر الشيء"¹.

وتعرّف المعجزة بأنّها "الأمر الخارق للعادة بقيد أن يكون بعد الرّسالة بخلافه قبلها فإنّه إرهاب، أي تأسيس لها"².

وعرّفها الشّيخ محمّد سعيد رمضان البوطي بأنّها: "أمر خارق للعادة يظهر على يد مدّعي النبوة عند تحدّي المنكرين على وجه يبيّن صدق دعواه"³.

وعرّف إعجاز القرآن بأنّه: "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توقّر ملكتهم البيانيّة، وقيام الدّاعي على ذلك، وهو استمرار تحدّيهم، وتقرير عجزهم عن ذلك"⁴، وهذا ما يثبت بما لا يدع مجالاً للرّيب عجز العالمين، إنسهم وجنّهم على أن يعارضوا القرآن العظيم للعرب والنّاس، وهذا التّحدّي جاء في صورة آيات قرآنيّة أقامت التّحدّي أولاً وقرّرت ثانياً، ثمّ أكّدت ثالثاً، ومازال التّحدّي قائماً بكلام قديم أزليّ يبقى إلى الأبد.⁵

¹ معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001م، محمّد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، ص 712.

² متن السنوسيّة، أبو عبد الله السنوسي، دار الإحياء الكتب العربيّة، مصر، حاشية البيجوري، الهامش تقرير شمس الدين الأنباري، ص39.

³ كبرى اليقينيّات الكونيّة وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر بيروت، ط31، س 2010م، ص 214.

⁴ الإعجاز البياني ودلائل مصدره، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 17.

⁵ ينظر: جهود مصطفى صادق الرّافعي في بيان الإعجاز القرآني، عزيزو ياسين وقلايلية العربي، ص 129.

فالقرآن الكريم هو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه، ونظمه، وفي علومه، وحكمه، وفي تأثيره على الخلق، وكشفه الحجب عن الغيب، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز وجوه، وقد تحدّى سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم بإعجازه العرب قاطبة، وحكى لهم عن ربّه القاطع بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم رغم شدّة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، ونقل المسلمون هذا التحدّي إلى جميع الأمم، فظهر عجزها أيضا¹.

ومن أكثر التعريفات المختصرة والدقيقة للإعجاز قول القاضي عبد الجبار المعتزلي: "معنى قولنا في القرآن إنّه معجز: أن يتعدّر على المتقدّمين في الفصاحة فعلٌ مثله، في القدر الذي اختصّ به"². كما عرّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: وإنّما الإعجاز شيئان: أحدهما ضعف القدرة الإنسانيّة في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدّة الإنسان، واتّصال عنايته، والآخر استمرار هذا الضعف على تراخي الزّمن وتقدّمه، فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدّته المحدودة، بالغه ما بلغت³.

1 ينظر: من الإعجاز اللّغوي في القرآن دراسة لغويّة أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال، مصطفى شعبان المصري، المكتب الجامعي الحديث، ط1، س 2012، ص9.

² المغني في أبواب التّوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، دار الكتب المصريّة، دط، س 1960، 226/16.

³ ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، س 1973، ص139.

وهناك من عرّف الإعجاز تعريفاً جامعاً قائلاً: " هو عدم قدرة العرب المعاصرين لنزول القرآن - الذين كفروا به - على معارضته، مع توفر ملكتهم البيانية، وموهبتهم البلاغية، وقيام الداعي على المعارضة، ووجود الباعث وهو استمرار التحدّي.

واستمرار عدم قدرة الكافرين جميعاً، على اختلاف الأماكن، والأقوام، حتى قيام الساعة"¹.

وفي هذا السياق يمكن أن يعنّ للباحث سؤال مفاده: هل ورد الجذر اللغوي (ع ج ز) أو مشتقاته أو تصرفاته في القرآن الكريم نفسه، وما هي دلالاتها، وهل لها ارتباط بالمفهوم الاصطلاحي للإعجاز؟

فتأتي الإجابة بالإيجاب، حيث وردت مادة (ع ج ز) في كتاب الله العزيز على عدّة أوزان واشتقاقات صرفية، يمكن حصرها كالتالي: ذكرت مادة (ع ج ز) في القرآن الكريم ستّاً وعشرين مرّة، على التصريفات التالية:

- 1- فعل ماضٍ: "عَجَزَ": مرّة واحدة.
- 2- فعل مضارع: " يُعَجِّزُ": أربع مرّات.
- 3- صيغة المبالغة: "عَجُوزٌ": أربع مرّات.
- 4- جمع التّكسير: "أَعْجَازٌ": مرّتين.
- 5- جمع المذكّر السّالم: "مُعَاجِزُونَ": ثلاث مرّات.

¹البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار التفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، س2017، ص38.

6- اسم الفاعل: "مُعْجِزٌ": مرّة واحدة.

7- جمع المذكر السالم: "مُعْجِزُونَ": إحدى عشرة مرّة.¹

إذ ذكر الفعل الماضي عجز مسنداً إلى ضمير المتكلم، ومسبقاً بهمزة استفهام مرّة واحدة في قول الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيْلَتَىٰ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾²، وجاءت بمعنى الضعف وعدم القدرة، فلم يحصل الإعجاز لعدم التحدّي، بل بعث الله الغراب ليزيل عجزه وضعفه.

وورد الفعل في المضارع يعجز في الآيات الكريمة التالية:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾³.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾⁴.

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 39.

² سورة المائدة، الآية: 31.

³ سورة الجن، الآية: 12.

⁴ سورة الأنفال، الآية: 59.

وقال سبحانه وتعالى ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾¹.

ولعلّ أبرز الدلالات التي تحملها بهذه الصيغة هي كونها وردت في سياق الحديث عن معركة الحق والباطل، كما أنّها تعني جعل الغير عاجزا، والملاحظ أنّها جاءت منفيّة، حيث نفت العجز عن الله سبحانه، ونفت قدرة الكافرين على تعجيزه.²

ووردت صيغة المبالغة عجزوز في الآيات التّالية:

قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءَأْأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾³.

وقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَلْبَرِينَ﴾⁵ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ⁶.

وقال تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾⁶ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْعَلْبَرِينَ⁶.

¹ سورة فاطر، الآية: 44.

² ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 40، 41، 42، 43.

³ سورة هود، الآية: 72.

⁴ سورة الدّاريات، الآية: 29.

⁵ سورة الشعراء، الآيتان: 170، 171.

⁶ سورة الصّافات، الآيتان: 134، 135.

جاءت لفظة عجوز وصفا لامرأة سيدنا إبراهيم، وسيدنا لوط عليهما السلام، ويمكن القول إنّ هذه الصيغة لا تخلو من دلالة الضّعف، إلا أنّ امرأة إبراهيم عليه السلام عجوز، مثال لقوة العاجز، إذ منحها الله القوة وهي عجوز على الحمل والإنجاب.

وامرأة لوط عليه السلام عجوز، مثال لعجز القوي، حيث كان بمقدورها أن تكون قويّة وتلتحق بركب المؤمنين فتنجو مع الناجين، لكنّها عجزت وضعفت فهلكت مع الهالكين.¹

وورد جمع التّكسير أعجاز في الآيتين الكرّيمتين التّاليتين:

قال الله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾².

وقال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾³.

فرغم قوّة أعجاز النّخيل، إلا أنّها ضعفت فانقعدت وكانت خاوية أمام شدّة الرّيح الصّرصر.

وجاءت صيغة معاجزين في الآيات التّالية:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾⁴.

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 44، 45.

² سورة القمر، الآية: 20.

³ سورة الحاقة، الآية: 7.

⁴ سورة الحج، الآية: 51.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾¹.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾².

كلمة معاجزين جاءت في صيغة المفاعلة التي تفيد المشاركة، وهي تدلّ على الكافرين الذين بذلوا كلّ ما في وسعهم لمحاربة آيات الله والصدّ عن سبيله، لكن هيهات، لم يكن لهم إلا الضّعف والهوان فلن ينالوا بسعيهم هذا إلا العذاب والحياة.

والملاحظة التي لا بدّ أن تذكر هي ورود الفعل سعى مرتين في الزّمن الماضي، دلالة على أنّ الكفّار مذ نزل القرآن الكريم وهم يبذلون قصارى جهدهم في محاربتهم، ليقينهم بأنه آيات الله سبحانه وتعالى، كما ورد في الزّمن المضارع يسعون للدلالة على أنّ أعداء الحقّ سيواصلون محاولاتهم البائسة لمحاربة آيات الله ظلّنا منهم أنهم ينالون منها، ممّا يوحي بالاستمرارية في الزمن المضارع والمستقبل لمقارعة الآيات البيّنات، لكن لن يجني المعاجزون إلا الهزائم، والضعف، والخسران المبين.

وجاءت صيغة اسم الفاعل مُعْجِزٌ في قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾³.

¹ سورة سبأ، الآية: 5.

² سورة سبأ، الآية: 38.

³ سورة الأحقاف، الآية: 32.

فالشخص العاصي لأمر الله لن يضر الله في شيء، إذ يظن أنه قويّ بتعالیه، ولكنه في حقيقة الأمر ليس معجزاً لله، بل هو بمنتهى الضعف كالضال التائه على وجه الأرض.

وجاء اسم الفاعل معاجزون في الآيات القرآنية التالية:

قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾¹.

وقال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾².

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾³.

وقال جلّ في علاه: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾⁴.

¹ سورة التوبة، الآية: 2.

² سورة التوبة، الآية: 3.

³ سورة الأنعام، الآية: 134.

⁴ سورة يونس، الآية: 53.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ

أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾¹.

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾².

وقال الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾³.

وقال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾⁵.

وقال الله عز وجل: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ

مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾⁶.

¹ سورة هود، الآية: 20.

² سورة هود، الآية: 33.

³ سورة التحل، الآية: 46.

⁴ سورة التور، الآية: 57.

⁵ سورة العنكبوت، الآية: 22.

⁶ سورة الزمر، الآية: 51.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴿٣١﴾¹.

الملاحظ في هذه الآيات الكريمة أنّ "المعجزين" من البشر مهما بلغوا من القوّة فقد نفى عنهم الله سبحانه وتعالى صفة الإعجاز لله أو الإعجاز في الأرض نفياً مطلقاً قاطعاً.

لتبقى القوّة المطلقة لله وحده لا شريك له، وما عداه مهما حسب أنه قويّ وقادر أو حسبه غيره كذلك، فهو ضعيف عاجز، فكيف بضعيف عاجز غير قادر أن يعجز الله وآياته، وإن سعى سعيه باذلاً طاقته وجهده، فلن ينال إلاّ العذاب في الدّنيا والجحيم في الآخرة.

وما يمكن أن نخلص إليه بعدما تتبّعنا الجذر اللّغوي (ع ج ز) في القرآن هو دلالته الإجمالية على عظّمة الله سبحانه وتعالى وآياته، بمقابل ضعف الكفّار والجاحدين السّاعين لمحاربة الله وآياته، وخيبتهم الدّائمة الأبدية جزاء بما اكتسبوا.

أمّا مصطلح "إعجاز" أو "معجزة" لم تذكر في القرآن الكريم بل ذكرت كلمات تقاربها في المعنى كآلية البرهان مثلاً، ولم تذكر في الحديث النبويّ الشريف، ولا في أقوال الصّحابة والتّابعين رضوان الله عليهم، كما مضى القرن الأوّل والقرن الثّاني² ولم تستخدم الكلمتان بمعناهما الاصطلاحي

¹سورة الشّورى، الآية: 31.

²لعلّ أوّل كتاب حمل لفظة إعجاز، كان لحمد بن عمر بن سعيد الباهلي البصري (ت200هـ) عنوانه: "إعجاز القرآن" وهو مفقود.

المعروف، ولعلّ بداية استعمالهما بالمعنى الاصطلاحي كانت في الربع الثاني من القرن الثالث، أو بعد منتصفه، ففي القرن الرابع كانت الكلمتان مستعملتين حيث ألف محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت 306هـ) كتاباً سماه: "إعجاز القرآن".¹

ورغم أنّ الكتابة في موضوع الإعجاز القرآني لم تكن مبكرة مقارنة بالتفسير، إلا أنه مجال كثر النظر فيه والبحث، حتى جرّدت فيه الأسفار لغرض الإحاطة به بحثاً، وعلماً، وتأصيلاً، ولإعجاز القرآن مجالات عديدة لعلّ أبرزها بيان أوجه إعجازه.²

وقد توالى الأزمان، والقرآن يتحدّى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته، أو بعشر سور تضاهيه في بعض أوجه إعجازه، بل بسورة واحدة تماثله بلفظه ونظمه وأسلوبه، وهداياته وتأثيره وعلومه، وقد تبين بعد طول هذا التحدّي أنّه كتاب الله المنزل، ووحيه المعجز، لكنّ ما ألفه أمراء البيان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه، ويجلّي للنّاظر مطالعا من إيجازه وإعجازه، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضياؤها تستنير بنوره الأبصار، ولا تحيط بكنهه الأفكار، والمتتبع لموضوع الإعجاز عبر تاريخه يلفيه فكرة ككلّ فكرة علميّة أو أدبيّة تسير روح العصر الذي تعيش فيه، فيظهر فيها التجديد والقوّة باستمرار، فالتّصديق بالإعجاز قائم على القناعة الوجدانيّة، لأنّ الحجّة التي تقنع المناصر قد تزيد المنكر إنكاراً، ولا شكّ أنّ تذوّق جمال القرآن الكريم يختلف من شخص لآخر

¹ ينظر: فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط2، 1980م، ص 7، والبيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 34.

² ينظر: مبتكرات العلماء في إظهار وجوه إعجاز القرآن، عبد المطّلب بوغرارة، ص 3.

باختلاف عقيدته وذوقه الفني الأدبي ومنشئه وميله، وليس من الممكن أن يتذوق الملحد ومن لا يرى القرآن منزلاً من عند الله حلاوة القرآن، كما يتذوقها من يراه دستور الإنسانية الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الأوائل الذين ألقوا في موضوع الإعجاز القرآني في القرن الثالث الهجري نجد النّظام صاحب القول بالصّرفة، والجاحظ الذي قال بالنّظم والصّرفة حيناً، وفي القرن الرابع الهجري نلّمى أبا الحسن الأشعري الذي قال بأنّ المعجز هو القديم، والطّبري القائل بالبلاغة والنّظم، والقمّي الذي قال بأنّ الإعجاز ذوقي ولا يعلّل، والواسطي القائل بالنّظم، والرّماني الذي قال بالصّرفة والنّظم وغيرهما، والخطّابي القائل باللفظ والمعنى والنّظم والأثر النّفسي، والعسكري القائل بالبلاغة، وممن اهتم بأوجه الإعجاز في القرن الخامس الهجري الشريف الرّضي حيث أرجع سبب الإعجاز إلى الصّرفة والبلاغة، وأرجعها داعي الدّعاة إلى الإعجاز بالمعنى والحكمة، والباقلاني إلى أمية الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وعجز العرب والإخبار بالغيوب والنّظم، والخفاجي إلى الصّرفة والبلاغة، وعبد القاهر الجرجاني إلى النّظم، وفي القرن السادس الهجري جدّ القول بالإعجاز العلمي فعمل الغزالي وابن رشد، وفي القرن السابع الهجري قال فخر الدّين الرّازي، والسكّاكي، وابن العربي، والآمدي، وحازم القرطاجني والبيضاوي بالبلاغة، وبذلك قال ابن تيميّة والخطيب القزويني ويحيى بن حمزة العلوي، والأصبهاني وابن كثير في القرن الثامن الهجري.¹

¹ ينظر: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط2، 1980م، ص ب/129.

وقال ابن خلدون، والمراكشي بالإعجاز البياني في القرن التاسع الهجري. وفي القرن العاشر الهجري نجد السيوطي يجمع آراء سابقيه في وجوه الإعجاز القرآني، والأنصاري مؤيداً للقائلين ببلاغة القرآن وحسن نظمه، وفي القرن الحادي عشر الهجري نفى الشهاب الخفاجي القول بالصرفة وقال بالبلاغة وحسن النظم، وفي القرن الثاني عشر الهجري خطأً أحمد الكواكبي المعتزلة في قولهم بتباين آيات القرآن بلاغة، وفي القرن الثالث عشر قال الإمام الشوكاني والآلوسي ببلاغة القرآن الكريم، وفي القرن الرابع عشر الهجري /العشرين الميلادي تعددت الأقوال في وجوه الإعجاز، بين القائلين بالإعجاز العلمي كطنطاوي جوهرى وعلي فكري، ومحمد أحمد جاد المولى، وعمر المباري، ومحمد متولي الشعراوي، كما تعددت توجهات الباحثين في وجوه إعجاز القرآن الكريم، بين المؤيدين للإعجاز البلاغي كالشيخ محمد عبده، ومصطفى صادق الرافعي، والإعجاز النفسي مثل أمين الخولي، والإعجاز التصويري مثل سيد قطب، وتوضيح نواحي الجمال الفني في القرآن والإعجاز التشريعي، والاعتدال في الإعجاز العلمي كما فعل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.¹

ولا تخفى عناية علماء بلاد المغرب بالبحث في وجوه الإعجاز القرآني، حيث أولوا الإعجاز البلاغي كغيرهم من المشاركة اهتماماً أكبر، وعلتهم في ذلك أن "الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان، وهو ما يجترز به عن الخطأ في تأدية المعنى، وعن تعقيده، ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه، على مقتضى الحال"².

1 ينظر: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص 480/473.

2 الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص 10، 11.

وقد نوّه بعض العلماء بجهود ابن عطية في الإعجاز، وأنه محقق ومدقق في المسائل التي سبقه العلماء في الكلام عنها والتنظير لها، ومن مظاهر الجدة والابتكار في مسائل البلاغة والإعجاز ما خطته أنامل العلماء، فكانت لهم لمسة وإضافة في البلاغة القرآنية وإعجاز القرآن، أمثال: العلامة محمد بن عبد السلام السائح الأندلسي الرّباطي (ت 1367هـ)، الذي من فرط عنايته بمسائل الإعجاز اللّغوي البياني في القرآن الكريم اهتدى إلى ملاحظة لطيفة في نسق النّصّ القرآني، مفادها أنّ من أنواع الأساليب اللفظية المتعدّدة في باب فواصل الآي المقفّاة فواصل أخرى مغايرة للفاصل التي بنيت عليها السّورة، وهو نوع على نهجه بني التوشيح، وعلى وتيرته ارتكز أسلوبه، كما لا يخفى فهم مالك بن نبي للإعجاز بأنّه صفة ملازمة للقرآن عبر العصور، وأنّه في مستوى إدراك جميع النّاس، لأنّ اعتباره فوق عقولهم، يفقد وسائل فهمه، كما ابتكر المنهج النّفسي في دراسة التّفسير، واعتنى عبد الحميد بن باديس في "مجالس التّدكير" بإعجاز القرآن عناية كبيرة، مبرزاً معظم أوجه الإعجاز مع التّركيز على الوجه البلاغي¹، واهتم محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) بالجوانب البلاغية للقرآن الكريم في تفسير التحرير والتنوير.

¹ ينظر: إعجاز القرآن عند العلماء المغاربة مالك بن نبي وعبد الحميد بن باديس أمودجا، ميلود عمارة، مجلّة الشّهاب، مجلد5، عدد3، 2019م، ص66، 75.

ولم يعن الباحثون المسلمون وحدهم بموضوع الإعجاز القرآني، بل انشغل غيرهم بهذا الموضوع، ويعرفون إعجاز القرآن بأنه متّصل بالجانب العقيدي للمسلمين، وإيمانهم بأنّ للقرآن الكريم خصائص إعجازيّة لفظا ومعن، فلا يشبهه كلام بشر البتّة.¹

وتقول صوفيا فاسالو إحدى الباحثات المعاصرات في علم اللاهوت بخصوص دهشة العرب حين سماعهم القرآن الكريم، وعجزهم عن تصنيفه، بأنّه أمر بالغ الأهميّة، فالعرب حينما سمعوا القرآن احتاروا في كيفيّة تصنيف ألفاظه، هل هي شعر؟، أم سحر؟ أم أساطير؟ فلم يستطيعوا إسناده إلى أي نوع من هذه الأنواع.²

لقد حاولنا في هذا المدخل رصد المراحل التّاريخيّة للبحث في إعجاز القرآن بشكل مبسّط وموجز، ليتسنى لنا في فصول البحث ومباحثه دراسة اللفظ والمعنى عند الإمام الخطّابي في رسالة بيان إعجاز القرآن، وارتباطهما بالإعجاز القرآني، وما يزال باب البحث مشرعا في مجال الإعجاز القرآني وممتدّا ارتباطا بصفة الخلود فيه.

¹ The Quran an encyclopedia.London. Routledge.2006

²The miraculous eloquence of Quran general trajectories and individual approaches. Vasalou Sophia. Journal of Quranic studies. 4.2. 2002. 23_53.

الفصل الأول

الخطّابي ورسالته بيان

إعجاز القرآن

تمهيد:

قبل التّطرق إلى ترجمة الإمام الخطّابي (319هـ - 388هـ) ومحاولة استقراء ما يشي به عنوان كتابه (بيان إعجاز القرآن) من دلالات أوليّة، بدءاً باسمه ومقدمته، فضّلنا أن نمهد لذلك بالتّعريح على الخصائص العامّة للمرحلة التّاريخيّة التي عاش فيها، علّها تجلّي لنا طريق البحث العلميّ بحصره في إطاره التّاريخي ممّا يرسم حدوده، حيث يذكر أن العصر العبّاسي الثّاني يختلف اختلافاً واضحاً في كثير من مظاهره عن العصر العبّاسي الأوّل، بما أنّ العصر العبّاسي الأوّل امتاز بقوة الخلافة، وتركيز السّلطة في يد الخلفاء الذين اتّصفوا بالبراعة السّياسيّة وقوة الشّخصيّة (كفترة حكم أبي جعفر المنصور)¹، بخلاف العصر العبّاسي الثّاني الذي انتقلت فيه الدّولة من المركزيّة إلى اللامركزيّة في الحكم، وهذا راجع إلى الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة للعصر العبّاسي الأوّل، التي حملت معها بوادر الاستقلاليّة والتحرّر والانفصال، فقامت دول مستقلّة بنفسها مع الاعتراف بسلطان الخليفة شكلياً، ووقع الخلفاء تحت سيطرة الشّعوب الجديدة، ممّا أثر على دورهم ففقدوا الهيبة والاحترام الذي تميّز به خلفاء العصر العبّاسي الأوّل²، وكانت الخلافة في الدّولة العبّاسيّة وقتئذ ل أبي منصور القاهر بالله الذي بويع سنة 319هـ، واستمرت خلافته إلى سنة 322هـ، وخلفه الرّاضي بالله من سنة 322هـ إلى سنة 329هـ، ليبيع بعده أخوه المتّقي بالله، واستمرت خلافته أربع سنوات من 329هـ إلى 333هـ، و بعدما خلعه البويهيون من الخلافة بويع المستكفي بالله،

¹ ينظر: العصر العبّاسي الأوّل، عبد العزيز الدور، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 3، ص 1997م، ص 55، 83.

² ينظر: تاريخ الدّولة العبّاسيّة، محمد سهيل طقوش، دار النّفائس بيروت، لبنان 2009م، ص 156.

ودامت خلافته سنة وأربعة أشهر، ليعتلي سدة الخلافة الخليفة العباسي الثالث والعشرون فضل

المطيع لله من سنة 334هـ إلى سنة 363هـ (حوالي 28 سنة)، ثم سلم الخلافة لابنه عبد الكريم

الطائع لله الذي ظلّ خليفة من سنة 363هـ إلى سنة 381هـ، وبعد خلع الطائع ببيع القادر بالله

من سنة 381هـ إلى سنة 422هـ¹. يظهر من هذا أنّ الإمام الخطابي عاش في فترة اتسمت بعدم

استقرار الخلفاء مدّة طويلة في الحكم، حيث أطلق عليهم العباسيون الضّعفاء²، ومرجع ذلك إلى

ضعف الدولة آنذاك بسبب سيطرة القادة الأتراك عليهم ومن بعدهم البويهيون الذين طغت في

عصرهم فتن كبيرة بين السنّة والشيعّة، فكثر القتل والفتن الطائفية، وذاع الغلو، وتفشّى الانقسام

الطائفي³، وانقسمت الدولة إلى دويلات وإمارات كالسامانية بتركستان، والفاطمية بمصر، والحمدانية

بالشّام، فحدثنا عن معاصرتة الدولة العباسية لا يقصد به الشّائع عن العصر العباسي، من أنّه

العصر الذهبيّ وإنّما يقصد بها تلك الفترة التي سادها الحكم المذهبي سياسياً (القرن 4هـ-10م)⁴،

الذي -وإن كان عصر انحطاط (سياسياً)- فقد رآه المؤرّخون عصر ازدهار وراقيّ حضاريّ، لأنّ

سماته السياسيّة فرضت طابعا من التنافس بين حكام الولايات كلّ يسعى إلى نسبة التطوّر والحضارة

لدولته، ورغم ما لهذا الجوّ التنافسيّ من إيجابيات وانعكاسات حضاريّة بارزة، لكنّ المرحلة بما تحمله

¹ ينظر: تاريخ الدولة العباسية، سامي المغلوث، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 76-102.

² ينظر: رحلة الخلافة العباسية، العباسيون الضّعفاء، محمد الهامي ومحمد شعبان أيوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، مج2، ط2013.

³ ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط1، س1408هـ، ج11، ص 264.

⁴ ينظر: مروج الذهب للمسعودي (ت346هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه (ت421هـ)، الكامل لابن الأثير (ت630هـ).

من تناقضات كانت الممهد لبداية تراجع الحضارة الإسلامية منذ ذلك الحين إلى يوم الناس هذا بمقابل ازدهار الغرب وتطوره، ولعل أبرز مظاهر التطور في ذلك الوقت المكانة الاجتماعية التي حظي بها العلماء والمثقفون، وتشجيعهم لإذكاء التنافس بينهم، فازدهرت الحياة الثقافية والعلمية حيث استقل علم الكلام عن الفقه، وظهرت الفرق الكلامية كالمعتزلة، وظهر التصوف، وازدهر علم القراءات القرآنية¹، وبرز المذهب الظاهري الذي أنكر أصحابه على الشافعية التوفيق بين القديم والجديد في الفقه، والمذهب الحنبلي، بمقابل المذهب الأوزاعي في الأندلس²، وفي الأدب ظهر فن المقامات الذي يغلب عليه التألق اللفظي والتزيين البديعي، كما اشتد الحوار والتناظر في قضايا مهمة كالشعبوية والزندقة، كالتي دارت بين الخوارزمي وبديع الزمان، وأبرز ما ميز الشعر اصطباغه بصبغة جديدة تجمع البساطة وثقافة العصر العقلية على يد المتنبي (ت 354هـ)، مع المحافظة على موضوعات الشعر القديمة (الفخر، والمدح، والهجاء، والغزل، والرثاء، والوصف)، زد على ذلك الشعر الشعبي الذي لا تقيده ضوابط ومن شعرائه ابن الحجاج (ت 391هـ)³، وأفردت كتب لعلوم اللغة بعدما كانت تلحق بعلوم أخرى، كمعجم الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (ت 393هـ)، و الاشتقاق لابن جنّي (ت 392هـ)، الإيضاح والتكملة في النحو لأبي علي

¹ ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1941م، الجزء الثاني، ص 12، 31، 94، 126.

² ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة، الطبعة السادسة، الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن محمد.

³ ينظر: البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، ص 1998م، ج1، ص 346.

الفارسي(ت377هـ)، ومقدّمة في النّحو لابن فارس(ت396هـ)، والموازنة بين العربيّة والفارسيّة لحمزة الأصفهاني(ت 360هـ)¹، كما ازدهرت علوم أخرى كالجغرافيا، والتّاريخ، والرياضيّات، والفلك، والصّناعة، والتّجارة وغيرها.²

هكذا كانت إجمالاً الفترة التي عاش فيها الإمام الخطّابي، وفيما يلي سنتتبّع حياة الإمام بشكل

أدقّ وأقرب.

¹ ينظر: أهمّ مظاهر الحضارة العبّاسيّة خلال القرن الرّابع الهجري، جواد التّباعي، الجمعية الدّوليّة للمترجمين واللّغويين العرب، س2011.

² ينظر: الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجري، ج2، ص1-311

المبحث الأول: ترجمة الإمام الخطّابي

اسمه ونسبه: هو الإمام العلامة، الحافظ اللّغويّ أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم بن خطّاب البُستي الخطّابي من ولد زيد بن الخطّاب¹، وسمّاه الإمام الثّعالبي (ت429هـ) أبا سليمان أحمد بن محمد²، والصّواب حمّد بفتح الحاء وسكون الميم حيث سئل عن اسمه: أحمد أو حمّد؟ فقال: سميت بحمّد، وكتب الثّاس أحمد فتركته، والبُستي بضم الباء وسكون السين نسبة إلى بُست³ مدينة في بلاد كابل، قال ياقوت الحمويّ بأنّها كثيرة البساتين، ولما سئل عنها بعض الفضلاء قال: هي كثنيتها يعني بُستان⁴.

مولده ونشأته: ولد في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة⁵، (319هـ/931م) في مدينة بست وتسمّى لشكرگاه حاليا وتقع على شاطئ هلمند ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، ثمّ رحل إلى العراق والحجاز، وجمال خراسان، وخرج إلى ما وراء النّهر، وكان يتّجر في ملكه الحلال، وينفق على الصّلحاء

¹ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الدّهلي، تح: شعيب الأرنؤوط وبشار معروف وآخرون، مؤسسة الرّسالة، دط، 1982، الطّبقة الثّانية والعشرون، الخطّابي، ج 17، ص 23، 26.

² يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثّعالبي التّيسابوري، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1983م، ج4، ص383/385.

³ شذرات الدّهب في أخبار من ذهب، ابن عماد، تح: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، ط1، 1986م، ج3، ص127.

⁴ ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، دط، س 1993م، ج1، ص 414-419.

⁵ ينظر: الأنساب، أبو سعد عبد الكريم السّمعاني، تح: عبد الرّحمن بن المعلّمي اليماني وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1977م، ج2، 224، ج5 ص157.

من إخوانه¹، كما أقام بنيسابور سنين، وحدث بها، وكثرت الفوائد من علومه²، ثم عاد إلى مسقط رأسه بُست حيث استقرّ بها إلى أن توفاه الله.

شيوخه: سمع الإمام الخطّابي من " أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، ومن إسماعيل بن محمّد الصقّار وطبقته ببغداد، ومن أبي بكر بن داسة وغيره بالبصرة، ومن أبي العباس الأصمّ، وعدّة بنيسابور، وعني بهذا الشأن متنا وإسنادا، وروى أيضا عن أبي عمرو بن السّمّك، ومكرم القاضي، وأبي عمرو غلام ثعلب، وحمزة بن محمد العقبي وأبي النّجاد، وجعفر بن محمد الخلدي، وأخذ الفقه على مذهب الإمام الشّافعي عن أبي بكر الققال الشّاشي، وأبي عليّ بن هريرة ونظرائهما"³.

تلاميذه: حدّث عن الإمام الخطّابي " أبو عبد الله الحاكم، وهو من أقرانه في السنّ والسّنند، والإمام أبو حامد الإسفراييني، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الرّزهاجي، والعلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرايسي، وأبو ذر عبد بن أحمد، وأبو نصر محمد أحمد البلخي الغزنوي، وجعفر بن محمّد بن علي المرودي الجاور، وأبو بكر محمد بن حسين الغزنوي

¹ ينظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، س 1993، ج1، ص 185.

² ينظر: التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة، دائرة المعارف العثمانية، ط1، س 1983، ج1، ص 254.

³ سير أعلام النبلاء، ج17، ص 23، 24.

المقرئ، وعلي بن الحسن السجزي الفقيه، ومحمد بن علي بن عبد الملك الفارسي الفسوي، وأبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي وطائفة سواهم¹.

مصنفاته: ممّا صنّفه الخطابي نذكر: معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود، كتاب غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره ابن قتيبة ولا أبو عبيد في كتابيهما، كتاب تفسير أسامي الربّ عزّ وجلّ، شرح الأدعية المأثورة، كتاب العزلة، كتاب إصلاح غلط المحدثين، كتاب العروس، كتاب أعلام الحديث، كتاب غريب الحديث، كتاب الغنية عن الكلام وأهله، كتاب شرح دعوات لأبي خزيمة، كتاب شأن الدعاء، كتاب أعلام السنن في شرح البخاري، كتاب بيان إعجاز القرآن².

صفاته وثناء العلماء عليه: قال عنه الثعالبي (ت 429هـ): "كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره علما وأدبا وزهدا، وورعا، وتديسا، وتأليفا، إلا أنّه كان يقول شعرا حسنا، وكان أبو عبيد مفحما".

قال السمعاني (ت 562هـ) عنه: "إمام فاضل كبير الشأن، جليل القدر، صاحب التصانيف الحسنة، ونقل عن الحاكم أنّه قال: الفقيه الأديب البستي، أبو سليمان الخطابي، أقام عندنا بنيسابور سنين، وحدّث بها، وكثرت الفوائد من علومه".

1 سير أعلام النبلاء، ج1، ص25.

2 ينظر: معجم الأدباء، ج1، ص185.

وقال ابن الجوزي (ت 597هـ): "له فهم مليح، وعلم غزير، ومعرفة باللّغة والمعاني والفقّه، وله أشعار جيّدة".

وقال ياقوت (ت 623هـ): "كان حجّة صدوقاً.. محدّثاً فقيهاً، أديباً، شاعراً، لغويّاً.. من الأئمّة الأعيان".

ونقل الذهبي (ت 748هـ) عن أبي طاهر السلفي (ت 576هـ) قوله: "وأما أبو سليمان الشّارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنّفاته، واطّلع على بديع تصرّفاته في مؤلّفاته تحقّق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته".

وقال السبكي (ت 771هـ): "كان إماماً في الفقّه والحديث واللّغة، وذكره الإمام أبو المظفر السّمعاني في كتاب القواطع في أصول الفقّه قال: كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمّة أهل السنّة صالح للاقتداء عنه".

وقال ابن كثير (ت 774هـ): "أحد المشاهير الأعيان، والفقهاء المجتهدين المكثرين، سمع الكثير، وصنّف التّصانيف الحسان، وله فهم مليح، وعلم غزير، ومعرفة باللّغة والمعاني والفقّه".

شعره: وصف الذهبي شعر الخطّابي بقوله: "وله - رحمه الله - شعر هو سحر"¹.

وقد أورد الثّعالبي أشعاراً له، نذكر منها قوله:

¹ سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 26.

وَلَكِنَّهَا وَاللَّهِ فِي عَدَمِ الشَّكْلِ

وَمَا عَمَّةُ الْإِنْسَانِ فِي شَقَّةِ النَّوَى

وَإِنْ كَانَ فِيهَا أُسْرِي وَهِيَ أَهْلِي

وَإِنِّي غَرِيبٌ بَيْنَ بُسْتٍ وَأَهْلِهَا

وأنشد له:

وَالنَّاسُ شَرُّهُمْ مَا دُونَهُ وَزُرُ

شَرُّ السَّبَّاعِ الْعَوَادِي دُونَهُ وَزُرُ

وَمَا تَرَى بَشَرًا لَمْ يُؤْذِهِ بَشَرٌ

كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبْعٌ

وأنشد له أيضا:

وَابَقِ فَلَمْ يَسْتَقْصِ قَطُّ كَرِيمٌ

تَسَامَحٌ وَلَا تَسْتَوْفِ حَقَّكَ كُلَّهُ

كِلَا طَرِيٍّ فَصَدِ الْأُمُورِ دَمِيمٌ

وَلَا تَعْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ

ومما قال:

عَلَيْهَا - غَيْرِ رِيحٍ مُسْتَعَارَةٍ

لَعَمْرُكَ مَا الْحَيَاةُ - وَإِنْ حَرَصْنَا

وَلَكِنْ تَارَةً تَجْرِي وَتَارَةً¹

وَمَا لِلرِّيْحِ دَائِمَةٌ هُبُوبٌ

وله:

كَمْ ذَا التَّوَارِي وَأَنْتَ الدَّهْرُ مَحْجُوبٌ

وَقَائِلٍ وَرَأَى مِنْ حُجَّتِي عَجَبًا:

¹ ينظر: يتيمة الدهر، ج4، ص383/385.

فَقُلْتُ: حَلَّتْ بُحُومُ الْعُمَرِ مُنْذُ بَدَا

بَحْمُ الْمَشِيبِ وَدَيُّنُ اللَّهِ مَطْلُوبُ

فَلَذْتُ مِنْ رَجُلٍ بِالِاسْتِتَارِ عَنِ الْ

أَبْصَارِ إِنَّ غَرِيمَ الْمَوْتِ مَرْعُوبُ

وله:

تَعْنَمُ سُكُونِ الْحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا

وَإِنْ سَكَتَتْ عَمَّا قَلِيلٍ تَحْرُكُ

وَبَادِرُ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا

رَهُونٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْرُكُ

وله كذلك:

قُلْ لِلَّذِي ظَلَّ يَلْحَانِي وَيَعْذِلْنِي

لِنَائِلِ فَاتَهُ، وَالْحَيْرُ مَأْمُولُ

لَا تَطْلُبِ السَّمْنَ إِلَّا عِنْدَ ذِي سَمْنٍ

نَالَ الْوَلَايَةَ فَالْمَعْرُوفُ مَهْزُولُ

وقال:

قَدْ جَاءَ طُوفَانُ الْبَلَاءِ وَلَا أَرَى

فِي الْأَرْضِ وَيُجِي لِلنَّجَاةِ سَفِينَهُ

فَاصْعَدْ إِلَى وَزْرِ السَّمَاءِ فَإِنْ يَكُنْ

يَعِيْبُكَ فَابْكِ لِنَفْسِكَ الْمِسْكِينَةَ¹

ومن شعره قوله:

مَا دُمْتَ حَيًّا فَدَارِ النَّاسِ كُلَّهُمْ

فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْمَدَارَاةِ

¹ ينظر: بيتيمة الدهر، ج 4، 384.

وَلَا تَعْلُقْ بِعَيْرِ اللَّهِ فِي ثَوْبٍ إِنَّ الْمُهَيِّمِينَ كَافِيكَ الْمِهْمَاتِ

وزاد ابن كثير بعد ذلك:

مَنْ يَدْرِي دَارِي وَمَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَى عَمَّا قَلِيلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ

وله:

قَدْ أُولِعَ النَّاسُ بِالتَّلَاقِي وَالْمَرْءُ صَبُّ إِلَى هَوَاهُ

وَإِنَّمَا مِنْهُمْ صَدِيقِي مَنْ لَا يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ

وقال:

سَلَكْتُ عِقَابًا فِي طَرِيقِي كَأَنَّهَا صِيَاصِي دُيُوكِ أَوْ أَكُفُّ عِقَابِ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ ذَنْبًا أَحَاطَ بِي فَكَانَ عِقَابِي فِي سُلُوكِ عِقَابِ

وقال:

إِذَا خَلَوْتُ صَفَا ذَهْنِي وَعَارَضَنِي خَوَاطِرُ كَطِرَازِ الْبَرِّقِ فِي الظُّلْمِ

وَإِنْ تَوَالَى صِيَاخُ النَّاعِقِينَ عَلَى أُذُنِي عَرَنْتَنِي مِنْهُ حُكْلَةُ الْعَجَمِ¹

¹ ينظر: بيتيمة الدهر، ج 4، ص 385.

وفاته: توفي الإمام الخطابي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ببُست في رباط على شاطئ هندمند¹، وقد

رثاه عدد من العلماء والأدباء مثل أبي منصور الثعالبي حيث قال:

أَنْظُرُوا كَيْفَ تُحْمَدُ الْأَنْوَارُ أَنْظُرُوا كَيْفَ تَسْقُطُ الْأَقْمَارُ

أَنْظُرُوا هَكَذَا تَنْزُولُ الرَّوَاسِي هَكَذَا فِي النَّرَى تَغِيضُ الْبِحَارُ²

كما رثاه أبو بكر بن إبراهيم الحنبلي قائلا:

وَقَدْ كَانَ حَمْدًا كَاسِمِهِ حَمْدُ الْوَرَى شَمَائِلَ فِيهَا لِلشَّنَاءِ مَادِحُ

خَلَائِقُ مَا فِيهَا مُعَابٌ لِعَائِبِ إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا فَهِنَّ مَدَائِحُ

تَعَمَّدَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَاللَّهُ عَافٍ وَصَافِحُ³

¹ ينظر: معجم الأدباء، ج1، ص185.

² ينظر: يتيمة الدهر، ج4، ص383/385.

³ ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، س 2000، ج7، ص207.

المبحث الثاني: رسالة بيان إعجاز القرآن... وصف أولي

في هذا المبحث من الفصل الأول سنحاول التعريف بالمدونة التي هي محلّ الدراسة، من حيث وصفها العام كحجمها وتحقيقها وطبعها، ومنتقل إلى الحديث عن الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة، لنقف عند محاولة استشفاف دلالات اسمها "بيان إعجاز القرآن".

— تعريف عامّ بالرسالة: (كتاب بيان إعجاز القرآن للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، رواية أبي الحسن بن علي بن الحسن الفقيه السجزيّ)، اعتمد المحققون في تحقيقه على مخطوطة مصوّرة عن دار الكتب مكتوبة بخط مغربيّ واضح به بعض الشّكل من المكتبة الصّديقيّة بطنجة، وكانت إجازتها سنة ستّ وستين وخمسائة، كتب في بدايتها: (كتاب بيان إعجاز القرآن)، وأثبت في نهاية النسخة أنّه: (تمّ الكتاب بحمد الله وعونه، وصلى الله على محمد وآله وسلّم والحمد لله ربّ العالمين، أوائل عام ستّة وألف عرّفنا الله خيره ووقانا شرّه، كما أثبت في آخرها أنّها روجعت وقوبلت على النسخة الأصليّة، وتقع المخطوطة في 23 ورقة وكلّ صحيفة مسطرتها 21 سطرا، وبالسطرين 12 إلى 14 كلمة، وهناك نسخة أخرى أشار إليها بروكلمان هي نسخة ليدن¹، حقّق المخطوط وطبع طبعات عديدة، منها:

— طبعة السيّد عبد الله الصديقي سنة: 1372هـ / 1953م بمطبعة دار التأليف بالقاهرة.

¹ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للزّمّاني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، س 1976، ص 12_13.

__ طبعة الدكتور عبد العليم عميد القسم العربي في الجامعة الإسلامية بعلى كره (الهند)، مطبعة خليل شرف بومباي سنة 1372هـ / 1953م ونشرها القسم العربي بجامعة كره.

__ طبعتها ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني) التي حقّقها وعلّق عليها: محمّد خلف الله أحمد والدكتور محمد زغلول سلام، وطبعت (ضمن ذخائر العرب) بدار المعارف في مصر، وكانت طبعته الثالثة سنة 1976م¹.

__ كما طبعت في كتاب بعنوان: بيان إعجاز القرآن، وحقّقها أ. د يوسف بن عبد الله العليوي بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، وكانت الطبعة الأولى سنة 1439هـ / 2018م، نشرتها دار التّوحيد للنّشر، وقد احتوى الكتاب قسمين: أحدهما خصّه المحقّق لترجمة الخطابي والتّعريف بكتابه ومضمونه، والآخر قدّم فيه دراسة لأهمّ القضايا البلاغيّة التي تناولها².

وقد تمّ طبع كتاب في شرح رسالة بيان إعجاز القرآن للدكتور عمر محمّد عمر باحاذق، وكانت طبعته الأولى سنة 1416هـ / 1995م، ونشرته دار المأمون للتّراث ببيروت³.

__ الطبعة المعتمدة في الدراسة: إنّ وسم دراستنا: (اللفظ والمعنى عند الخطابي __ دراسة دلالية في رسالة بيان إعجاز القرآن) وتحديد مدوّنة الدراسة بأنّها رسالة بيان إعجاز القرآن يشي بأننا اعتمدنا

¹ ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص12_13.

² ينظر: بيان إعجاز القرآن، تأليف العلامة أبي سليمان حمد بن محمّد الخطابي، تح: يوسف بن عبد الله العليوي، دار التّوحيد للنّشر، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، س 2018.

³ ينظر: شرح رسالة بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي، عمر محمّد عمر باحاذق، دار المأمون للتّراث، بيروت.

على طبعتها ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، التي حقّقها محمّد خلف الله أحمد ومحمّد زغلول سلام، ونشرتها دار المعارف بمصر سنة 1976 الطبعة الثالثة، ورغم أنّ الخطّابي سمّى بيان إعجاز القرآن: "كتاب"، إلا أنّ إطلاق تسمية: "رسالة" عليه أكثر شيوعاً، فلمّا حقّق البيان، وطبع، وُجِع مع (التّكت في إعجاز القرآن للرّماني) و(الرّسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني) سمّى المحقّقان المؤلّف: (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) جمعاً واختصاراً، حيث تجتمع الكتب الثلاثة في موضوع واحد ألا وهو الإعجاز القرآني، واختصاراً حتى يكون اسم الكتاب الجامع لها واضحاً وسهلاً، ولربّما سمّيت: "رسائل" لاختصارها، وحجمها اليسير كذلك.

وتجدر الإشارة إلى أسباب موضوعيّة لاختيار هذه الطّبعة دون سواها هي:

- مراجعة المحقّقين لطبعات سابقة، وإبداء ملاحظتهما، وتجاوز الأخطاء والتّصحيف الذي وقع فيه محقّقون قبلهم¹.

- وهي الطّبعة الأكثر توقّراً في المكتبات الجامعيّة والرّقميّة.

- إضافة إلى تأليف كتاب يشرحها _ أنفت الإشارة إليه _ هو: " شرح رسالة بيان إعجاز القرآن لعمر محمد عمر باحاذق " ممّا يسهّل علينا قراءة الرّسالة ويذللّ طريق البحث العلميّ.

- ولم نعتمد على الطّبعة المعاصرة للبيان التي حقّقها الدكتور يوسف العليوي، لأنّها طبعت عام 2018م، ومشروع الدّراسة هذه إنّما سجّل سنة 2016م / 2017م، ورغم أنّها من أجود الطّبعات

¹ ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص13.

المعاصرة إلا أنّ محققها أبدى تركيزه وتأكيدَه على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم¹، ولم يكتفِ الخطابي بهذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم كما ورد في بيانه، لذا نحن نسعى إلى تبين ارتباط اللفظ والمعنى بالإعجاز القرآني.

— **دلالات عنوانها:** لعلّ أول شيء تقع عليه العين ويعترض القارئ من أيّ كتاب هو عنوانه، فهو الجزء الأبرز في أي كتاب، إذ يرسّخ انطبعا لدى القراء عن مضمونه، ولفظة (عنوان) مشتقة من "عَنَّ الشَّيْءَ يَعْنُ وَيَعْنُ عَنَّا وَعُنُونًا: ظهر أمامك، وَعَنَّ يَعْنُ وَيَعْنُ عَنَّا وَعُنُونًا واعْتَنَ: اعترض وعرض"².

و"عنوان الكتاب وعنوانه، وعنوان وعنوانه: سميّ لأنّه يعنّ له من ناحيته، وأصله عُنَانٌ، وكلّما استدلت بشيء يُظهره على غيره فعنوان له"³، وعليه فإنّ أبرز دلالة للعنوان هي الظهور، وكأنا بعنوان الكتاب يظهر ما احتواه في تضاعيفه، ومن هنا ندرك أهميّة العنوان البالغة، حيث ارتبط منذ القدم بالثقافات والأمم الإنسانيّة القديمة ومنها العرب، فبعد أن أصبح لهم إسهامات مكتوبة بدأ العنوان في المؤلّف العربي يظهر مع تدوين القرآن الكريم، لأنّ الثقافة العربيّة كانت تعتمد على الرواية الشفهيّة من ذي قبل، وقد يعاني بعض المؤلّفين من وضع العنوان بقدر معاناته من التّأليف، لأنّه

1 ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، تحقيق: يوسف بن عبد الله العليوي، ص 120.

² لسان العرب، مادة: (ع ن ن)، ج 10، ص 311.

3 القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 8، ص 2005، مادة: (ع ن ن).

البرقية الأولى التي يرسلها للدلالة على مضمون كتابه، فيعبّر عن مئات الصفحات بكلمة أو كلمات قليلة، وهذا الاختزال يحتاج إلى خبرة ودراية كبيرة¹.

وتكمن أهمية العنوان فيما يثيره من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل، ولعلّ أبرز شروطه: التّعينيّة، والوصفيّة، والدلاليّة الضمنيّة المصاحبة، والإغرائيّة، والملاحظ أنّكاء كثير من الكتاب على بعض العبارات القرآنيّة الصّريحّة أو الضمنيّة أو أسماء أعلام في الفلسفة وغيرها لجذب القارئ².

ولطالما حرص علماء العربيّة الأوائل على صوغ عناوين تلائم مضامين كتبهم، فهذا الثّعالبي (ت 429هـ) يقول عن تسمية كتابه سحر البلاغة: وأرجو أن يكون اسماً يوافق مسماه، ولفظاً يطابق معناه³.

ويقول الأعلام الشنتمري (ت 476هـ): "وسميته كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ليكون اسمه مطابق معناه، وترجمته دالّة على مغزاه"⁴.

1 ينظر: عنوان الكتاب أول برقية من الكاتب للقارئ، عبد الحكيم الأنيس، الخليج، 06 نوفمبر 2019.

2 ينظر: عنوان الكتاب السّؤال المتحدّد والمستفّرّ، مآب عامر بغداد، الصباح، 06 آب 2019.

3 سحر البلاغة وسرّ البراعة، أبو منصور عبد الملك الثّعالبي النّيسابوري، تح: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، دط، دس، مقدّمة الكتاب.

4 تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلام الشنتمري، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرّسالة، ط2، س1994م، ص52.

بهذه التوظفة لمعنى العنوان وأهميته، ومدى ارتباطه بمضمون الكتاب يمكننا أن نبرّر محاولة استشفاف دلالات تسمية الخطابي كتابه بيان إعجاز القرآن، هذا التركيب المكوّن من ألفاظ: "بيان" و"إعجاز القرآن".

"بيان": الجذر اللغوي لكلمة بيان هو (ب ي ن) وقال ابن فارس في مقاييسه بأن الباء والياء والتون أصل واحد هو بُعد الشيء وانكشافه، وقد استعملت هذه المادة في اتّضح الشيء وانكشافه، يقال: بان الشيء وأبان إذا اتّضح وانكشف، وفلان أبين من فلان أي أوضح كلاماً منه¹، وقد وردت مشتقات هذا الجذر في القرآن الكريم مئتين وثمانية وخمسين مرّة (258)، وبصيغة بيان مرتين اثنتين إحداهما في سورة آل عمران: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾² والأخرى في سورة الرحمن: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾³، فسَمَّى الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم في الآية الأولى بياناً، وفسّر الإمام ابن عطية البيان في سورة الرحمن بأنّه: **التّلقين والفهم والإبانة عن ذلك بقول**، قاله ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فضّل الإنسان عن سائر الحيوان، وقال قتادة: هو بيان الحلال والحرام والشّرّائع، وهذا جزء من البيان العامّ، وقال قتادة: (الإنسان) آدم⁴.

1 ينظر: معجم مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر، دط، س 1979، مادة (ب ي ن)

2 سورة آل عمران: الآية 138.

3 سورة الرحمن: الآية 4.

4 الحزّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، دط، دس ج6، ص251.

إنّ ما تحمله لفظة بيان من دلالات معجميّة في أصلها اللّغوي ينعكس حتما على استعمالها الاصطلاحيّ، فالخطّابي اختار هذه اللفظة عنوانا لكتابه لأنّها تتناسب مع محتوى مؤلّفه، وإذا كان البيان بُعد الشّيء مع انكشافه ووضوحه شيئا فشيئا فهذا يوافق هدف الكتاب، إذ أنّ موضوع الإعجاز غمض على الكثيرين زمن الخطّابي وحالوا دون إدراك سببه، فمنهم من أرجعه إلى الصّرفة، وبعضهم إلى الإخبار بالأمر المستقبلية والآخر قصره على الإعجاز البلاغي فبانوا عن إدراك سبب الإعجاز وابتعدوا، وسعى الخطّابي إلى توضيح وتبيين سبب الإعجاز القرآني، وكشف مغاليقه رويدا رويدا، فجمع بذلك بين دلالتيّ البعد والوضوح شيئا فشيئا، كما أنّ انتقاء لفظة البيان يحمل دلالات دينيّة فقد سمّي القرآن نفسه بيانا، ووصف كلام الله بأنّه آيات بيّنات يفهمها العبد بعد التدبّر والتّبصّر.

"إعجاز القرآن": سبق وأنّ أصّلنا في مدخل الرّسالة لأصل استعمال التّركيب الإضافي (إعجاز القرآن)، وفي هذا المقام سنقتصر على ذكر تعريفه الجامع، الذي خلصنا إليه نتيجة التّأصيل: فإعجاز القرآن هو عدم قدرة العرب المعاصرين لنزول القرآن - الذين كفروا به - على معارضته، مع توقّر ملكّتهم البيانيّة، وموهبتهم البلاغيّة، وقيام الدّاعي على المعارضة، ووجود الباعث وهو استمرار التّحدّي.

واستمرار عدم قدرة الكافرين جميعا على اختلاف الأماكن والأقوام حتّى قيام السّاعة"¹.

¹البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، ص38.

وعليه يفهم من إسناد كلمة البيان إلى إعجاز القرآن¹ أنّ غاية الخطّابي من هذا الكتاب هي توضيح وإظهار أسباب إعجاز القرآن الكريم، رغم عمق هذا الموضوع ودقّته.

¹ يذكر أنّ تأليف بيان إعجاز القرآن للخطّابي، عاصره تأليف كتاب يحمل العنوان نفسه "بيان إعجاز القرآن" في بلاد المغرب للعلامة التونسي: "مكي بن أبي طالب" الذي عاش في الفترة الممتدّة من (355هـ _ 437هـ)، وله "انتخاب الجرجاني في نظم القرآن وإصلاح غلطه"، وهما كتابان مفقودان.

المبحث الثالث: قراءة في مقدّمة بيان إعجاز القرآن

سنحاول هنا _ مواصلة ما يرومه الفصل الأول من وصف عامّ لرسالة الخطابي _ التّعريف على المنهجية التي انتهجها الخطابي في رسالته، قبل دراسة محتواها، فما ابتدأت به الرسالة يبرز للقارئ أهميتها، وإشكالياتها، وموضوعها، وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي.

- **موضوع الكتاب:** تبين لنا من عنوان الرسالة أنّها ستطرح موضوع بيان إعجاز القرآن، أي إبراز وتوضيح معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، وإذا ما فتحت البيان يبادرك قول صاحبه: " قد أكثر الناس الكلام في هذا الموضوع، وذهبوا فيه كلّ مذهب من القول، وما وجدناهم بعدّ صدروا عن ريّ، وذلك لتعدّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كفيّته"¹، من هذا يتجلى أنّ موضوع الكتاب هو إعجاز القرآن الكريم، وقد استهلّ الخطابي القول في بيان إعجاز القرآن بوصف التأليف في موضوعه، وطريقة معاجة العلماء لهذا الموضوع، حيث إنّ البحث في موضوع إعجاز القرآن ليس كغيره من البحوث، لما يتمييز به من:

- الكثرة (قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب).

- الامتداد الزماني (قديمًا وحديثًا).

- تعدّد المذاهب (ذهبوا فيه كلّ مذهب).

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 21.

- تعذّر معرفة كيفيّته.....(وما وجدناهم بعدّ صدوروا عن ريّ لتعذّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن).

وبعدما كانت البحوث والكتابات حول الإعجاز القرآني كثيرة، ممتدّة عبر الأزمنة، ومتعدّدة لم يحقّق أصحابها الغايات، وما بلغوا المطالب، فقد تعذّرت عليهم معرفة وجه الإعجاز فيه، كما تعذّرت عليهم معرفة الأمر في كيفيّته، وكأنّ الخطابي يشير إلى تنوع الموضوع وعمقه.

فإذا كان مجال البحث في الإعجاز القرآني واسعا ثريّا يحفل بالتنوع، فإنّه بمقابل ذلك موضوع عميق يتطلّب مؤونة وزادا علميّا غزيرا لطالبه.

- أهميّته: المتأمل لقول الخطابي (قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا، وذهبوا فيه كلّ مذهب من القول، وما وجدناهم بعدّ صدوروا عن ريّ، وذلك لتعذّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيّته)¹، يدرك أهميّة كتاب إعجاز القرآن أيضا، فهو يبرز تمكّن مؤلّفه من موضوع الإعجاز القرآني، فبما أنّه يصف التّأليف فيه بالكثرة قديما وحديثا وتعدّد المذاهب، والآراء فإنّنا نفهم اطلاعهم عليها، لأنّه يملك نظرة شاملة عمّا ألّف في هذا الموضوع إلى عصره الذي عاش فيه.

ثمّ إنّّه صرّح بأنّ كلّ ما ألّف سابقا إنّما تعذّر على مؤلّفه الوصول إلى الغاية المرجوّة، فحكّمه على كلّ تلك التّصانيف بعدم تحقيق المرام يجعلنا نقف عند كلّ ما سيقوله هو في كتابه، لأنّ الإمام

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 21.

ينطلق في تأليفه من ركيزة علمية فحواها الاطلاع عمّا ألف سابقا، وهذا ما يوحي بأهمية كتابه، وثقل محتواه العلمي، كما نلمس في قوله كثيرا من التشويق والجذب للقارئ، وهذا من أبرز ما يجب أن تتوفّر عليه مقدّمات الكتب من استفزاز لانتباه القارئ وجذبه، ومن ثمّة طرحه تساؤلات عن محتوى الكتاب، وصولا إلى إقناعه بمضمونه.

- إشكاليته: أكد الإمام الخطابي أنّ كون القرآن الكريم معجزا وممتنعا الإتيان بمثله، أمر مفروغ منه ولا جدال حوله، والذي يصدّقه واقع الحال من انقطاع عن الإتيان بمثله إلى زمانه الرّاهن، فقد "نابذوه وناصره الحرب فهلكت فيه النفوس، وأريققت المهج، وقطعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولو كان في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلّفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يركبوا تلك الفواقير المبيّرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدّمت من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا مالا يفعله عاقل ولا يختاره ذولب...قلت: وهذا من وجوه ما قيل فيه _ أبينها دلالة وأيسرها مؤونة، وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة وجه الإعجاز فيه"¹، يبرز من هذا القول أبين وجوه الإعجاز وأظهرها، ويستمرّ الخطابي في ذكر أكثر وجوه الإعجاز شيوعا موضّحا رأيه فيها، ليقف عند إعجازه من جهة البلاغة وأنّ القائلين بها هم الأكثرون، لكن في "كيفية عرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامّة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصّفة للقرآن على نوع من التّقليد وغلبة الظّن، دون التّحقيق له وإحاطة العلم به، وإمّا هو إشكال أحيل به على إجمام"².

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 24.

2 نفسه، ص 25.

من هذا القول يمكن أن نلاحظ ذكر لفظة إشكال صريحة مرتين، وربطها بالإعجاز القرآني، وسبب تأثيره في النفس، ومنه يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية التي يطرحها الإمام في بداية كتابه، فكأننا به يقول: ماهي كيفة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وما علة تأثيره في النفوس؟

- أهدافه: ممّا سبق توضيحه في تقديم كتاب الخطابي وبدايته، يمكننا حصر أهداف الكتاب فيما يلي:

- طرح موضوع إعجاز القرآن بغية توضيح وتبين ما التبس منه.
- ذكر أبرز وجوه الإعجاز المعروفة وقتئذ.
- مناقشة تلك الوجوه وتحليلها والتعقيب عليها، ونقد مالا يتوافق مع رؤية الخطابي بالحجج كالإعجاز بالصرفة.
- إبراز أهمية الإعجاز البلاغي وتوضيح كيفة وسببه.
- علة تأثير القرآن الكريم في النفوس.

الفصل الثاني

مقومات الكلام وأجناسه

عند الخطّابي

تمهيد:

قبل أن يدلف الإمام الخطابي إلى موضوع الإعجاز ويذكر أسبابه، وضح لنا رأيه في قضية أصل اللغة إجمالاً، فالقرآن كلام الله وكتابه المسطور لا بدّ من التّأصيل لكلّ ما يخصّه قبل التّطرّق إلى إعجازه، وعرّج بعدها إلى توضيح العناصر الأساسيّة التي يقوم عليها الكلام بصفة عامّة قائلاً: " وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"¹.

فالمتملّ يرى أنّ الخطابي قصّر قيام الكلام عامّة على ثلاثة أشياء هي: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهذا اللفظ والمعنى ناظم، مستعملاً (إنّما)، فاللفظ والمعنى يمثّلان النّواة الأساسيّة لقيام الكلام مع رباط متعلّق بهما، وناظم لهما، ومن استعمال الإمام الخطابي للفظ (يقوم) أسمىنا (اللفظ والمعنى ورباطهما) مقومات الكلام، فهي عناصره الأساسيّة التي لا يكون دونها، ولا تقوم له قائمة إلّا بها.

ومعلوم أنّ موضوع اللفظ والمعنى موضوع مهمّ من مواضيع البحث العلميّ، فلطالما سمعنا عن مسألة اللفظ والمعنى أو قضية اللفظ والمعنى، أو ثنائيّة اللفظ والمعنى، أو زوج اللفظ والمعنى التي: "هيمنت على تفكير اللّغويين والنّحاة، وشغلت الفقهاء والمتعلمين، واستأثرت باهتمام البلاغيين

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

والمشتغلين بالنقد، نقد الشعر والنثر، دع عنك المفسرين والشراح الذين تشكّل العلاقة بين اللفظ والمعنى اهتمامهم العليّ والصريح¹.

وقد تناول العلماء العلاقة بينهما منذ زمن بعيد، فقد رأى اليونانيون مثل أفلاطون وأستاذه سقراط والسفسطائيون أنّ الصلة بين الألفاظ ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية، أي أنّها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها المخصّصة لها، مع إدراكهم لكون هذه الصلة قد تنقطع نتيجة تقادم العهد أو تطوّر الأصوات، وإن لم يستطيعوا إثبات هذه الصلة في بعض الألفاظ، ورفض أرسطو فكرة أستاذه أفلاطون فرأى أنّها صلة عرفية اصطلاحية يتواضع الناس عليها في مجتمع ما، وأشار إلى قضية اللفظ والمعنى حين تحدّث عن المسرحية والملحمة والخطابة، فتطرّق إلى سلامة الفكرة، والحقيقة الشعرية في العمل الأدبي، ويرى سقراط أنّ بعض الألفاظ لها صلة طبيعية بالمعنى، وليس لبعضها الآخر صلة طبيعية، وإنّما اصطلاح الناس على الألفاظ لتدلّ على المعاني التي يريدون التعبير عنها، فترسّخت في الأذهان عن طريق الاستعمال والتكرار².

¹ اللفظ والمعنى في البيان العربي، محمد عابد الجابري، مجلّة فصول، المجلّد السادس، العدد 1، س1985، ص 21.

² ينظر: فنّ الشعر، أرسطو، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دس، ص114.

واهتمّ الهنود بعلاقة اللفظ والمعنى، حيث بدأ عدد كبير من فلاسفتهم مناقشة هذه العلاقة، فتحدّثوا عن ثلاثة أقسام متعلّقة بما مختلفة في جوهرها، وهي: الكلمة، الإدراك، المحتوى فاصطبغت تحليلاتهم لعلاقة اللفظ والمعنى بصيغة لاهوتية أو فلسفية¹.

ومال العرب قديما إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله لما رأوا ما للعربية من ميزات قلّما توجد في غيرها، فتلّمسوا معانيها من الأصوات المجردة، حيث قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ): "اعلم أنّ من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين"، قال الخليل: كأهمّ توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاء، فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر².

وورد في صحيفة بشر بن المعتمر (ت 210هـ) قوله: "ومن أراد معن كريما فليتمس له لفظا كريما، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف"³.

1 ينظر: العلاقة بين اللفظ والمعنى من السقراط حتى علم الهرمينوطيقا، كاظم عظيمي، ديوان العرب، 12 أبريل 2010.

² معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج1، ص56.

³ ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص136.

وأشار الجاحظ (ت 255هـ) إلى أهميّة اللفظ ودوره في الصياغة الأدبيّة¹، كما أولى أبو هلال العسكري (ت 395هـ) عناية كبيرة للفظ وقدمه على المعنى²، وهناك من فصل بين اللفظ والمعنى فصلا لا يبين ترجيحاً لأحدهما على الآخر، كابن قتيبة (ت 276هـ)³، وابن طباطبا العلوي (ت 322هـ) يقول: "وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي كلّها كالعرض للحجارية الحسناء التي تزداد في بعض المعارض دون بعض، وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"⁴، وهناك من نظر إليهما على حدّ السواء، فلم يقصر جودة الشعر على اللفظ ولا على المعنى فعل قدامة بن جعفر (ت 337هـ)⁵.

وممن اهتم بقضيّة اللفظ والمعنى من التّقاد المغاربة: عبد الكريم التّهشلي (ت 405هـ)، يقول تلميذه ابن رشيّق (ت 456هـ) في العمدة: "قال عبد الكريم، وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرا في شعره وتأليفه: الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل، قال ابن الحدّاق: المعنى مثال واللفظ حدو، والحدو يتبع المثال ويتغيّر بتغيّره ويثبت بثباته"⁶.

¹ ينظر: نفسه، ج 1، ص 78، وينظر: النظريّات اللسانيّة والبلاغيّة والأدبيّة عند الجاحظ من خلال البيان والتبين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، س 1983م، ص 78.

² ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط 2، س 1989م، ص 164، 201.

³ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، ج 1، ص 64، 65.

⁴ ينظر: عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تح: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، ص 8.

⁵ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، ص 11.

⁶ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيّق القيرواني، ج 1، ص 256.

وردّ أبو إسحاق بن إبراهيم الحصري القيرواني (ت 453هـ) رأي الجاحظ في مسألة اللفظ والمعنى، محتذياً طريقه في الاحتفال باللفظ وتقديمه على المعنى¹.

وأفرد ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) باباً في عمدته خصّصه للفظ والمعنى، يقول: "اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الجسام من العرج والشلل والعمور، وما اختلّ بعضه كان للفظ من ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح"².

وفسّر المعتزلة الظواهر اللغوية تفسيراً عقلياً، فقد نسب السيوطي (ت 911هـ) إلى عباد بن سليمان الصيمري رؤيته أنّ بين اللفظ ومدلوله صلة طبيعية حيث لم توضع الألفاظ إزاء المعاني اعتباراً، وإمّا اختيار لكل لفظ معناه الذي توحى به أصواته، حيث يروى عن بعض من تابعه على رأيه هذا أنّه كان يقول بأنّه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عن معنى كلمة: (إذغاغ) وهي بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيها يبسا شديداً، وأراه الحجر³.

1 ينظر: قضية اللفظ والمعنى في الخطاب النقدي المغاربي حتى منتصف القرن الخامس للهجرة، الشيخ بوقرية، مجلّة الفضاء المغاربي، ص 145.

2 العمدة، ابن رشيق، ج 1، ص 252.

³المزهر، السيوطي، ج 1، ص 47.

لكن هذا القول يجاوز حدّ المعقول، ولو كانت اللغة بكاملها محاكاة للطبيعة لما تعدّدت لغات العالم، ولكان للعالم لغة واحدة لا غير، لكنّه يحمل شيئاً من الصّواب فيما يتعلّق ببعض ألفاظ اللّغة، وليس كلّها.¹

كما فسّر ابن دريد الأزدي (ت 321هـ) في كتابه الاشتقاق تسمية العرب أبنائهم بالعلاقة الطّبيعيّة قائلاً: "واعلم أنّ للعرب مذاهب في تسمية أبنائها، فمنها ما سمّوه تفاعلاً على أعدائهم غالب وغلاب.. ومنها ما سمّي بالسّباع ترهيباً لأعدائهم نحو: أسد وليث وفراس.."².

ولم يخل كتاب الخصائص لابن جني (ت 392هـ) من أبواب تختص بعلاقة اللفظ والمعنى³، كباب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وباب الاشتقاق الأكبر، وباب: تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب إمساس الألفاظ أشباه المعانين وباب في قوّة اللفظ لقوّة المعنى⁴.

وربط عبد القاهر الجرجاني (ت 470هـ) بين الألفاظ ومعانيها عندما كان بصدد إبراز نظريّة النّظم في دلائله⁵.

¹ ينظر: الألفاظ ومعانيها كانت رموزاً لدلالاتها، إبراهيم أنيس، الكويت، مجلة العربي الكويتية، العدد 100، آذار 1967م، ص 134.

² الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأنصاري، تح: عبد السلام هارون، مكتبة المثقّى، بغداد، دط، س 1979، ص 6.

³ ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصّالح، دار العلم للملايين، لبنان، ط 13، س 1997، ص 141.

⁴ ينظر: الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 145.

⁵ ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص 95.

وعُني حازم القرطاجي (ت 684هـ) في سراجِه بربط اللَّفظ والمعنى مع الخيال يقول: " واعلم أنّ النسب الفائقة إذا وقعت بين هذه المعاني المتطالبة بأنفسها على الصورة المختارة... كان ذلك من أحسن ما يقع في الشعر"¹.

وفيما يأتي من هذه الدراسة سنقف عند ما تفرّد بذكره الخطابي عن اللَّفظ والمعنى، وربطهما بالإعجاز القرآني.

¹منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي، تح: محمد الحبيب بن خوجة، ص44/45.

المبحث الأول: أصل اللّغة

سنتناول في هذا المبحث موضوع أصل اللّغة عند الخطّابي، ومدى ارتباطه بمسألة إعجاز القرآن الكريم، حيث نتوقّف أولاً عند رأي الخطّابي في كون اللّغة توقيف أو اصطلاح.

هل اللّغة توقيف؟

يرتبط موضوع أصل اللّغة أو نشأتها بعلوم اللّغة بما فيها علم الدلالة حيث يستدعي طرح قضية أصل اللّغة قضايا أخرى بعدها كصلة اللّغة بالفكر، وصلة اللفظ بالمعنى، وقد تعدّدت الأقوال في أصل اللّغة، وتباينت الآراء فيه منذ القديم، كنظرية المحاكاة والتقليد، ونظرية النشوء والتناسل، ونظرية الغريزة الكلامية، ونظرية التوقيف القائلة بأن اللّغة هبة من عند الله تعالى لا شأن للإنسان فيها سوى قيامه بدور المتلقي أو المتعلم، ولعلّ أوّل من قال بهذا الرأي الفيلسوف اليوناني هيرقليطس حين أفصح أن: "الأسماء تدل على مسمياتها بالطبيعة لا بالتواطؤ والاصطلاح، وأن هذه الأسماء قد أعطيت من لدن قوّة إلهية لتكون أسماء مسمياتها"¹.

وقد لقيت هذه النّظرية رواجاً واسعاً بين العلماء المسلمين واليهود والمسيحيين، حيث ورد في التوراة: "والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول، وجميع طيور السّماء، وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له آدم، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات المستأنسة وطيور السماء ودواب الحقل"،

¹الوجيز في فقه اللّغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، دس، ص56.

وفي الإنجيل ذكر أن " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وهذا ما ذهب إليه الأب لامي في كتابه فن الكلام.¹

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَعَلَّمَ عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَتَشِينِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾².

وقال ابن فارس بتوقيف اللغة، فعلمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض، وسهل، وجبل، وجمل، وحمار، وأشبه ذلك في الأمم وغيرها.³

وبرر القائلون بتوقيف اللغة مذهبهم بحجج من القرآن الكريم نقلية وحجج أخرى عقلية، مثل قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾⁴ ، فالأسماء كلها معلمة من عند الله تعالى بالنص، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيئُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾⁵ ، فإطلاقهم أسماء غير توقيفية يقتضي كون البواقي توقيفية، وكذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

¹ الإنجيل المقدس، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول/1.

² سورة البقرة، الآية 31.

³ ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، ط1، س1998م، ج1، ص8، 10.

⁴ سورة البقرة، الآية: 31.

⁵ سورة النجم، الآية: 23.

وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾¹ والمراد بالألسنة اللغات، والدليل العقلي هو أنه لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتج في التخاطب ببعضها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام ويلزم، أما الدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال، وعليه لا بد من الانتهاء إلى التوقيف.²

ووافق الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) هذه الآراء بقوله: "لعل الله ألهم آدم الحاجة إلى وضع الأسماء، فوضعها بتدبيره وفكره، ونسب ذلك إلى تعليم الله تعالى، لأنه الهادي والملهم، أو لعل الله علم آدم لغة كان قد اصطلاح عليها الجن أو فريق من الملائكة، ولعل آدم تعلم اللغة ثم نسيها، أولم يعلمها غيره، ثم اصطلاح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة".³

كما وافق الإمام الخطابي رأي شيخه الإمام الشافعي في الرسالة إذ قال: "لا يحيط باللغة إلا نبي"⁴، وهذا ما أورده في أكثر من مرة، فهو القائل حيناً: "وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمر منها: أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكتمل معرفتهم لاستيفاء جميع

1 سورة الروم، الآية: 22.

2 ينظر: دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، نشر في 2019، ص 197، 198، 199.

3 المستصفي في علم أصول الفقه، الإمام الغزالي، المكتبة العصرية، دط، دس، ص 181.

4 جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، دط، دس، ج 2، ص 105 و 106.

وجوه النظم التي يكون بها ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله¹، فالخطابي ههنا يقول بأن لا أحد من البشر يستطيع الإحاطة باللغة ألفاظا ومعاني ونظوما، وهو يربط هذه المسألة ربطا مباشرا بالإعجاز، وقال حينما آخر " إنما قدّمنا من بيان أوصاف بلاغة القرآن، وذكرنا من شرائطها ما أسقطنا به عن أنفسنا هذا السؤال وزعمنا أنّها أمور لا تجتمع لأحد من البشر، ولا يجوز أن تأتي عليها قدرته²، ويواصل الخطابي التوضيح في موضع آخر، مستشهدا بمن سبقه من القائلين بهذا الرأي حيث قال: " وقد قال بعض العلماء في الأسماء اللغوية وهي نوع واحد من الأنواع الثلاثة التي شرطنا أنه لا يجوز أن يحيط بها كلّها إلا نبي³."

فالملاحظ أنّ موقف الخطابي من هذا الموضوع ثابت وجليّ، فلا يحيط باللغة من البشر غير نبيّ مؤيّد بوحى الله تعالى.

— أصل اللغة والإعجاز القرآني:

إنّ قول الخطابي بتوقيف اللغة يعدّ منطلقا مهمّا، وأساسيا ممهدا لما سيأتي من آراء، ويكشف أفكارا أخرى له متعلّقة بموضوع اللفظ والمعنى، وأهميته وصلته بالإعجاز القرآني، فإذا قال الإمام الخطابي بتوقيف اللغة وعلوية مصدرها فإنّ هذا ينعكس على ما سيأتي من أفكار له، ويكون بمثابة

1 الرّقاني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، دط، دس، ص 27.

2 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 35 و 36.

3 المرجع نفسه، ص 36.

القاعدة الصلدة التي بنى عليها ما يلي من آراء، وعليه فمنطلق الإعجاز ومنبعه الأول مردّه إلى مصدر اللّغة الأوّل بما أنّها توقيف من عند الله سبحانه وتعالى.

فكون اللّغة توقيفة من عند الله تبارك وتعالى، وتأييد الخطابي نظريّة التّوقيف ينسحب على ما يلي من أفكاره، ففائقيّة القرآن الكريم وإعجازه مستمدّ بداية من مصدر اللّغة السّماوي أوّلاً.

يقول ابن عطية في هذا السّياق: "ووجه إعجازه أنّ الله تعالى قد أحاط بكلّ شيء علماً، وأحاط بالكلام كلّ علماً، فإذا ترتبت اللفظة في القرآن علم بإحاطته أيّ لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبيّن المعنى بعد المعنى، ثمّ كذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والدّهول، ومعلوم ضرورة أنّ بشراً لم يكن قطّ محيطاً، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة"¹.

¹المحرّر الوجيز، ابن عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، س1993، ج1، ص49.

المبحث الثاني: مقومات الكلام

اتّبع الإمام الخطابي في بيانه منهجية علمية اعتمدت بالتدرج والتأصيل، بغية الوصول إلى بيان الإعجاز القرآني، فإن كان استهله بذكر الوجوه المشهورة للإعجاز والتعقيب عليها، ثمّ وقف عند مكن الإشكال والاختلاف في الإعجاز اللغوي أو البلاغي للقرآن الكريم، فإننا نلّفه أسس جيّدا لهذه المسألة كي يجلي عنها الريب والغموض، فأوضح رأيه في أصل اللغة، وعرّج على تعريف اللفظ والمعنى، وهي السبيل المثلى لتحقيق البيان. والملاحظ أنه في تعريف المصطلحات استعمل كلمات دقيقة وذات دلالات علمية، وإذا جرى في كتب اللغة والنحو أن يخصّص الباب الأوّل منها لدراسة "أجزاء الكلام"، أو ما يعرف بـ (أنواع الكلام)، أي: الاسم، والفعل، والحرف، وهو تقليد تعود بدايته إلى كتاب سيبويه¹، فإننا سنتطرق فيما يلي إلى: مقومات الكلام عند الخطابي (اللفظ والمعنى والنظم الرابط لهما).

- ماهية اللفظ والمعنى عند الخطابي:

1_ اللفظ:

قال الخطابي معرّفاً للألفاظ في بيانه: "ألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها"².

¹ ينظر: التراث اللغوي العربي، بوهاس، جيوم، كولوغلي، تر: محمد حسن عبد العزيز، وكمال شاهين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، س 2012، ص 87.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 27.

وقال: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"¹.

- اللفظ ظرف حامل: وردت في معاجم اللغة العربية مادة (ل ف ظ) بأنها تعني الطرح مطلقاً وأما

" الالفاظة فهو الديك لصوته، وللرحى لطح الحبوب المطحونة، ويقال: لفظ الكلام يلفظ لفظاً"².

وجاء في تهذيب اللغة: " واللفظ في الأصل مصدر لفظت الرّحى الدقيق إذا رمته إلى الخارج،

والمراد باللفظ هنا الملفوظ به وهو الصوت من الفم المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقاً

كزبد، أو تقديراً كالألفاظ الضمائر المستترة، وسمي الصوت لفظاً لكونه يحدث بسبب رمي الهواء من

داخل الرّثة إلى خارجها إطلاقاً لاسم السبب على المسبب"³.

والفعل لفظ يعني رمى، واللفظ الرمي، جاء في لسان العرب: لفظت الشيء من فمي ألفظه لفظاً:

رميته، يقال: أكلت الثمر ولفظت النواة أي رميتها"⁴.

واللفظ اصطلاحاً: " ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه، مهملاً كان أو مستعملاً"⁵.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

² ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس القزويني، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1979م، ج 5، ص 259.

³ شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهرى، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2000م، ج 1، ص 15.

⁴ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ل ف ظ)، ج 7، ص 461.

⁵ التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 192.

ويعرّف بأنّه: "بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتاً، وما هو حرف واحد وأكثر مهملاً أو مستعملاً، صادراً من الفم أولاً، لكن حصّ في عرف اللّغة بما صدر من الفم من الصّوت المعتمد على المخرج حرفاً واحداً أو أكثر، مهملاً أو مستعملاً، فلا يقال لفظ الله، بل يقال كلمة الله. وفي اصطلاح النّحاة ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف واحداً أو أكثر، أو تجري عليه أحكامه كالعطف والإبدال، فيندرج في حينئذ كلمة الله، وكذا الضّمائر التي يجب استئثارها، وهذا المعنى أعمّ من الأوّل، وأحسن تعاريفه على ما قيل: صوت معتمد على مقطع حقيقة أو حكماً، فالأوّل: كزيد، والثاني كالضمير المستتر في قم المقدّر بأنّ¹".

كما عرّف بأنّه: "الحامل المادّي والمقابل الحسّي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنيّة مجردة، وأهمّ ما يميّزه أنّه منطوق"².

وقال القزويني (ت 682هـ): "الألفاظ قوالب المعاني فهي على قدرها بحسب الوضع"³.

¹ الكليّات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1993، ص795.

² ينظر: التّكت في تفسير كتاب سيويه، الأعلام الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ت 476هـ)، تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1999م، ج1، ص200.

³ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة لبنان، ط1، س 2003، ص20.

وقال بهذا الرأي الفلاسفة المسلمون، إذ عدّوا الألفاظ حاملة للمعاني ودورها هو توصيل المعاني والخلاف فيها شكليّ، إنّما يهتمّ به أهل النوك والجهل كما يقول ابن حزم (ت 456هـ)، أو أنّه يجب ترتيب المعاني أولاً، ليكون ترتيب الألفاظ في مرحلة لاحقة كما يقول الغزالي¹.

واهتمّ الفارابي (ت 339هـ) بدراسة الألفاظ " بل إنّّه وضع لها علماً خاصّاً سمّاه علم الألفاظ التي قسّمها إلى سبعة أقسام وهي: علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركّبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما ترّكب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر...²" إذن يصير الشعر أكمل وأفضل بألفاظ ما محدودة إمّا غريبة وإمّا مشهورة، وبأن تكون المعاني المفهومة عن ألفاظها أمورا تحاكي الأمور التي منها القول، وأن تكون بإيقاع، وأن تكون مقسومة الأجزاء³.

ف"إذا كان الفارابي منطقيّاً فإنّ المنطق يقرّ بالعقل والاستدلال، ومن ثمّ فالألفاظ تكون شكلاً مؤدّيّاً لمضمون ما وهو المعنى، فكأنّ المعاني تصوّرات والألفاظ قوالب مجسّدة، مؤدّية مشكّلة محقّقة لتلك التّصوّرات"⁴.

¹ ينظر: المنطق وأصول الفقه، أحمد ولد محمّد محمود، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ص 55. الغزالي المستصفي، ابن حزم التقريب لحد المنطق.

² إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، تحقيق وتعليق وتقديم: عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1949م، ص 159.

³ جوامع الشّعري، الفارابي، تح: سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، س 1971، ص 171.

⁴ إشكاليّة اللفظ والمعنى عند اللّغويين العرب القدامى، مجلّة بحوث، جامعة الجزائر، العدد 12، الجزء الأوّل، س 2018، ص 78، 79.

ويقول ابن سينا (ت427هـ): "فما يخرج بالصوت يدلّ على ما في النفس وهي تسمى آثارا،

والتي في النفس تدلّ على الأمور وهي التي تسمى معاني"¹.

مما سبق ذكره لتعريف اللفظ لغة واصطلاحاً يمكننا أن نقول: إنّ التعريف المقتضب للألفاظ

الذي أورده الخطابي في بيانه، وقوله بأنّ اللفظ حامل للمعنى، وظرف له ليحمل الكثير من الدلالات

التي وضّحها الفلاسفة من بعده، كالفارابي وابن سينا، فاللفظ حسب الخطابي يحمل المعنى، ويستوعبه

بغية تأديته وإيصاله.

وهذا إنّما يدلّ على أهميّة الألفاظ في تبليغ المعاني، ولولاها لظلت خفيّة حبيسة النفس، ولا نبالغ إذا

قلنا إنّ الخطابي في تعريفه للفظ اتّسم بالطرح الفلسفيّ الإبداعي، فلم يكتف بتعريفات موروثه

سابقة، بل تميّز بتعريف اللفظ على نحو ما رأينا.

2- المعنى:

إذا عاد الباحث إلى معاجم اللّغة العربيّة متتبّعاً مادّة (ع ن ي) ألفاها تدلّ على "القصد

والإرادة"².

¹ علم الدلالة، عبد الجليل منقور، ص144.

² لسان العرب، مادّة (ع ن ي)، ج15، ص106.

جاء في القاموس المحيط: "عنوت الشيء: أبديته، عنوت به: أخرجته ... أعناء السماء نواحيها، أعناء من القوم: من قبائل شتى، وإحدهما: عنو، عنت الأرض بالنبات: أظهرته .. وعنق القرية بماء كثير: لم تحفظه فظهر"¹.

"عنى بالقول كذا يعني أراد وقصد، ومنه المعنى ومعنى الكلام ومَعْنِيَّتُهُ بكسر النون مع تشديد الياء، ومعناته مَعْنِيَّتُهُ أي فحواه ومقصده"².

وعرّف بأنّه المفهوم من ظاهر اللفظ الذي نصل إليه بغير واسطة³.

يمكن القول ممّا سبق إنّ الدلالة المحوريّة للجذر ع ن ي هي الظهور، والقصد والإرادة. جاء في التعريفات ما يلي: "المعنى ما يقصد بشيء، المعنوي وهو الذي لا يكون للسان فيه حظّ، وإمّا هو معنى يعرف بالقلب"⁴.

- معنى به قائم:

إنّ ما قاله الشّريف الجرجاني (ت816هـ) يقارب ما قاله الخطّابي عن المعنى مختصراً في: معنى به قائم، وكأنّنا بالمعنى وحده دون لفظ، يظلّ رهين النّفس، حبيسا لا يظهر إلا إذا حمله اللفظ،

1 القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادّة (ع ن ي) ج، ص.

2 الرّيدي، تاج العروس، تح: عبد المجيد قطوش، مؤسسة الكويت، الكويت، ط1، 2002، ج39، ص122.

3 ينظر: الكلّيات، الكفوي، ص842.

4 التعريفات، الشّريف الجرجاني، مكتبة لبنان، لبنان، 1985م، ص236.

وهاتان لبنتا الكلام الأوليين، والذي يوضّح قولنا أكثر في تفسير كلام الخطابي هو ضمير الهاء في الجار والمجرور: به، فالمقصود أنّ المعنى قائم باللفظ، وليس قائما وحده بنفسه، أو مكتف بذاته، ويتّضح قصد المتكلم فيظهر المعنى الذي يريده، متوسّلا اللفظ الحامل له.

وتكتمل أركان الكلام بعد اللفظ والمعنى، بالنّظم المتعلّق بهما معا (اللفظ والمعنى)، فإذا اختير اللفظ المناسب للمعنى المناسب لا بدّ من رباط ناظم لهما.

الشكل رقم 2-1: مقومات الكلام



المصدر: إعداد الطالبة

- علاقة اللفظ والمعنى:

إنّ اللفظ والمعنى قطب الرّحى في علم الدّلالة، وقد شكّلا معا ثنائيّة شغلت بال الدّارسين قديما وحديثا، ولم يعرض الخطّابي زوج اللفظ والمعنى كغيره بأن ينتصر للفظ على حساب المعنى أو العكس _ كما سبق ورأينا _ فهو لم يقع في شَرِك المفاضلة بين أحدها على الآخر، بل نجده ينتهج سبيلا خاصّا به، حيث صنّف أنواع الألفاظ جاعلا منها: " البليغ الرّصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السّهّل، ومنها الجائز الطّلق الرّسل"¹ وهذا لا يعني أن مرجع الإعجاز إلى اللفظ وحده، بل يجمع الألفاظ والمعاني والنّظوم معا، وعليه فصلة اللفظ والمعنى عند الخطّابي لا تقتصر على عدّهما زوجا يفضّل أحدهما على الآخر، وإتّما هما مترابطان يقول: " ولم تقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركّب الكلام دون ما يتضمّنه من ودائعه التي هي معانيه، وملايسه التي هي نظوم تأليفه"² ، ويقول في السياق ذاته: " وإتّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"³ ، وعليه لا يمكن الاستغناء عن اللفظ أو المعنى فهما متلازمان، ولا يمكن إبخاس أحدهما حقّه، لأنّ العلاقة الرّابطة بينهما هي علاقة تكاملية يخدم بفضلها كل عنصر العنصر الآخر، ليتمّ بفضل هذا التّضافر حصول البلاغة التي يقوم عليها الإعجاز القرآني.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 36.

³ المرجع نفسه، ص 27.

إلا أننا إذا تتبعنا هذه المسألة بدقّة في البيان نجد الخطابي يقول: "ألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها"¹، فقد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنّه يناقض قوله السابق، وينتصر للمعنى ويفضّله، لكن سرعان ما يجد الباحث ما يشفي غليله العلمي في هذا الأمر عندما يقرأ قوله: "فأمّا المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشدّ، لأنّها نتائج العقول وولائد الأفهام، وبنات الأفكار، وأمّا رسوم النّظم فالحاجة إلى الثّقافة والحدق فيها أكثر لأنّها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكّل بها البيان"²، في هذا القول يتأكّد الباحث بأنّ الخطابي يثبت الصّلة المتينة بين اللفظ والمعنى والنّظم، وأنّ كل واحد منها يكمل الآخر، حيث يقرّ بأنّ اللفظ والمعنى جزآن منفصلان، مخالفًا بذلك القائلين بعلاقة الهُوّهويّة³ بين اللفظ والمعنى، فاللفظ جزء والمعنى جزء من الكلّ وليس هُوَ هُوَ، إلا أنّ التّماهما و النّظم يصنع الكلّ فيتشكّل البيان، وهذا الطّرح الرّائد يجعل الخطابيّ يتميّز بنظرات عميقة، وفكر وقاد، وسليقة لغويّة وهّاجة مكنته من الغوص في مثل هذه الدّقائق والأسرار وسبر أغوارها.

ولأنّ الخطابي كان مطلعًا على مؤلّفات سابقيه، ورسم وجهة محدّدة وهي بيان إعجاز القرآن، نجد قوله فصلا في علاقة اللفظ والمعنى، بعيدا عن الصّراعات وتعدّد المذاهب كمن سبقه، ولم تجرّفه التّيّارات السّائدة وقتئذ بسوق أحاديث في فضل اللفظ عن المعنى أو العكس، بل تسامى طرحه

1 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

2 المرجع نفسه، ص 36.

3 ينظر عبد المجيد الزروقي، أحكام الغلط دراسة في المنهجية التشريعية، دار الكتب العلميّة، لبنان، دس، ص 192.

العلمي فعرف اللفظ، والمعنى ووضح العلاقة القائمة بينهما، وبعمله هذا جعلهما ركيزتين مهمتين لموضوع الإعجاز القرآني، فتجاوز الأحاديث التي كانت لصيقة باللفظ والمعنى، لأنّ الخلاف فيها شكلي.¹

مما جعله يبرز لنا أهميتهما الكبيرة في موضوع الإعجاز، ويبيّن لنا منطلق هذا الإعجاز ولبنته الأولى (اللفظ والمعنى)، فكان فعله بيانا بحقّ، يقول: " ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركّب الكلام دون ما يتضمّنه من ودائعه التي هي معانيه، وملايسه التي هي نظوم تأليفه"².

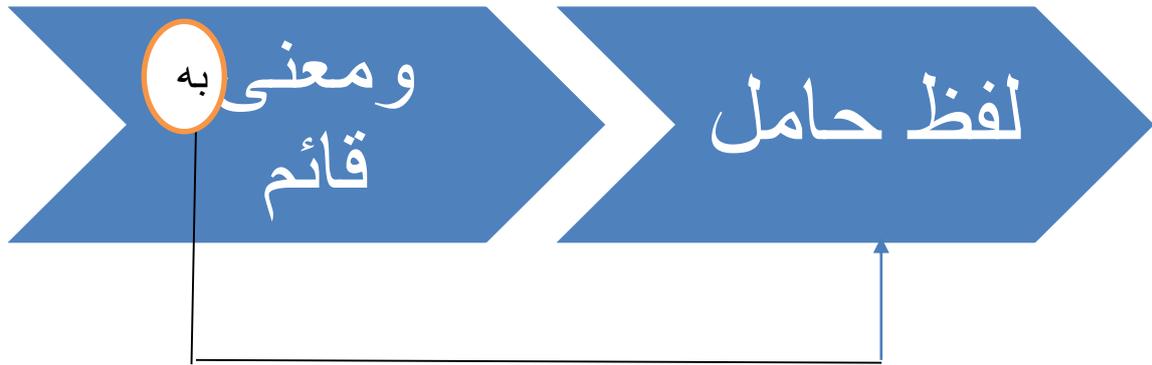
وقال: " فأما المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشدّ لأثّها نتائج العقول وولائد الأفهام، وبنات الأفكار، وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر، لأثّها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكّل بها البيان"³.

¹ ينظر: المنطق وأصول الفقه، أحمد ولد محمد محمود، ص 55. ابن حزم التقريب لحد المنطق.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 36.

³ المرجع نفسه، ص 36.

الشكل رقم 2-2: علاقة اللفظ والمعنى



المصدر: إعداد الطالبة

- النظم:

جعل الإمام الخطابي النظم الرابط للفظ والمعنى المقوم الثالث من مقومات الكلام، ورغم وجود اللفظ والمعنى فإن انعدم الرباط الناظم لهما لا تقوم للكلام قائمة، ومع أنّ الخطابي كان رائداً في طرحه لموضوع الكلام ومقوماته، من لفظ ومعنى ونظم إلا أنّ دراساته لم تلق ما لقيه غيره من العلماء من شرح وتوضيح. كما هو الشأن في نظرية النظم التي ذاع صيتها، وارتبطت نسبتها بعدد القاهر الجرجاني، يقول أحد الباحثين:

" إنَّ النّظم عند عبد القاهر الجرجاني يعدّ نظيراً للنّسج، والتّأليف، والصّيغة، والتّحبير، والبناء والوشى وغير ذلك ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، وهو بذلك يتلاقى مع أشهر النّصّيين الذين يرون النّص نسيجا من الكلمات يترابط بعضها ببعض، كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كليّ متماسك"¹.

إنّ المتصحّح لبيان الخطّابي يجد الإمام يذكر النّظم في أكثر من موضع، وبعد أن جعله ركيزة من ركائز الكلام بل ومكوّنا ضروريّا لقيامه، فقد ربطه بإعجاز القرآن الكريم ربطا وثيقا، كما فعل بالنّسبة إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، " فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمضادّين لأنّ العدوبة نتاج السّهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كلّ واحد منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن، يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بيّنة لنبيه ودلالة على صحّة ما دعا إليه من أمر دينه"²

وقال في موضع آخر: " لا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النّظوم التي يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض"³.

¹ نسيج النّصّ، الأزهر الزّناد، المركز الثّقافي العربي، بيروت، س 1993، ص 12.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 26.

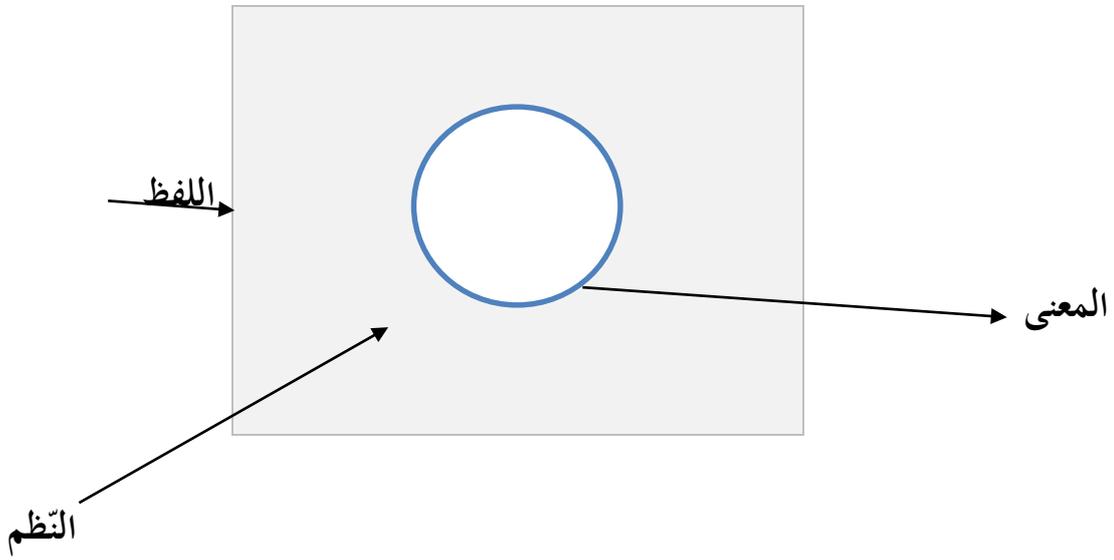
³ المرجع نفسه، ص 27.

وقال: "فتفهّم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف مضمّناً أصحّ المعاني"¹.

وقال: "ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين شتاها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرهم"².

ويمكن إبراز العلاقة الرّابطة بين مقومات الكلام الثلاثة (اللفظ/ المعنى/ النّظم) في الرّسم التّخطيطي التالي:

الشكل رقم 2-3: العلاقة بين مقومات الكلام



المصدر: إعداد الطالبة

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

² المرجع نفسه، ص 28.

إن الأقوال المستقاة من بيان الخطابي لتثبت ريادته في الإشارة إلى موضوع النظم دون منازع، إلا أننا نقتصر في هذا الموضوع على ذكر النظم مقوماً من مقومات الكلام، على أن ندرسه بتفصيل أكثر في موضع ارتباطه بالإعجاز القرآني في الفصل الثالث.

وما يمكن التّركيز عليه ههنا هو أنّ الخطابي عرّف مقومات الكلام، ووضّح وظائف كل مقوم على حدة، ويمكن تلخيص أقواله بخصوص وظائف كلّ مقوم من مقومات الكلام في الرّسم التّخطيطي التّالي:

الشكل رقم 2-4: وظائف المقومات الكلامية



المصدر: إعداد الطالبة

المبحث الثالث: أجناس الكلام

قسّم الإمام الخطابي الكلام في بيانه إلى أجناس، وذكر أوصاف كلّ واحد منها ممهداً كلامه لتفرد القرآن الكلام عن غيره، وتبيين إعجازه.

- تعريف "أجناس الكلام":

تبين مما سبق أنّ الكلام لا يقوم إلا إذا توفرت عناصره الثلاثة حسب الإمام الخطابي ألا وهي: اللفظ الحامل، والمعنى الذي هو باللفظ قائم، والنظم الرابطة لهما، وبعد توفّر هذه العناصر يمكن أن يقسّم الكلام إلى أجناس، وبالعودة إلى المعنى المعجمي للفظه أجناس نجد التالي: "جنس: أعم من النوع، وهو كلّ ضرب من الشيء، فالإبل جنس من البهائم، ج: أجناس وخنوس .. وقول الجوهري عن ابن دريد إنّ الأصمعيّ كان يقول: الجنس: المجانسة من لغات العامة غلط، لأنّ الأصمعيّ واضع كتاب الأجناس هو أوّل من جاء بهذا اللقب"¹.

يتّضح من هذا القول أنّ الأصمعي (ت 216هـ) هو أوّل من استعمل مصطلح الأجناس، لابل عنون به كتاباً كاملاً، وبعده ألف القاسم بن سلام الهروي (ت 224هـ) كتاب الأجناس من

¹ القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (ج ن س).

كلام العرب وما اشبهه في اللفظ واختلف في المعنى، أورد فيه الكلمات المتشابهة في اللفظ المختلفة في المعنى¹.

من هذا نستنتج أنّ مصطلح الأجناس استعمل في الألفاظ متشابهة المباني مختلفة المعاني، يقول جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) في المزهري: أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق: ومن كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين².

هو ما يقابل أبواب الترادف، والاشتراك اللفظي والتضاد في علم الدلالة³، وهي مباحث دلالية مهمة.

وفي بيان إعجاز القرآن استعمل الإمام الخطابي مصطلح (أجناس الكلام)، إلا أنّ مقصده بهذا المصطلح يختلف عما قصده من قبله، ويتّضح أنه يقصد بأجناس الكلام من تنمّة قوله: " أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التّبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية"⁴.

¹ ينظر: كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشبهه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد القاسم بن سلام النحويّ الهروي البغدادي، دار الزائد العربي بيروت، لبنان، 1983م، من ص1 للكتاب.

² ينظر: المزهري، جلال الدين السيوطي، ج1، ص388/399.

³ ينظر: دراسات لغوية في أمّهات كتب اللّغة، إبراهيم محمّد أبو سكين، وقيّة الأمير غازي للفكر القرآني، نشر في 2019، ص223 و225.

⁴ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص26.

فأجناس الكلام مختلفة، والكلام ليس على مستوى واحد بل فيه أقسام ومراتب تتفاوت في نسبة التبيان، وتباين في درجة البلاغة، والملاحظ أنّ الخطابي يوظف مصطلحات تقنية ك: (المراتب، النسبة، الدرجة، متباينة، غير متساوية) مما يوحي بدقة ما سيكمل به كلامه.

- أجناس الكلام في بيان إعجاز القرآن:

يقول الخطابي: " فمنها: البليغ الرّصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السّهل، ومنها الجائز الطّلق الرّسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتّة"¹.

يفهم من قول الخطابي أنّ الكلام في مجمله يقسّم إلى قسمين أحدهما:

الكلام الفاضل المحمود:

ويوجد منه في القرآن الكريم، ويقسّم الكلام الفاضل المحمود إلى أقسام ثلاثة هي:

1- البليغ الرّصين الجزل

2- الفصيح القريب السّهل

3- الجائز الطّلق الرّسل

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 26.

ولعلّ الأمر المهمّ الذي سيتطرّق إليه الإمام الخطّابي فيما يلي من أقواله هو أنّ توقّر القرآن الكريم على قدر من كل قسم من أقسام الكلام الفاضل المحمود هو سبب من أسباب بلاغته وإعجازه.

والآخر: الكلام الهجين المذموم: واكتفى الخطّابي بذكره ووصفه بقوله أنّه لا يوجد في القرآن شيء منه البتّة، لذلك لم يستطرد في شرحه أكثر ممّا يجب.

وواضح أنّ الخطّابي إنّما يقصد بالكلام الهجين المذموم الكلام المهمل، وهو ما يوافق أقوال غيره من علماء اللّغة الذين اتّفقوا على تقسيم الكلام إلى مهمل ومستعمل، قال ابن فارس (ت395هـ): " إنّ الكلام على ضربين مهمل ومستعمل"¹.

وفي تصنيفه لأقسام الكلام الفاضل المحمود نلاحظ إجمالاً أنّه يوافق غيره من علماء اللّغة والبلاغة عندما وضّحوا طريقتي البلاغة (علم البلاغة/ المعاني/ البيان/ البديع) عندما قالوا: " وللبلّاحة طرفان: أعلى إليه تنتهي، وهو حدّ الإعجاز وما يقرب إليه، وأسفل منه تبتدئ، وهو ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة"².

1 ينظر: الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومساائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت395هـ)، تح: أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، دط، دس، ص87. باب القول في حقيقة الكلام.

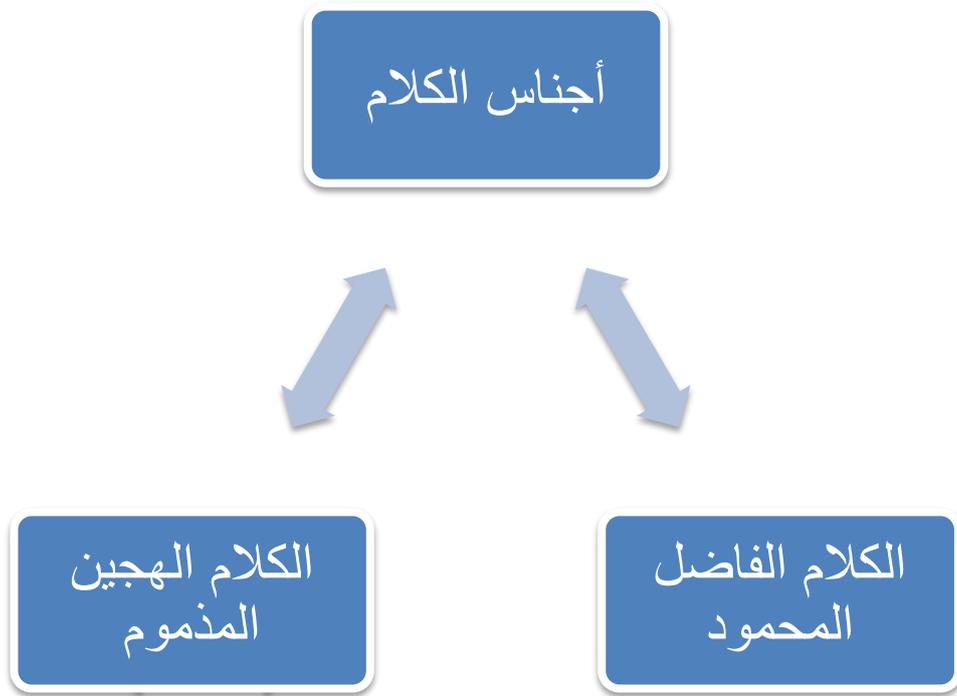
²الإيضاح، القزويني، ص21.

إنّ قول القزويني (ت739هـ) في إيضاحه _ الذي اختصر فيه فصلا من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ت626هـ) الذي يعدّ مؤسس علم البلاغة بمفهومه المعروف (المعاني/ البيان/ البديع)، وكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت470هـ) صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة _ جعل فيه للبلاغة طرفين، أحدهما يمثّل الذروة والقمة متمثلا في البلاغة القرآنيّة، والآخر هو نقطة بداية البلاغة وما دونها يقترب من أصوات الحيوانات (المهمل)، وبين الطرفين مراتب مختلفة ومتعدّدة.

وقال الإمام الخطّابي أجناس الكلام: كلام فاضل محمود ويمثّل قمة أنواع الكلام وأرفعها درجة متمثلا في الإعجاز القرآني الذي ضمّ من كلّ أقسامه قسما، وكلام هجين مذموم لا وجود منه في كلام الله تبارك وتعالى.

ومّا يلاحظ أنّ الخطّابي وضح أجناس الكلام، وأبرز أقسامها بدقّة متناهيّة، ومصطلحات علميّة دقيقة، ممّا يدلّ على أنّ بذور النظريّات اللّغويّة والبلاغيّة العربيّة التي تبلورت فيما بعد كان من روادها، ومؤسّسيها الأوائل.

الشكل رقم 2-5: أجناس الكلام



المصدر: إعداد الطالبة

أقسام الكلام الفاضل المحمود:

قسّم الخطابي الكلام الفاضل المحمود إلى: كلام بليغ رصين جزل، وفصيح قريب سهل، وجائز طلق رسل، ووضّح علل خصائص كل قسم منها، وأوعز سبب كلّ خصيصة وعلتها، وفيما يلي تفصيل لهذه الأقسام:

1- الكلام البليغ الرّصين الجزل:

وهو القسم الأوّل من أجناس الكلام وأرقاها مكانة، وصفه الخطّابي قائلاً: " فالقسم الأوّل أعلى طبقات الكلام وأرفعه .. والجزالة والمتانة في الكلام تعالج نوعاً من الوعورة"¹، وهذا القسم من الكلام رغم رفعة وفخامته حيث اجتمعت فيه البلاغة، والرّصانة، والجزالة، إلّا أنّه يتّسم بالصّعوبة والوعورة، ويفتقر إلى العذوبة التي تتوفّر في القسم الثاني.

2- الكلام الفصيح القريب السّهل:

وهو القسم الثّاني من أجناس الكلام وأوسطها مكانة، قال الخطّابي: " والقسم الثّاني أوسطه وأقصده"²، فلا هو فخم ولا هو طلق، بل وسط بين ذلك. وإمّا أنّس بالعذوبة نتيجة سهولته، فلم يكن له نصيب من الجزالة والرّصانة التي كانت للقسم الأوّل.

3- الكلام الجائز الطّلق الرّسل:

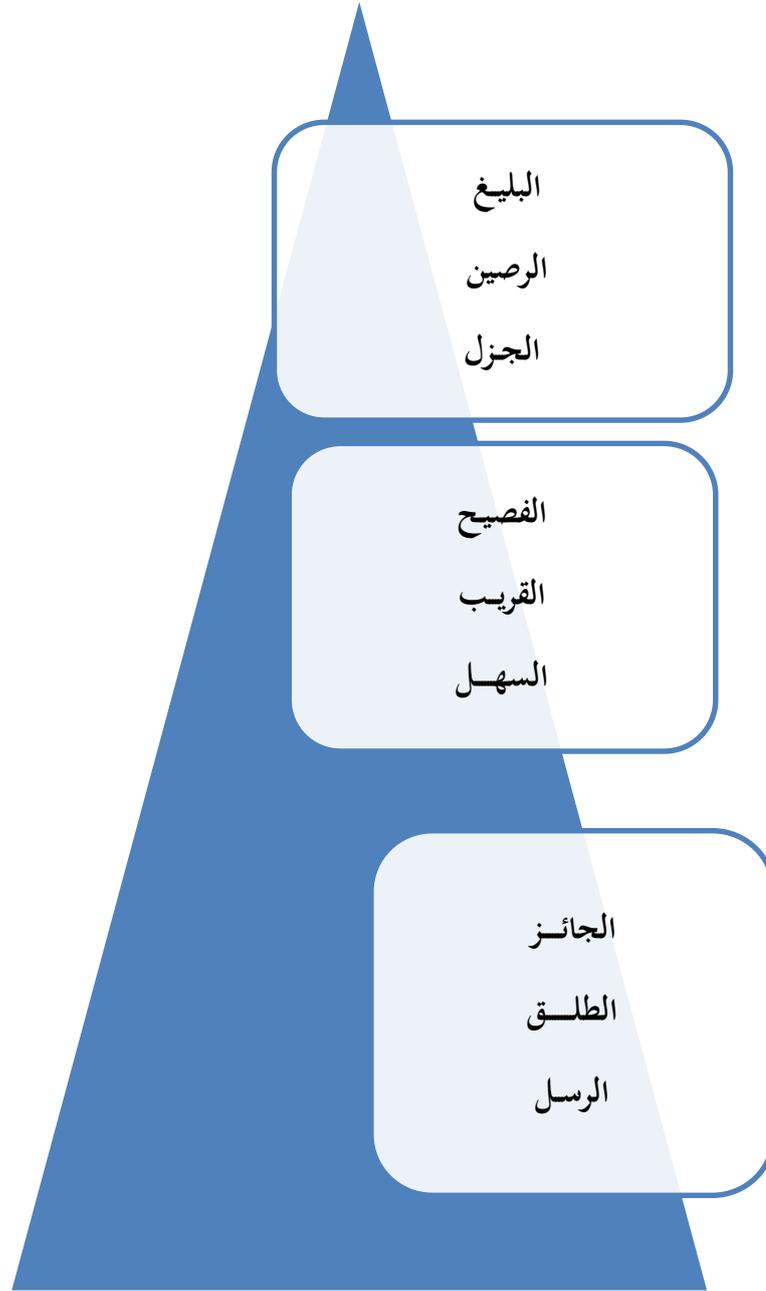
1 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص26.

2 المرجع نفسه، ص26.

وهو القسم الثالث من أجناس الكلام " والقسم الثالث أدناه وأقربه"¹، أي أنه أقرب مراتب أجناس الكلام، وأدناها درجة، لبساطته وسهولته، ويسره.

الشكل رقم 2-6: أقسام الكلام الفاضل المحمود

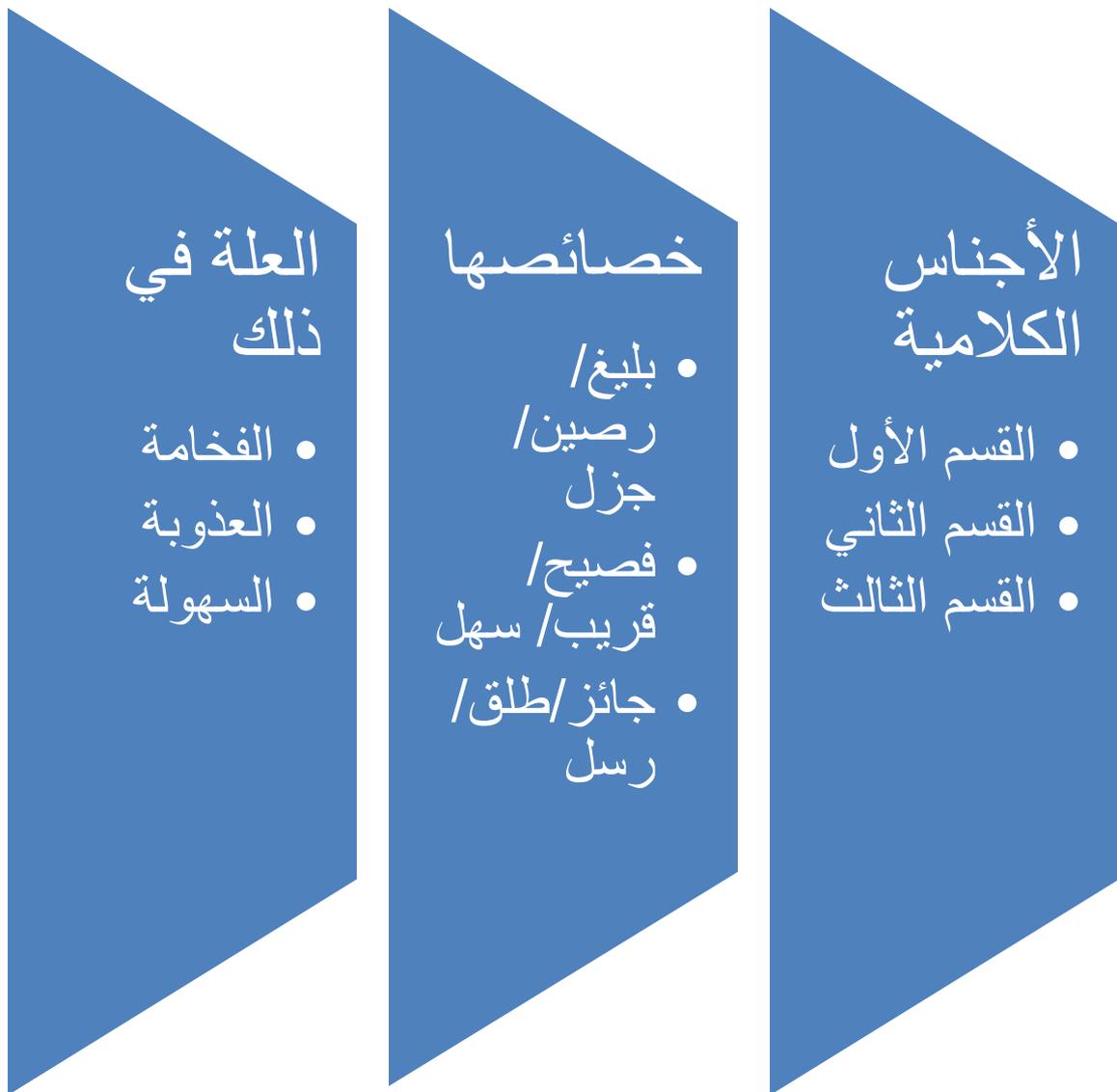
1 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص26.



المصدر: إعداد الطالبة

فهذه الأقسام تخصّ الكلام الفاضل المحمود التي عرّفها الخطابي ووضّح علل خصائصها، فأما الكلام البليغ الرّصين الجزل إنّما وصف بذلك لفخامة ألفاظه، وأمّا الكلام الفصيح القريب السّهل، والكلام الجائز الطّلق الرّسل مرّدّه إلى سهولة ألفاظه وعدوبتها.

الشكل رقم 2-7: علل خصائص الأقسام الكلامية المحمودة الفاضلة



المصدر: إعداد الطالبة

ويختتم القول في أجناس الكلام بما خصّ به كلام الله تعالى دون سواه إذ: "حازت بلاغات القرآن من كلّ قسم من هذه الأقسام حصّة، وأخذت من كلّ نوع من أنواعه شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعدوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمضادّين لأنّ العدوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كلّ واحد منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن، يسترها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بيّنة لنبيّه، ودلالة على صحّة ما دعا إليه من أمر دينه"¹.

– الغريب في ألفاظ القرآن الكريم:

يدلّ الجذر اللّغويّ (غ ر ب) عموما على معاني البعد والاختفاء، فالغربة هي البعد عن الوطن، ورجل غريب ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام، وكلمة غريبة وقد غرّبت وهو من ذلك². قال ابن فارس في باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله: "أمّا واضح الكلام فالذي يفهمه كلّ سامع عرف ظاهر كلام العرب، وأمّا المشكل فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه، أو أن تكون فيه إشارة خبر لم يذكره قائله على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود، أو يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط، أو تكون ألفاظه مشتركة"³.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 26.

² ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (غ ر ب)، ج 6، ص 588.

³ الصّاحبي، ابن فارس، ص 69.

وللخطابي كتاب في غريب الحديث عرّف فيه هذا المصطلح قائلاً: "الغريب من الكلام إنّما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنّما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل. ثم إنّ الغريب من الكلام يقال على وجهين: أحدهما: أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بُعد ومعاناة وفكر، والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار، ونأى به المحلّ من شواذ قبائل العرب".¹

وقد ألّفت كتب أخرى حول غريب ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعلّ أوّل من قام بجمع غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنّى (ت 209هـ)، النّظر بن شميل (ت 203هـ)، عبد الملك الأصبغي (ت 216هـ)، محمد بن المستنير (قطرب) (ت 209هـ)، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ)، ابن قتيبة (ت 276هـ)، الهروي (ت 401هـ)، الزّمخشري (ت 538هـ)، ابن الأثير (ت 606هـ)... وغيرهم، وهذا إنّما يدلّ على أهميّة موضوع الغريب وعناية العلماء بدراسته.

وقد تطرّق الإمام الخطابي في بيان إعجاز القرآن إلى الغريب في ألفاظ القرآن الكريم معقّباً عمّن يسأل عن قلّة الغريب في القرآن الكريم قائلاً: "وأما ما ذكروه من قلّة الغريب في ألفاظ القرآن بالإضافة إلى الواضح منها، فليست الغرابة ممّا شرطناه في حدود البلاغة، وإنّما يكثّر وحشيّ الغريب

¹ غريب الحديث، الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أمّ القرى، س 1982م، ج 1، 70، 71.

في كلام الأوحاش من الناس، والأجلاف من جفاة العرب، الذين يذهبون مذاهب العنجهية، ولا يعرفون تقطيع الكلام وتنزيله والتخيّر له، وليس ذلك معدوداً من النوع الأفضل من أنواعه، وإنما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن، وهو الذي جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة. وقد يعدّ من ألفاظ الغريب في نعوت الطويل نحو ستين لفظة أكثرها بشع شنع كالعشّاق، والعشّط، والعطنّط، والشّوقب، والشّوذب، والسّلهب، والقوق، والقاق، والطوط والطاق¹.

يبرز جلياً من قوله أنه ينفي نفياً قاطعاً أن تكون الغرابة من شروط البلاغة، بل تكثر في كلام الأوحاش ومن لا يملكون القدرة والمعرفة على تقطيع الكلام وانتقائه انتقاء سليماً مناسباً، وللتوضيح ساق أمثلة لألفاظ غريبة منبوذة متروكة يقول: " فاصطح أهل البلاغة على نبذها وترك استعمالها في مرسل الكلام، واستثقلوا الطويل، وهذا يدلّك على أنّ البلاغة لا تعبأ بالغرابة ولا تعمل بها شيئاً"².

وعليه فما يمكن استخلاصه حول رأي الخطابي في قلة الألفاظ الغريبة في القرآن، هو أنّ بلاغة القرآن الكريم تكمن في جمعه الفخامة والسهولة والعذوبة في الآن ذاته، ولا يعني أن نقول عن كلام غريب إنّه بليغ ضرورة، فالبلاغة في واقع الأمر لا تعبأ بالغرابة مطلقاً.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، ص 37.

² المرجع نفسه، ص 37.

من هذا الفصل نخلص إلى أنّ الخطابي وطأ طريق البحث في إعجاز القرآن، وكشف علته، بدءاً بموقفه من أصل اللغة وقوله بتوقيفها، وعلوية مصدرها، معرجاً على بسط الشرح في مقومات الكلام من لفظ ومعنى ونظم، وصولاً إلى تقسيم أجناس الكلام، وكيف حاز القرآن الكريم على قسم من كلّ أقسامها، وجمع كلام الله بذلك بين الفخامة والعدوبة وكان كلاماً معجزاً، ونوراً مبيناً، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾¹.

1 سورة التّساء، الآية: 174.

الفصل الثالث

عمود الإعجاز القرآنيّ عند

الخطّابي

تمهيد:

قال الإمام الخطّابي في مستهلّ كتابه إنّ الباحثين في موضوع الإعجاز القرآني اختلفوا في وجه الإعجاز فيه، فمنهم من قال بإعجازه بالصّرفه ومنهم من قال بالإعجاز الغيبيّ، وأكثر العلماء قالوا بإعجازه من جهة البلاغة، وفي هذا الفصل سنتطرق إلى مفهوم البلاغة عند الخطّابي، وعناصرها وشروطها كما أوردها في بيانه، وفضّلنا قبل ذلك أن نعود إلى الجذور الفلسفيّة لاستخدام هذا المصطلح، وكيفيّة استعماله تاريخيّاً لعلّنا نتمكّن من تبين مقاصد الخطّابي بمصطلح البلاغة؟

الاهتمام بالبلاغة ضارب في القدم، وإذا تتبّعنا منطلقاته نجد الحركة السفسطائية أو السفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد اهتمّوا بالكفاءة اللّغويّة والبلاغيّة، والخبرة الجدليّة، وهذا واضح من تسميتهم التي تعني الحكيم الخبير بكلّ فنّ وأسلوب¹، إذ اهتمّ السفسطائيّون بالخطابة اهتماماً كبيراً، واكتسحوا بها أغلب فضاءات الفكر والاجتماع، باعتبارها أداة للتّمويه والخداع والإقناع، لإيمانهم بقوة القول وسلطته يقول أحد أعلامها: الخطّاب جبار جدّ قويّ²، فهدفهم بذلك كان نفعيّاً براغماتيّاً.

¹ ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، س 2008، ص24.

² ينظر: تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانيّة القديمة مقارنة لمشروع: السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، شعبان أمقران، مجلة اللسانيات، المجلّد 25، العدد 2، س 2019، ص 34.

وثار أفلاطون على آراء السفسطائيين حول البلاغة، فكانت البلاغة حسب نظره مرتكزة على أسس عقلانية ورياضية تمثلت في: النظام والعقل والحقيقة¹، فالبلاغة في نظره تنتصر للحقيقة وليس للشخص، وهي ذات معايير مثالية² وليست اجتماعية. وربط أرسطو بين آراء السفسطائيين وآراء أفلاطون، إذ عقد فصلا في كتابه الأورغانون عن نظرية البلاغة، وجعلها تركز على المنطق أو الخطاب، والخطيب والمتلقي، والغرض منها تثقيف المتلقي ليتمكن من التحليل، يقول: "الرياضية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحدة من الأمور" وفي الوقت ذاته هي "ذات غناء ومنفعة"³.

وانعكست المفاهيم الفلسفية القديمة للبلاغة على مفهومها الحديث في الغرب، حيث وقع التناكر لنظرية أرسطو والعودة إلى أقوال أفلاطون، فأصبح ينظر إلى العالم بأنه مكتوب بلغة رياضية، وبعد هذه المرحلة نادى ديكرت بقطع الصلة مع البلاغة، إذ اقتصر على الدور الجمالي فقط، ثم طردت البلاغة من المدارس وعوضت بالمقالة الأدبية على طريقة ديكرت، إلا أنه في عام 1958م برز نصان اثنان، أحدهما في بروكسل وهو: المفصل في المحاججة دراسة في البلاغة الجديدة لشام بيرلمان، والآخر في الولايات المتحدة الأمريكية هو: استعمالات المحجاج لتولين، وفيهما تمت الدعوة

¹ ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان، الرباط، ط1، س 2013، ص34.

² ينظر: جمهورية أفلاطون، أفلاطون، تر: حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط2، س 1980، ص 85.

³ الخطابة، أرسطو، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، س 1979، ص7، 9.

للعودة إلى بلاغة أرسطو لما فيها من تكامل، وفي أوربا ظهر الأدب الجديد مع رولان بارث ومجموعة "مو" الأسلوبية.¹

من هذا السرد التاريخي نلاحظ قدم مفهوم البلاغة، وانعكاسات استعمالته عند الفلاسفة على مفهومها لاحقا إذ انبثقت منه الأسلوبية أو مشروع البلاغة الجديدة، التي ألفت بظلالها على البلاغة العربية.

ومصطلح البلاغة قديم في التراث العربي الزّاحر، واقتصرنا في هذا التمهيد على ذكر الأصول الفلسفية له، لأننا سنتطرق إليه فيما يلي من مباحث.

¹ ينظر: البلاغة والأسلوبية، هنريش بليث، تر: محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، لبنان، دط، س 1999، ص 19...22.

المبحث الأول: البلاغة عند الخطابي

سنخصّص الكلام في هذا المبحث للبلاغة عند الخطابي، لأنّ البلاغة تختصّ باللفظ والمعنى معاً، بخلاف الفصاحة التي تقتصر على الألفاظ فقط، يقول ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ): " والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني، لا يقال في كلمة واحدة لا تدلّ على معنى يفضل عن مثلها: بليغة، وإن قيل فيها: فصيحة، وكلّ كلام بليغ فصيح، وليس كلّ فصيح بليغاً"¹.

1- البلاغة في التراث العربي:

ذاع استعمال لفظ البلاغة في اللّغة العربيّة، ويدلّ الجذر اللّغوي (ب ل غ) إجمالاً على البلوغ والوصول، وإدراك الغاية، وقد بدأت البلاغة انطباعاتٍ ذوقيةً عند العرب في الجاهليّة، فكانوا يميّزون بين صور الكلام، ويبدون ملاحظاتهم بسليقة لغوية محضّة، وبمجيء الإسلام وسطوع بلاغة القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، وبعدهما استقرّوا في المدن والأمصار تهيّأت لهم الظروف ليرتقوا بملاحظات بيانيّة كثيرة عن الخطباء وخطبهم، والشّعراء وأشعارهم، وفي العصر العباسي أخذت تلك الملاحظات طابعا دقيقا وعميقا بفضل الحضارة والانفتاح على الثقافات المجاورة.²

¹ سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح: الصعيدي، مطبعة صبيح، القاهرة، مصر، س 1372هـ، ص 49، 50.

² ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج 1، ص 295.

ويلاحظ أنّ الاهتمام الأكبر بالبحث البلاغي كان من قبل المتكلمين خاصّة المعتزلة، كالجاحظ الذي أشار إلى الاقتباس، والكناية والاستعارة، والحقيقة والمجاز، كما نجد من النّحاة من أبدى ملاحظات بلاغية مثل: سيوييه، والمبرد، وفي أواسط القرن 3هـ أخذت تبرز بيئة جديدة في مجال البلاغة هي بيئة الفلاسفة الذين استندوا إلى معايير الفلاسفة اليونانيين، وظلّ المتكلمون نشطين في وضع مباحث علم البلاغة، قصد إبراز الإعجاز البلاغي كالرّماني والباقلاني والقاضي عبد الجبار، وفي القرن 4هـ ذاعت الكتابات التّقديّة التي تناولت مباحث بلاغية كعيار الشعر لابن طباطبا، والموازنة بين أبي تمام والبحثري للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه لعليّ بن عبد العزيز الجرجاني.¹

وقد كثرت تعريفات البلاغة كثرة أعلامها، وتباينت تباين مشاربهم الفكرية، فقد سئل ابن المقفّع عن البلاغة فأجاب قائلاً: "البلاغة اسم يجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، وربّما كانت رسائلنا، فعامة ما تكون من هذه الأبواب، فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة"²، وعرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) بقوله: "هي ما قرب طرفاه وبعد منتهاه"³.

¹ ينظر: البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط9، س 1995م، ص371.

² البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص115.

³ دفاع عن البلاغة، أحمد الزّيات، مطبعة الرّسالة، القاهرة، دط، س 1945، ص19.

وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) كتاب "مجاز القرآن" موضحاً فيه قول الله تعالى: ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهَ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾¹، وقال المبرد في رسالة مقتضبة ردّ فيها على سؤال أحمد بن الواثق عن أيّ البلاغتين أبلغ أبلّاعة المنظوم أم بلاغة المنثور؟: "إنّ حقّ البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام، وحسن النظم حتّى تكون الكلمة مقاربة أختها، ومعاوضة شكلها، وأن يقترّب منها البعيد، وتحذف منها الفضول"².

وقال بن المعتزّ (ت 296هـ) بأنّ البلاغة: "البلوغ إلى المعنى ولما يطل سفر الكلام"³، وقد سمّيت البلاغة عند أول نشأتها (البدیع)، وينسب ذلك إلى الشاعر العبّاسي مسلم بن الوليد الملقّب بصريع الغواني (ت 208هـ)، وجعل ابن المعتزّ البديع شاملاً لجميع فنون الشعر البلاغيّة⁴.

كما كانت تسمّى: البيان، ونقد الشعر، ونقد الكلام، وصناعة الشعر.. وألف عبد القاهر الجرجاني (ت 470هـ) دلائل الإعجاز وضمّنه مباحث علم المعاني، ووضع أسرار البلاغة، وفيه مباحث علم البيان، فتميّز البديع، وبرز هذا التقسيم جلياً على يد السكاكي (ت 626هـ) في مفتاح العلوم، الذي لخصّ القزويني (ت 739هـ) قسمه الخاصّ بالبلاغة (القسم الثالث) فيما بعد،

¹سورة الصافات، الآية: 65.

²البلاغة، أبو العبّاس المبرد، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، س 1985، ص 81.

³البديع، عبد الله بن المعتزّ، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، طبع الحلبي، القاهرة، دط، س 1954، ص 47.

⁴ينظر: علم البيان دراسة تاريخيّة فنية في أصول البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، دط، س 1981، ص 12.

وعرّف السّكاكي البلاغة قائلاً: "البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدًا له اختصاص بتوفية خواصّ الكلام حقّها، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز والكناية على وجهها"¹.

ولم يختلف مفهوم البلاغة في بلاد المغرب عن مفهومه عند المشاركة، حيث عني المغاربة بكلّ المباحث المتعلّقة بحسن التّعبير عن المقاصد ومراعاة ظروف الخطاب، وقد أطلقوا مصطلح البديع على فنون بلاغيّة متنوّعة، كما أطلقوا مصطلح البيان بمعناه الواسع على البلاغة بمختلف أبوابها، وقد مرّت البلاغة في بلاد المغرب بثلاث مراحل، فاتّسمت المرحلة الأولى بالعموم (إشارات بلاغيّة مهمّة في بعض الكتب) كالتي في: العقد الفريد لابن عبد ربّه (ت328هـ)، والممتع في علم الشّعْر لعبد الكريم التّنهشلي المسيلي الجزائري (ت405هـ)، والبديع في فصل الرّبيع لابن حبيب الحميري (ت440هـ)، وزهر الآداب وثمر الألباب لإسحاق الحصري القيرواني (ت453هـ)، ومراتب العلوم لابن حزم الظاهري (ت456هـ).

وكانت المرحلة الثّانية مرحلة التّبويب والتّصنيف، حيث أفرد المغاربة للبلاغة في مصنّفاتهم أبوابا، مثلما هو موجود في كتابي: العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه ونقده، وقراضة الدّهب في نقد أشعار العرب لابن رشيق المسيلي الجزائري (ت456هـ)، وبغية الرّائد لما تضمّنه حديث أمّ زرع من فوائد للقاضي عياض السبتي (ت544هـ).

¹مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر السّكاكي، المطبعة الميمنيّة، مصر، دط، س1318هـ، ص20.

وتعدّ المرحلة الثالثة مرحلة التّأليف المحض أو مرحلة الإبداع (ق 9/8/7 هـ) وممن لخصوا القسم الثالث الخاص بالبلاغة من مفتاح العلوم للسكّاكي العالم المغربي بدر الدّين بن مالك الجيّاني (ت 686هـ)، وألّف حازم القرطاجيّ (ت 684هـ) كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء الذي تحدّث فيه طويلاً عن نظريّة أرسطو في الشّعْر والبلاغة حديث الناقد الفاهم، وألّف أبو الطيّب بن شريف الرّندي (684هـ) كتاب الوافي في نظم القوافي، وألّف أبو القاسم السجلماسي (ت 704هـ) كتاب المنزِع البديع في تجنيس أساليب البديع.¹

واسقّر تعريف البلاغة على أنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فيكون بذلك لكلّ مقام مقال، ومقتضى الحال مختلف حيث يباين مقام التّنكير مقام التّعريف، ويباين مقام الإطلاق مقام التّقييد.²

ويقسم علم البلاغة إلى المعاني والبيان والبديع، فإذا عني علم المعاني بإقامة الصّرح معتمداً على النّحو، وعني البيان بتقديم اللّبنات ومواد البناء، فإنّ البديع يعني بطلاء البناء وزخرفته.³

¹ ينظر: الدرس البلاغي والتّقدي في المغرب العربي قبل العصر المريني، جيلالي بوزينة محمد/ جلول دواحي عبد القادر، مجلّة آفاق للعلوم، المجلّد 05، العدد 18، س2020، ص 143/142/141.

² ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص13.

³ ينظر: المدخل إلى النّحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمّار ساسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، س2007، ص39.

ومن الدارسين من يرى بأنّ أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة أنّها "أناقة الدّيباجة، ورشاقة السّرد، ونصاعة الإيجاز، وبراعة الصّنع"¹.

2- مصطلح "البلاغة" في بيان إعجاز القرآن:

ركّز الخطّابي كثيرا على البلاغة القرآنيّة²، والإعجاز البلاغي، ومصطلح البلاغة مبثوث في ثنايا كتابه بيان إعجاز القرآن، إلّا أنّ الإمام الخطّابي كغيره من العلماء لم يقصد بهذا المصطلح علم البلاغة الذي نعرفه اليوم من معاني وبيان وبديع، وليتّضح مقصده بمصطلح البلاغة سنورد قول الدّكتور عبد الجليل مصطفىاوي في هذا السّياق يقول: "مصطلح "البلاغة" عند الخطّابي مرتبط باللفظ والمعنى والتّأليف - مثلما أوضحنا - ولا بدّ من الإشارة أيضا إلى أنّ هذا المصطلح عنده كان متداخلا ومتشابكا مع عدّة مصطلحات أخرى كالبيان والفصاحة، فهو يقول مثلا: " وليس ذلك بالمستحسن ولا بالمختار عند أهل البلاغة وأرباب البيان"³، وليس ذلك غريبا إذا علمنا أنّ هذا الأمر كان شائعا عند القدماء، فقد كانت مصطلحات البلاغة والبيان والفصاحة، والخطابة أحيانا، تأخذ نفس المدلولات في مباحث علمائنا القدامى، ولم تتحدّد معالمها ومفاهيمها إلّا في القرون المتأخّرة بدءا من

¹دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الرّيات، ص25.

²هناك مؤلّف يسمّى: البلاغة القرآنيّة عند الإمام الخطّابي، لصباح عبّيد دراز، طبع بمطبعة الأمانة - مصر، س1986م، يقع في 102 ص، تمّ التّطرّق فيه إلى بلاغة القرآن في اللفظ والمعنى والنّظم، والفروق اللّغويّة، وتضمّن التّماذج التي ذكرها الإمام الخطّابي في بيانه.

³ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص40.

عصر السنكاسي (ت 626هـ) الذي مخض زبدة البلاغة العربية، وهذب مسائلها، ورتب أبوابها كما يذكر ابن خلدون¹.

من قول الدكتور عبد الجليل مصطفى يوضح أنّ البلاغة القرآنية عند الإمام الخطابي ترتبط باللفظ والمعنى والنظم، أي بمقومات الكلام، المنطلق الأساس الذي ابتدأ به بيانه لإعجاز القرآن، وهذا الارتباط بين البلاغة ومقومات الكلام، يوحي بأنه يقصد بكلامه البلاغة القرآنية دون سواها، وتعني الفائقية اللغوية التي اختصّ بها كلام الله سبحانه وتعالى دون سواه، نتيجة نزوله "بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمّنا أصحّ المعاني"².

مما حقّق سموّ القرآن الكريم وإعجازه، لأنّ "الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتّى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله"³.

وبخصوص استعمال المصطلح عامّا مطلقا _ كما أشار الدكتور عبد الجليل مصطفى _ فلم يعن به علم البلاغة، فعلم علماء عصره الذين استعملوا البلاغة للدلالة على رفعة الأسلوب وراقيه.

¹ البلاغة القرآنية عند الخطابي، عبد الجليل مصطفى، مجلة الآداب واللغات كليّة الآداب واللغات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، المجلد 3، العدد 1، ص 18، س 2003م.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 28.

وقيل في توضيح مصطلح البلاغة عند الخطابي: "ونلاحظ على الخطابي أنه جمع بين أقوال مختلفة قيلت في القرآن، ولكن بعضها لا يناقض بعضها، ويدلّ جمعه إياها على معرفة عميقة بجمال الكلام وبالبلاغة الحقيقيّة، وفهمه لها قريب ممّا نفهمه نحن الآن من صفات الأدب الرفيع: معان سامية، وأسلوب محكم جميل، وعاطفة قويّة تؤثر في القلوب، وقد أنقص من صفات هذا الأدب عنصر الخيال، وربما كان ينحلّ عنده فيدخل قسم منه في المعنى، وقسم منه في الأسلوب، فيكون مفهومه عن البلاغة قريباً جداً من الكمال"¹.

فالخطابي يتحدّث عن بلاغة تتسم بالكمال الحقيقي، بما جمعت من عناصر رفيعة متمركزة حول اللفظ والمعنى والنّظم، كالتأثير وعنصر الخيال التي لا تتأتّى إلا بوجود المقوّمات الثلاثة، وهذه البلاغة السّامية تختصّ بالقرآن الكريم، فهي بلاغة كاملة معجزة، تصدر كلّ البلاغات، وتتوالى بعدها بلاغات البشر، وتظلّ دونها قاصرة محدودة قصور البشر، ومحدوديّة أفكارهم.

ومما يؤكّد أنّ البلاغة عند الخطابي تتمحور حول اللفظ والمعنى والنّظم، وأنّ سائر العناصر تذوب فيها كالخيال والعاطفة، وتنحلّ (في اللفظ/ المعنى / النّظم) ما جاء في رسالة بيان إعجاز القرآن من أقوال تثبت ذلك، فقد ذكر الخطابي ألفاظ: "الاستعارة"، "الحقيقة"، "التشبيه"، "إبداع المعنى"، "بليغ"، "مطبوع"، "الصنعة"، "مستعار"، "شبه"، "كأثما" .. وكلّها ألفاظ ترتبط بعلم البلاغة

¹فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبويّة حتّى عصرنا الحالي، عبد الرحمن بن معاضة الشّهري، ص65.

المعروف، قال الخطابي في الرد على من انتقدوا آيات من القرآن الكريم: "عابوا أفصح الكلام وأبلغه، وقد تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة"¹.

وقال في موضع آخر عندما تحدّث عن المعارضة بين الشعراء فحلّل أبياتا شعريّة في ذكر الليل وطوله للتأبغة وامرئ القيس بدوق في بلاغيّ: "افتتاح التأبغة قصيدته بقوله "كَلَيْبِي لَهُمَّ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ" منتهاه في الحسن، بليغ في وصف ما شكاه من همّه وطول ليله، ويقال إنّه لم يبتدىء شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام، وقوله "وَصَدْرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ" مستعار من إراحة الراعي الإبل في مباتها، وهو كلام مطبوع سهل يجمع البلاغة والعدوبة، إلّا أنّ في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة، وحسن التشبيه، وإبداع المعاني ما ليس في أبيات التأبغة، إذ جعل لليل صلبا وأعجازا وكلكلا، وشبهه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه عند ركوب بعضه بعضا حالا على حال، وجعل النجوم كأنّها مشدودة بحبال وثيقة لا تزول ولا تبرح... وهذه الأمور لا يتفق مجموعها في اليسير من الكلام إلّا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه قصب السبق"².

مما سبق يمكن استنباط استعمالين اثنين للبلاغة، فاستعمال خاصّ واستعمال عام:

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 44.

² المرجع نفسه، ص 62 / 63.

- البلاغة القرآنية أو بلاغة القرآن الكريم: تتعلّق بألفاظه ومعانيه ونظمه، أي تتعلّق بإعجازه (البلاغة القرآنية المعجزة الكاملة)، وتليها سائر البلاغات، من بلاغة الحديث النبوي الشريف، والشعراء الفطاحل، وتتفاوت البلاغات من شاعر لشاعر.

- توظيف " البلاغة " في تضاعيف الرسالة يقصد به البيان، وحسن التعبير، ورقّي اللّغة (استعمال شائع عند معظم العلماء وقتئذ).

والذي نولي له أهمية في سياق بحثنا هو الاستعمال الأوّل للمصطلح الذي يختصّ بموضوع إعجاز القرآن الكريم مرتكزا على ألفاظه، ومعانيه ونظمه، وارتباطه بسبب بها.

المبحث الثاني: عمود البلاغة القرآنية

إنّ عبارة ما خرجنا به من المبحث السابق هي أنّ مصطلح البلاغة في حدّ ذاته ذو ثقل كبير في اللّغة العربيّة، لذلك أولى له العلماء العرب أهمية كبيرة، كما أنّ توظيف الخطّابي مصطلح البلاغة في سياق بيانه لإعجاز القرآن الكريم على حدّ تعبير الأستاذ الدكتور عبد الجليل مصطفواي مرتبط باللفظ والمعنى والتأليف، إلّا أنّ الخطّابي لم يستخدم مصطلح البلاغة فقط، بل ذكر في معرض شرحه للإعجاز " عمود البلاغة "، فبعد محاولة فهم مصطلح البلاغة إجمالا عنده، نبحت الآن عن الذي يقصده بعمود البلاغة، وكأنّنا بهذا التوظيف الدقيق ينمّ عن دراية وقصد عميقين، حيث إنّ لم يكتف بتقرير بلاغة القرآن الكريم، بل عمّق معرفته بها جعله، يغوص في تفاصيلها ومكنوناتها

وأجزائها، ولعلّ العمود لهذه البلاغة هو أهمّ تلك الأجزاء، وأبرز تلك العناصر، يقول الإمام الخطّابي: "ثمّ اعلم أنّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصّفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"¹.

دلالات مصطلح "عمود":

يدلّ الفعل الثلاثيّ (عمد) على الإقامة والنّصب، يقال: عمد الشّيء يعمده عمدا: أقامه، والعماد: ما أقيم به، وأقمت الشّيء فانعمد: أي أقمته بعماد يعتمد عليه، والعماد الأبنية الرفيعة، والواحدة عمادة، وفلان طويل العماد إذا كان منزله معلما لزياره، والعماد والعمود: الخشبة التي يقوم عليها البيت، وأعمد الشّيء: جعل تحته عمدا. والعمود الخشبة القائمة في وسط الخباء، ويقال كلّ خباء معمد.

وتستعمل لفظة عمود في مجالات عديدة إلّا أنّها تحمل دلالة الأهميّة والإقامة، فالاسم عمود جمعه أعمدة وعمد وعمُد، والعمود: قضيب من الخرسانة أو الخشب أو الفولاذ، يزيد طوله عشر مرّات على طول قطره، لتحمل قوّة ضغط المباني والأرصفة البحريّة والمنشآت الأخرى، والعمود في القوم: السيّد الذي يُعتمد عليه في الأمور، وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلّا به، وعمود

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 29.

القلب: وسطه، وعمود اللسان: وسطه طولاً، وعمود الميزان: ما يعلّق بطرفيه، كفتاه، والعمودان: الكتاب والسنة، والعمود من الصّبح ما تبلّج من ضوئه، وعمود البطن الظّهر، وعمود اللسان وسطه طولاً، وعمود القلب كذلك، وقيل هو عرق يسقيه، وكذلك عمود الكبد، ويقال: استقاموا على عمود رأيهم: على وجه يعتمدون عليه، وعمود النسب: الأصول التي ينحدر منها النسب، وهم الآباء وإن علوا، كالأب والجدّ وأب الجدّ، وعمود الشّعْر: طريقة الشعر الموروثة عن العرب في وزنه وقافيته وأسلوبه، وأعمدة القصر: سواريه، والعمود الفَقْرِي: سلسلة الظّهر في الإنسان والحيوانات الفقاريّة، وهي تدعم بنيان الجسم وتحمي الحبل الشوكي، والعمود في الإعصار: ما يسطع من الماء¹، والعمود: فكرة مركّزة تصاغ في شكل عمود ينشر في صحيفة أو مجلّة عمود يوميّ.

من المعاني سابقة الذّكر، يتجلّى ما قصده الخطّابي من استخدام التّركيب الإضافي: عمود البلاغة، ليزر لنا أهميّة علوّ شأن القرآن الكريم ورفعة شأوه، كيف لا وهو الذي خصّ ببلاغة سماويّة دون سواه، ولها عمود امتنع عن البشر بلوغه.

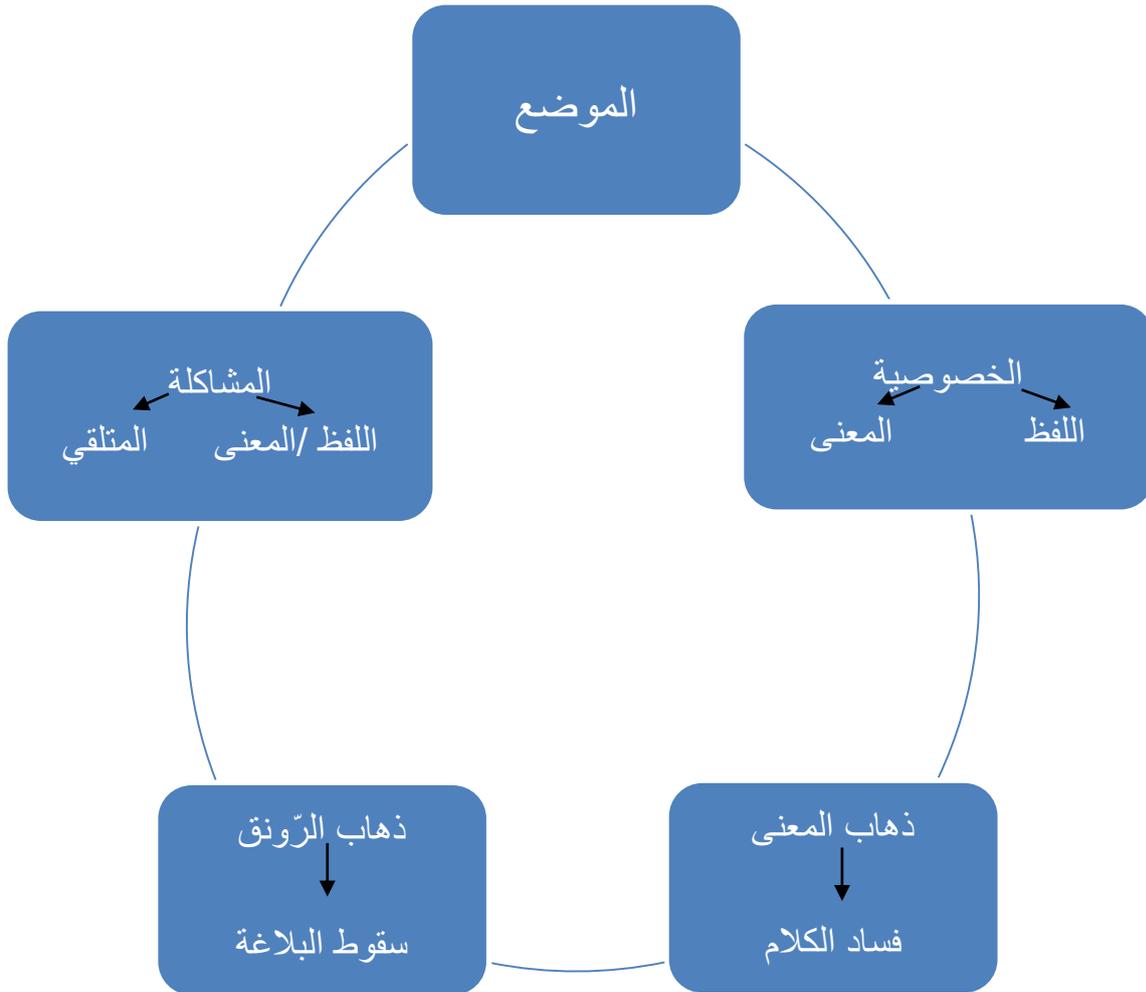
فما هو عمود البلاغة القرآنيّة؟ يجيبنا الإمام الخطّابي بأن عمود البلاغة القرآنيّة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تتضمّن أقسام الكلام وقد وضّحها آنفاً، موضعه الأخصّ الأشكل به، فإذا لم يوضع كل نوع من أنواع الألفاظ موضعه الأخصّ الأشكل نتج عن ذلك تبدّل المعنى وفساد الكلام، أو ذهاب الرّونق وسقوط البلاغة، وهذا ما لم يحصل في كلام الله سبحانه وتعالى، فألفاظه

¹ ينظر: لسان العرب، ص 275.

المعجزة وضعت كلّها الموضع الأنحصّ الأشكل، فتناءى عنها الفساد، وتسامت بلاغته عاليا متجاوزة
كلّ بلاغات البشر.

والرّسم التّخطيطي الموالي يختصر وصف الخطّابي لعمود البلاغة:

الشكل رقم 3-1: عمود البلاغة القرآنيّة



المصدر: إعداد الطالبة

- **الموضع الأخصّ الأشكل:** لخصّ الإمام الخطّابي عمود البلاغة العربيّة، وركيزتها الأهمّ في وضع كلّ لفظ ممّا تحتويه أقسام الكلام موضعه الأخصّ الأشكل، هذا الشرط بالضبط هو الذي ضمن علوّ شأن البلاغة القرآنية وتفردّها، فماذا قصد بالموضع الأخصّ الأشكل؟

شروط مواضع الألفاظ:

1- الخصوصية: إنّ أوّل سمة من سمات مواضع الألفاظ عند الخطّابي هي: الخصوصية، فكلّ نوع من أنواع الكلام الفاضل المحمود (البليغ الرّصين الجزل/ الفصيح القريب السهل/ الجائز الطلق الرّسل) يضمّ ألفاظاً، وتحمل هذه الألفاظ معان، وتقتضي البلاغة وضع كلّ لفظ موضعه الأخصّ به، أي الذي يقصد منه معناه الخاصّ، في شكله المنفرد وفي تركيبه داخل الجملة، ومن هنا لا بد من حصول الانتقاء والدقّة في استعمال الألفاظ، ونظمها مع غيرها أثناء مراعاة الموضع الأخصّ بكل لفظ، لأنّ عدم العناية بما تحمله الألفاظ من خصوصيّة، ينجّر عنه تبدّل المعنى، ممّا يحيلنا إلى الفروق اللّغويّة بين الألفاظ واستعمالها الاستعمال الأنسب، وانتظامها في مواضعها الأليق بها، لتفيد المعنى الأخصّ انطلاقاً من موضعها الأخصّ، وإلاّ سيتبدّل المعنى، وينتج عنه فساد الكلام، فارتبطت خصوصيّة الموضع بما هو كلام (لغة) أي الكلام بما يحمله من ألفاظ ومعاني ونظم، وعدم توخّي خصوصيّة الموضع الذي يؤدّي إلى فساد الكلام.

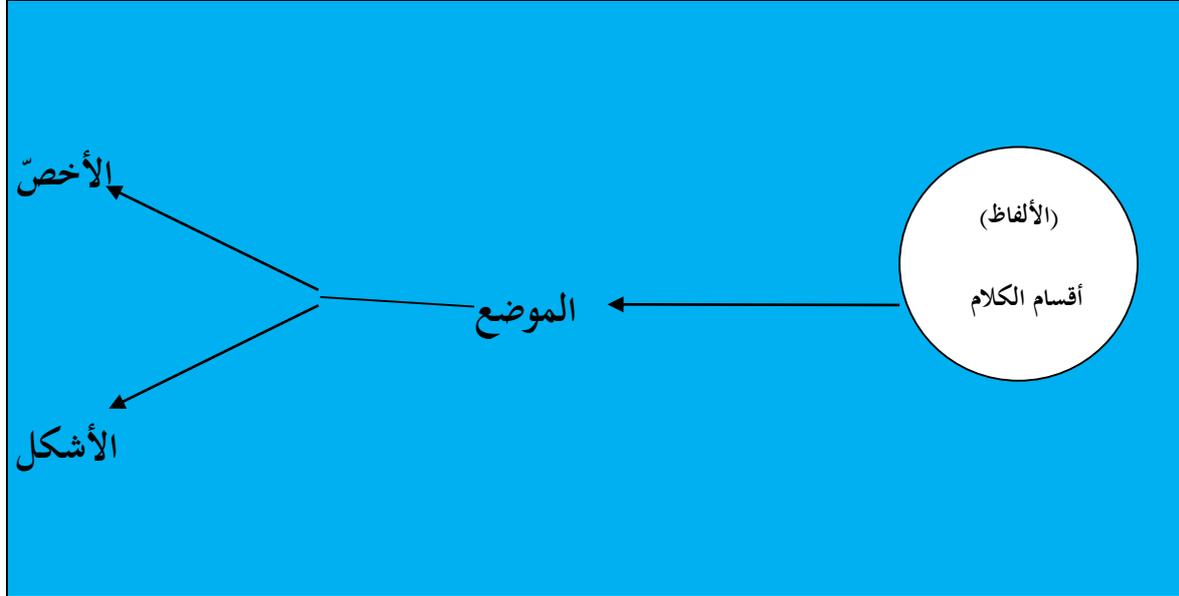
2- المشاكلة (الموافقة): وهي الشرط الثّاني لمواضع الألفاظ التي ترتبط بعمود البلاغة، وهذا الشرط يرتبط بالشرط الذي سبقه، فبعدما تنتقى الألفاظ وتوضع مواضعها الخاصّة بها، لا بدّ أن

يكون هذا الموضوع هو الأشكل بها، والموافق لمراد المتكلم موافقة كاملة لما يجول في فكره، ويجوب خاطره من خيال، ويتناسب مع ما يختلج قلبه من معان فتتوافق، ويتمكن من إيصالها إلى المتلقي قارئاً كان أم مستمعا، وإن لم يراع الموضوع الأشكل يذهب رونق الكلام وتسقط بلاغته، فلا يعبر عن مراد المتكلم، أو لا يؤثر في المتلقي، ولا يبلغ القصد من ورائه، وتوفّر القرآن الكريم على كلّ نوع من الأنواع الثلاثة من أجناس الكلام، مراعيًا في استعمال كلّ منها موضعه الأخصّ الأشكل به، لذلك كانت البلاغة القرآنية عمود كلّ البلاغات، حيث إنّ القدرة البشرية تعجز عن مضارعتها.

إنّ شرطي الخصوصية والمشكلة في مواضع الأجناس الكلامية هما ما سيوضّحه الخطابي فيما يلي من بيانه، لأنّ الخصوصية في المواضع تقتضي توخي الفروق اللغوية ومتطلبات النظم القرآني، وهي ما سيسميه أصولاً، كما أنّ المشكلة تستوجب التأثير في النفوس، وبلوغ المعاني القلوب.

ويمكن تلخيص هذا كلّ في الرسم التخطيطي التالي:

الشكل رقم 3-2 أهم خصائص مواضع الألفاظ



المصدر: إعداد الطالبة

المبحث الثالث: الأصول الدلالية للإعجاز القرآني

وضّح الإمام الخطابي معنى " عمود البلاغة " بأنه استعمال الألفاظ وفق ما تقتضيه الخصوصية والمشكلة، ولا يتحقق هذان الشرطان إلا بمعرفة استعمال الألفاظ، والعلم بأصولها ودلالاتها، والعلم الذي يعنى بالدال والمدلول وعلاقتهما هو علم الدلالة، إذ تربط علم الدلالة وشائج وطيدة مع علوم شتى، كما يعدّ مركز الثقل بالنسبة لسائر علوم اللغة، ويرتبط مع موضوعنا: الإعجاز القرآني ارتباطا وثيقا، حيث إنّ موضوع علم الدلالة الرئيس هو صلة اللفظ بالمعنى _ وعلم الدلالة في أبسط تعريفاته هو: العلم الذي يعنى بعلاقة اللفظ بالمعنى¹ هذا الموضوع تحديدا هو الركن الركين في قضية الإعجاز القرآني نفسها، لأنّ مدار التحدّي كان حول الإتيان بسورة أو آية من مثل القرآن الكريم، فكان العجز لذلك والإعجاز. إنّ القارئ لرسالة بيان إعجاز القرآن يلاحظ إيلاء الخطابي أهمية قصوى لموضوع الدلالة، حيث جعل البلاغة القرآنية تقوم على اللفظ والمعنى والنظم الرابطة لهما، كما أنّ الباحث يلقي مواضيع شغلت بال الدلائل مبثوثة بين ثنايا رسالة البيان، تطرّق إليها الخطابي بالذّكر كلّما رأى السياق مناسبا لذلك، كالفروق اللغوية، والنظم القرآني بعدما مهّد رسالته بشرح مفهوم البلاغة القرآنية، وبيّن عمود هذه البلاغة ليتجلّى مفهوم إعجاز القرآن ويتّضح.

¹ ينظر دلدار غفور أمين، (2007م)، البحث الدلالي في المعجمات الفقهيّة المتخصّصة، دار دجلة، الأردن، ص 132.

- معنى "الأصول":

لابدّ من الإشارة إلى أنّ تسميتها "الأصول الدلالية" دون المباحث الدلالية مثلاً، إنّما كان ممتوحاً من رسالة الخطابي فهو القائل بعدما عرضها: "فإذا عرفت هذه الأصول تبين أنّ القوم إنّما كاعوا وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يؤودهم ويتصعدهم منه"¹، وجليّ الفرق بين مصطلحي الأصول والمباحث، فرّبما اختار الخطابي "الأصول" بدل غيرها لما تحمله من شحنات دلالية عن الثبات، والرّسوخ، والعمق والاستمرارية معاً. ولعلّ أبرز الأصول الدلالية في رسالة بيان إعجاز القرآن هي: الفرق الدلالية، والفرق التحوّية، والنّظم القرآني، وهي ترتبط بعلاقة اللفظ والمعنى التي أنف الحديث عنها.

- الفرق اللغويّة:

لقد أولى علماء التّراث للفرق اللغويّة في كتاب الله تعالى عناية واهتماماً كبيرين، فالذي يقرأ أقوالهم وتحليلاتهم في مدوّناتهم يعلم أنّهم لم يدّخروا جهداً في استكشاف ألفاظ القرآن الكريم وعلاقتها بالفرق اللغويّة²، وذلك شأن الإمام الخطابي في رسالة بيان إعجاز القرآن.

- الفرق الدلالية:

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 35.

² ينظر: جهود علماء التّراث ودقائق الفرق اللغويّة في القرآن الكريم (نماذج من القرآن الكريم)، بلقاسم عيسى، مجلّة مقامات، المجلّد 4، العدد 2، س 2020م، ص 123.

تعدّ الفروق الدلالية أصلا من أصول الإعجاز البلاغي عند الخطابي، لا بل وأكثرها أهمية حيث نجده أسهب في الحديث عنها نظرا لأهميتها القصوى، وفي بداية حديثه يبيّن توجهه بأنّه من أنصار الفروق ومنكري التّرادف¹ وهذا الأصل الدلاليّ بالغ الأهمية يقول: " ذلك أنّ في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشّكر، والبخل والشّحّ وكقولك: اقعد واجلس... لأنّ لكلّ لفظة منها خاصية تميّز بها عن صاحبها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها"².

ففي القرآن الكريم أصل دلاليّ مهم هو الفروق الدلالية بين الكلمات حتّى إنّ تبديل كلمة مكان أخرى وإن كانتا تتقاسمان بعض المعاني العامة إلّا أنّهما لا تتطابقان ويبقى الفرق الدلاليّ قائما بينهما، يقول الزّافعي فلو " نزعنا كلمة منه، أو أزيلت عن وجهها، ثمّ أدير لسان العرب كلّ على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها لم يتهيّأ ذلك، ولا اتّسعت له اللّغة بكلمة واحدة"³، وعليه فكلمات القرآن الكريم غير متساوية في الدلالة فكلّ كلمة " تمتاز بجمال توقيعهما في السّمع وباتّساقها الغريب مع المعنى، حتّى كأنّك تشمّ رائحة المعنى المطلوب.. ربّ معنى لا يستطيع الإنسان أن يعبر عنه إلّا ببضع كلمات أو جمل، يعبر عنه القرآن تعبيرا جميلا بكلمة واحدة لا أكثر"⁴،

1 ينظر: الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرّحمن بن صالح الشايع مكتبة العبيكان، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، (1414 هـ 1993 م)، ص 82.

2 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 29.

3 إعجاز القرآن والبلاغة التّبويّة، مصطفى صادق الرّافعي دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1973 م)، ص 225.

4 روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، دمشق، سوريا، (1970 م)، ص 170 و 171.

ويواصل الخطابي في رسالة بيان إعجاز القرآن إظهار الفروق الدلالية في عدّة آيات من القرآن الكريم، معقّبا على انتقادات المغرضين الذين لم يستوعبوا هذه الفروق فقابلوها بأرائهم الناقدة القاصرة، داحضا آراءهم وأوهامهم بالحجج الدامغة، فما لبث أن أفحمهم بالإجابات الكافية المقنعة المبيّنة لعظمة القرآن الكريم وجهل هؤلاء. فضرب أمثلة من كتاب الله العزيز لألفاظ تبدو في ظاهرها مترادفة، ومتساوية تفيد المعنى ذاته، لكن العكس هو الصّحيح حيث إنّ الفروق الدلالية بينها هي أصل الإعجاز فيها، لأنّ كلّ لفظة جاءت في كلام الله تعالى إنّما هي معجزة في موضعها لما تحمله من أبعاد دلالية تشعّ على ما جاورها من ألفاظ وآيات وسور، فكان كل كتاب الله معجزا، وفرقانا، وروحا، ونورا ساطعا لا يضاهيه نور.

مثل لفظيّ: الحمد والشكر اللتان قد تبدوان متساويتين لكن الفروق الدلالية بينهما عديدة، فالحمد يكون ثناءً أي ابتداءً ولا يكون الشكر إلا على الجزاء، ويكون الشكر بالقول مثل الحمد ويكون بالعمل والفعل أيضا كقول الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾¹، كما أنّ الحمد يستعمل في الموقف المحبوب والمكروه معا في حين يقتصر الشكر على المحبوب فحسب. والفرق بين لفظيّ الشحّ والبخل هو أنّ الشح يدلّ على أكل مال الغير ظلما وعدوانا، والبخل يقصد به الحزاة التي يجدها الشحيح في نفسه وقت البذل والعطاء. وليست تطابق الصّفة النعت لأنّ الصّفة

¹ سورة سبأ، الآية 13.

أعمّ والتّعت أحصّ، وغالبا ما يطلق التّعت على ما يكون ثابتا غير قابل للتغيير نحو التّعت بالطّول والقصر، كما أنّ بين اقعد واجلس فروقا دلاليّة، فيقال: اقعد لمن كان قائما، واجلس لمن كان مضطجعا¹.

تلك أمثلة ساقها الخطّابي في رسالته لألفاظ من القرآن الكريم تبدو مترادفة لكنّها ليست كذلك، بل بينها فروق دلاليّة شتى، أوردتها غيره من علماء اللّغة وصنّفت فيها كتب كاملة تعرف بكتب الفرق، إلّا أنّ المبهر عند الخطّابي هو ربطها بالإعجاز القرآني وجعلها القاعدة المتينة التي نصب عليها عمود البلاغة والإعجاز.

- الفروق النحويّة:

يختلف نحو اللّغة العربيّة عن غيره من أنحاء اللّغات الأخرى، ولعلّ أهمّ السّمات التي تميّزه الإعراب، وعنايته بالدّلالة فهو ليس مجرد قواعد جافّة، بل يحمل دلالات تستدعي الدّقة في استعمال الألفاظ والحنكة في انتقائها، وكما توجد بين الألفاظ فروق دلاليّة توجد فروق نحوية، فهناك أفعال تتعدّى باستعمال حروف إذا ما عُيِّرت تعيّر المعنى، تقول: رغبت في الشيء أي أردته، ورغبت عن الشيء إذا تركته، فالفرق بين الجملتين واضح، ومردّه إلى الحرفين (في وعن) والمعنى الذي أكسبته (في) للكلام يخالف المعنى الثاني ل(عن)، وللفرق النحويّة أهميّة كبيرة في اللّغة العربيّة لأنّ تعدية فعل

1 ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 30-31.

باستعمال في ليست تعديته باستعمال على، وبلى ليست هي نَعَم، وليس المعرب كالمبني، ولا الفعل كالفاعل... والمعرفة بهذه الدقائق النحوية ضرورة ملحة، وبها يستقيم المعنى، إنَّ الاستعمال القرآني للأفعال والأسماء والحروف يكتسي حلة إعجازية خاصّة مراعيًا الفروق اللغوية جميعها، وكما عني الخطابي في رسالته بالفروق الدلالية بين الألفاظ، أولى عناية أيضا للفروق النحوية بينها، فالفروق النحوية أصل مهمّ من الأصول الدلالية في القرآن الكريم، يقول الخطابي إنَّ بين بعض الحروف والأسماء والأفعال فروقا يحسبها بعض الناس متساوية مثل: بلى ونعم، وذلك وذلك، ومن وعن¹... ويورد أمثلة كثيرة من القرآن الكريم لإبراز هذه الفروق النحوية وصلتها بالدلالة، وارتباط ذلك كلّه بالإعجاز، مثل (من وعن) اللتان تفترقان في مواضع، فقولك: سمعت منه كلاما أي سمعته مباشرة من فمه دون وسيط، بخلاف سمعت عنه التي تدلّ على أن أحدهم أبلغك الكلام ولم تسمعه مباشرة. ومثال ذلك أيضا: عَشَا إلى النار أيّ نظر إليها، وعشا عن الشيء أي لم يره، كما أنّ اسمي الإشارة (ذاك وذلك) ليسا سواء، لأنّ ذلك يشار به إلى البعيد، وذلك يشار به إلى القريب.

كما يبرز الخطابي الفرق بين بلى ونعم قائلا: إنَّ بلى جواب عن الاستفهام بحرف النفي كقول القائل: ألم تفعل كذا؟ فيقول صاحبه: بلى، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

¹ ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 29.

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾¹. وأما نعم فهو جواب عن الاستفهام نحو هل كقوله سبحانه

وتعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا

وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾²، فهذه الأصول

النحويّة الراسخة اكتست بصبغة إعجازيّة فريدة في كلام الله تعالى، حيث جعلت أهل العربيّة وعلماءها يقفون مشدوهين أمام الإعجاز القرآني وهم يحاولون اقتناص مكنوناتها في كل حين.

ومّا يلفت نظر الباحث هو طرح الخطابي للمسألة الزنبوريّة المعروفة في النحو العربيّ، وذكره لأئمة

النحاة كسيبويه والكسائي، وللمصطلحات النحويّة كالنصب والرفع³، وهذا إنّما يدلّ على عنايته

بكل ما يخدم الإعجاز القرآني مهما تعدّدت مناهله بين لغة ونحو وحديث وتفسير...

- النّظم القرآنيّ:

يعني النّظم في اللّغة ضمّ الشيء إلى الشّيء أو جمعه معه، وهو في الاصطلاح رصف الألفاظ

والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات وفق ما يقتضيه العقل، وذاعت في اللّغة العربيّة نظريّة (النّظم)

حيث لازم ذكرها اسم الإمام عبد القاهر الجرجاني وأنّه من وضعها في دلائله، ونظرا لأهميّة هذه

¹سورة الأعراف، الآية 172.

²سورة الأعراف، الآية 44.

³ ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 29-31-32-33-34.

النظرية كثرت البحوث الحديثة حولها، ونُسبت للجاحظ، وابن النّظام، والقاضي عبد الجبار المعتزلي¹، إلا أنّ المتصّحّح لرسالة بيان إعجاز القرآن، يلقي الخطّابي ذكر مصطلح (النّظم) ولا يتوافق ذكره لمصطلح النّظم مع الباحثين بعده فقط، بل يتوافق معهم في مفهومه للنّظم أيضا، فالنّظم عند الخطّابي متعلّق منذ البداية باللفظ والمعنى، وحيثما يذكر اللفظ والمعنى في رسالته يتبعهما بذكر النّظم، وهذا يجعله أصلا دلاليّا أصيلا يقوم عليه الإعجاز القرآني، يقول: "فتفهّم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف مضمّنا أصحّ المعاني"²، ومّا ذكره الإمام الخطّابي انتقادات وجمّعت لبعض آيات القرآن الكريم تبدو في ظاهرها أنّها منافية للبيان، بل جعلوها "مّمّا يعرض فيه من سوء التّأليف ومن نسق الكلام على ما ينبو عنه ولا يليق به"³، كعدم توظيف الألفاظ في سياقها السليم، ونظمها القويم، وسوء التّأليف والرّصف كالحذف والاختصار والتّكرار، وكلّها اتّهامات باطلة، وافتراءات ساقها الخطّابي وعقّب عليها بالحجج القاطعة مستشهدا بكلام العرب الأقحاح وأشعارهم، وجابها بذكر مواطن الإعجاز فيها، وحسن نظمها الذي عمّي عليهم لجهلهم به، ومن الأمثلة التي ذكرها ما زعموه من شُبه في الآيات التّالية:

¹ ينظر جاسم محمد العبود، مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، (2007م)، ص 152.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 39.

- قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾¹، حيث استعملت لفظة "أكل" في سياق الحديث عن الحيوان المفترس "الذئب"، والأكل من صفات الإنسان، وإنما الأصح _حسب رأيهم_ استعمال لفظة "افترسه" فهي الأنسب في هذه الآية.

فكان ردّ الخطابي أنّ الافتراس الذي هو من فعل السباع مقتصر على دقّ عنق الفريسة، والأكل أعم وأشمل لجميع أجزائها وأعضائها وعظامها، وإنما قال إخوة سيّدنا يوسف عليه السّلام "أكله" بدل "افترسه" لأنهم خافوا أن يطالبهم أبوهم بأثر من أخيهم بعدما افترس، يؤكّد صحّة زعمهم وهم كاذبون، فقالوا "أكله" ولم يُبق له أثرا، وحكى ابن السكّيت في ألفاظ العرب قولهم: أكل الذئب الشاة فما ترك منها تامورا.²

- وقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْلَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضَعْتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾³ ما قالت مثله العرب، لأنّ اليسر والعسر _برأي الذين أرادوا معاجزة آيات الله_ ليسا من صفات الكميّة والعدد، فردّ الخطابي على مزاعمهم، بأنّ المصادر توضع في مواضع الأسماء عند العرب كقولهم: هذا

¹سورة يوسف، الآية: 17.

²ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص38 / 41.

³سورة يوسف: الآية: 65.

درهم ضرب الأمير أي: مضروب الأمير، فكانوا لا يجدون الطعام إلا عند أخيهم ولا يتيسر لهم مرامه إلا من قبله، فقيل: "كيل يسير" أي: "متيسر"، كما قيل: كيل يسير أي سريع لا حبس فيه، وذلك أن القوم كانوا يجلسون على الباب، وكان يوسف عليه السلام يقدمهم على غيرهم، وقيل: إن معنى الكيل هنا السّعر.¹

- "وأما قوله سبحانه ﴿وَأَنْطَلَقَ أَلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾² وقول من زعم أنه لو قيل بدله: امضوا وانطلقوا كان أبلغ، فليس الأمر على ما زعمه، بل المشي في هذا المحلّ أولى وأشبه بالمعنى، وذلك لأنه إنما قصد به الاستمرار على العادة الجارية ولزوم السجّية المعهودة في غير انزعاج منهم... وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في آخر الآية الكريمة و(اصبروا على آهاتكم).. وأما قولهم: امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس في قوله امشوا، والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه"³.

- وبخصوص زعمهم أن الهلاك لا يستعمل إلا في تلف الأعيان، وقد استعمل في قول الله تعالى في سياق غير مناسب للأعيان _ حسبهم _ : ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾⁴، قال الإمام الخطابي إنهم ما زادوا على أن عابوا أفصح الكلام وأبلغه، وقد تكون الاستعارة في بعض المواضع أبلغ من الحقيقة،

¹ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 38 / 42 / 43.

² سورة ص، الآية 6.

³ ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 43.

⁴سورة الحاقة، الآية: 29.

وذلك أنّ الدّهَاب قد يكون على مرأصدة العوّد، وليس مع الهلاك بقيا ولا رجعي، وقيل إنّ السّلطان ههنا معناه الحجّة والبرهان، وهي مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَاذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾¹، والسّلخ مستعار هنا وهو أبلغ منه لو قال: "نخرج منه النّهار" وإن كان هو الحقيقة.²

- كما عابوا عدم تناسب ألفاظ وتراكيب بعض الآيات الكريمة، كقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ رَحِيمٌ﴾ - **أَخَيْرٌ لَشَدِيدٍ**³، من الصّواب أن يعكس نظمها فيقال: إنّهُ لشديد الحبّ للخير، فردّ الخطابي على جهلهم بأنّ الشّديد هو البخيل، ومعنى الآية الكريمة أنّه لأجل حبّ الخير وهو المال لبخيل، وعن قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁴ كان الأولى أن تستعمل ألفاظ تناسب الزّكاة كالإيتاء والأداء، فلا يقال: فلان فعل الزّكاة، فأجاب الخطابي بأنّ غرض الآية إبراز مواظبة المؤمنين على الزّكاة، وكثرة فعلهم لها، وقيل الزّكاة العمل الصّالح فهم للأعمال الزّاكية فاعلون، وأنكروا إقران الودّ بالفعل جعل، لأنّ الصّواب أن يقال وددته وليس جعلت له ودّا، فقال الخطابي إنّهم قد غلطوا

¹سورة يس، الآية: 37.

²ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 44.

³سورة العاديات، الآية: 8.

⁴سورة المؤمنون، الآية: 4.

في تأويل الكلام، ومعنى الآية الكريمة أنّ الله تعالى سيجعل لهم في قلوب المؤمنين مودّة، أي يخلق لهم في صدور المؤمنين محبة، ويغرس لهم فيها محبة¹.

- وإجابة على من زعم أنّ في بعض آيات القرآن تناقض ساق مثالا مفحما لهم، مفاده أنّ ابن أبي هريرة حكى عن ابن سريج قال: " سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾²، فأخبر أنّه لا يقسم ثمّ أقسم به في قوله: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾³ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ⁴ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ⁵، فقال له ابن سريج: أي الأمرين أحبّ إليك، أجيبك ثمّ أقطعك، أو أقطعك ثمّ أجيبك؟، قال: لا بل اقطعني ثمّ أجبني. فقال له: اعلم أنّ هذا القرآن نزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحضرة رجال وبين ظهرائي قوم كانوا أحرص خلق الله على أن يجدوا فيه مغمزا، وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلّقوا به وأسرعوا بالردّ عليه، لكنّ القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت، ثمّ قال له: إنّ العرب قد تدخل "لا" في أثناء كلامها وتلغي معناها"⁴.

وضرب له أمثلة من أشعار العرب الأوائل، وفي هذا السياق ركّز الإمام الخطابي على أنّ العلماء لا يحتجّون بشعر المحدثين، ولا يستشهدون به، إنّما يرجعون إلى شعراء الجاهليّة والشعراء المخضرمين،

¹ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص44/45.

²سورة البلد، الآية:1.

³سورة التين، الآيات:1/4.

⁴ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص47.

وإلى الطبقة الثالثة التي أدركت المخضرمين، لما دخل كلام المتأخرين من الخلل والاستحالة عن رسمه

الأول.¹

- أماعن الإيجاز في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُئِمَّ

بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا

يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾² هو حذف وإيجاز في موضعه بل وإنه من البلاغة، لأنّ في الكلام ما

يدلّ عليه وهذا ما يعقله أهل الفهم ويدركه أولو الألباب.

- وفي سورة الرحمن خاطب الله تعالى الثقلين وعدّد نعمه عليهم ليشكروها ويحمدوه عليها، وحذّهم

من عقوباته ليرتدعوا عنها، فكان التكرار في هذه السورة معجزا في جمعه بين التّغيب والتّرهيب في

آن واحد، وكذلك في سورة المرسلات جاء تجديد القول ليكون أبلغ وأؤكد لإقامة الحجّة³.

- ومّا عابوه في القرآن عدم نزوله على سبيل التّقسيم والتّفصيل، فيكون لكلّ نوع من أنواع علومه

حيّز، ليكون أحسن نظما وأكثر فائدة ونفعا، ردّ الخطّابي بأنّ نزول القرآن الكريم بهذه الصّفة من

جمع أشياء مختلفة المعاني في السّورة الواحدة وفي الآية الواحدة أكثر فائدة وأعمّ نفعا.⁴

¹ ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص46.

² سورة الرعد، الآية 31.

³ ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 51-52-53-54.

⁴ ينظر: نفسه، ص45.

هذه بعض الأمثلة التي أوردها الإمام الخطابي، تضمّنت انتقادات بعض الجاهلين بإعجاز القرآن وحسن نظمه، مشفوعة بردود وتعقيبات الإمام، مبرزاً مواطن حسن نظمها وورصفها.

وحقيق بالذّكر إنّ من الباحثين المعاصرين من أنصف الخطابي حقّه قائلاً إنّ له قدم السّبق في اكتشاف معالم نظريّة النّظم بمصطلح (الاختيار والتّأليف) الذي تبناه الجرجاني فيما بعد والذي ذكره بوضوح تام (أحسن نظوم التّأليف) وعبقرية الخطابي الفدّة جعلت الأفكار التي أوردها في رسالته تعبّر عن سبق إبداعي مبكّر يؤكّد المقاربة بين مصطلحات النّقد الحدائيه الغريية وبين مصطلحات نظريّة النّظم الخطابيية التي انتقلت بدورها من دائرة الخطابي البلاغية الإبداعية إلى دوائر من جاؤوا بعده كالجرجاني والقرطاجني وابن الأثير وغيرهم، وجميعهم نهلوا من معين الخطابي، وداروا في فلك معالم نظريته وراح كثير منهم يبني على ذلك مصطلحاته البلاغية في إطار نظريّة النّظم، فالعبرية الإبداعية للخطابي واكتشافه للنّظم (الاختيار، التّأليف، علاقات الجوار، علاقات الاختيار بانتقاء الكلمات مع مراعاة الفروق اللّغوية، اللفظ والمعنى) بدقّة علمية كبيرة استغرق العقل الغربي الذي أهرّنا إنجازاته الحدائيه ما يقارب اثني عشر قرناً لينتج هذه الصّيغة التي أدركنا لها ظهورنا بدلاً من تطويرها¹.

إن ما يمكن استنتاجه من الفصل الثالث هو أنّ الإمام الخطابي أبرز العناصر الأساسية التي يقوم عليها صرح البلاغة القرآنية، قاصداً بالبلاغة إعجاز القرآن المبني على اللفظ والمعنى والنّظم

¹ ينظر نبيل قصاب باشي، (2010م)، نظريّة النّظم عند الخطابي في معايير النّقد الحديث والنّقد الحدائيه، مجلّة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد 15، العدد 1، ص 275_294.

أولاً، وهذه البلاغة عمود شامخ يتأسس على توظيف الألفاظ في موضعها الأخص الأشكل بها، هذه الأفضلية، والكمال في استعمال الألفاظ والمعاني مردّه إلى أصول دلالية راسخة ثابتة، هي مراعاة الفروق اللغوية والنظم.

إنّ صفة التّسامي والكمال التي يتّسم بها القرآن الكريم، وكونه رسالة من الله تعالى لعباده بهدف هدايتهم من أسباب إعجازه، فبعد فهم ألفاظه ومعانيه وآياته البيّنات المعجزة، تنقشع الظلمات عن النفوس ويحلّ محلّها النور والهداية بإذن الله، وهذا لا يتمكّن إلّا لكلام ربّانيّ مبین، يقول الله تعالى:

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾¹.

¹سورة المائدة، الآيتان: 15، 16.

الفصل الرابع

إعجاز الإعجاز عند

الخطّابي

توطئة:

أورد الإمام الخطّابي أمثلة من القرآن الكريم لإبراز بلاغته وإعجازه، وسرد معارضات المغرضين المنتقدين لكلام الله جلّ في علاه، ودحضها بالحجج الدامغة، وردّها بالأدلة القاطعة، ليختم رسالته بقوله: " قلت في إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه النَّاس فلا يكاد يعرفه إلا الشَّاذُّ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس. وذلك لمن ألقى السَّمع وهو شهيد وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته"¹، هذا ما أطلق عليه جلّ الباحثين الإعجاز التّأثيري ومنهم من سمّاه الإعجاز الرّوحي، وفي هذا الفصل نحاول إبراز مقاصد الخطّابي من هذا القول، ونستجلي وشائجه بموضوعنا الرّئيس اللفظ والمعنى.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 70، 71.

المبحث الأول: ما هو الإعجاز التأثري للقرآن الكريم؟

منذ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تميّز بخصيصة تأثيرية، فبدأ التأثير عليه مع أول كلمة منه ألا وهي (اقرأ)، وفاقته درجة تأثيره كلّ تصوّر حتى حسبته قريش سحراً أو شعراً أو أساطير لشدة وقعه في النفوس، وربط جلّ الباحثين تأثير القرآن في النفوس برقي لغته، ورفعة بلاغته، لكن لا يتوقّف تأثيره عند هذا الحدّ إطلاقاً، فمن الباحثين من خصّ الإعجاز بوجه منفرد سمّاه الإعجاز التأثري، ومنهم من أطلق عليه الإعجاز النفسي ومنهم من سمّاه الإعجاز الروحي.

فبالرغم من أنّ الجاحظ (ت 255هـ) أشار في كتابه البيان والتبيين إلى الإعجاز التأثري وكذلك فعل الرماني (ت 386هـ)، إلا أنّ الخطابي كان أول وأسبق المسلمين إلى البحث عن الإعجاز بحثاً علمياً منظماً¹، فذكر قصّة إسلام عمر رضي الله عنه، وقصّة عتبة بن ربيعة حين سمع آيات من سورة السجدة، وتأثّر الجنّ بسماع القرآن الكريم فولّوا إلى قومهم منذرين، قال الخطابي: "فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتّى إذا أخذت حظّها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشّاهما الخوف والفرق، تقشعر

¹ ينظر: الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ص 181_182، والإعجاز البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف مصر، س 1971، دط، ص 88.

منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمتهم، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً¹ وبعدهما وضح فعل القرآن الكريم التأثيري، لم يجد أصدق دليلاً ولا أدل حجة على هذا الوجه من الإعجاز في القرآن من آيات بينات تثبت ذلك وتصدقه كقول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُتُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾²، وقوله سبحانه تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾³، وقوله جلّ في علاه: ﴿أَو لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁴ وفي قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁵، وفي

1 بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص 70.

² سورة الحشر، الآية 21.

3 سورة الزمر، الآية 23.

4 سورة العنكبوت، الآية: 51.

5 سورة الأنفال، الآية: 2.

قوله تعالى أيضا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ

الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكْتُئِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾¹

ويختتم حديثه عن هذا الوجه من الإعجاز قائلا: "في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع

وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته"²

فلا يعي هذه الصفة التأثيرية في القرآن الكريم إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقال بهذا الوجه علماء جاؤوا بعد الإمام الخطابي كعبد القاهر الجرجاني (ت473هـ) يقول الدكتور

محمد بركات: "مما تميّز به الخطابي أنّه أبرز وجها للإعجاز، وهو الأثر النفسي، وأصبح هذا الرأي

أساسا من أسس نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم في كتبه وكتب بعض المعاصرين في الأدب..."³

كما تطرّق ابن قيم الجوزية (ت751هـ) في كتابه الفوائد إلى تأثير القرآن الكريم في النفوس

يقول: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من

يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنّه خطاب منه لك على لسان رسوله صلّى الله عليه

وسلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٧٧﴾﴾⁴

1 سورة المائدة، الآية: 83.

2 بيان إعجاز القرآن، ص71.

3 نشأة الإعجاز التأثيري للقرآن وتطوره، محمد محمد السقا عيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 36، 1998.

4 سورة ق، الآية: 37.

وذلك أنّ تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحلّ قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، فقد تضمّنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المراد، فقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى) إشارة إلى كلام الله تعالى وهو المؤثر، وقوله تعالى: (مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) وهذا هو المحلّ القابل، والمقصود به القلب الحيّ الذي يعقل، وقوله تعالى: (أَوَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا شرط التأثير بالكلام، وقوله: (وَهُوَ شَهِيدٌ) أي شاهد القلب حاضره، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحلّ القابل وهو القلب الحيّ، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع بالذكر.¹

ولم يكتب الشيخ محمد الغزالي (ت 1416هـ) في كتاب (نظرات في القرآن) بتوضيح تأثير القرآن الكريم بل وضّح وسائله في ذلك مثل من: تقديم الدليل المفحم على كلّ شبهة، تلوين الحديث، تصريف الأمثال، قهر برودة الإلف، تعرية النفوس، التغلّب على مشاعر الملل، التّغيب والتّرهيب، فالشيخ الغزالي جعل وجه الإعجاز النفسي التّأثيري مقدّماً على وجوه الإعجاز جميعاً، وعلى وجه الإعجاز البياني الذي كان يتصدّر وجوه الإعجاز عند السّابقين غالباً.²

1 ينظر: نشأة الإعجاز التّأثيري للقرآن وتطوّره، محمد محمد السّقا عيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، العدد 36، 1998.

² ينظر: نظرات في القرآن، محمد الغزالي، شركة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، س 2005، ص8.

فقد كانت الريادة للإمام الخطابي في جعل تأثير القرآن وصنيعه في نفوس قارئيه وسامعيه وجها من وجوه الإعجاز، أما العلماء بعده فقد تواردوا في الجملة على الإشادة بهذا الوجه من وجوه الإعجاز واستحسانه، ومنهم القاضي عياض (ت 544هـ) إذ قال: "ومنها الرّوعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعترهم عند تلاوته، لقوّته حاله، وإنامة خطره وهي على المكذّبين به أعظم، حتّى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال الله تعالى، ويودّون انقطاعه لكرهتهم له... وأمّا المؤمن فلا تزال روعته به، وهيته إياه مع تلاوته توليه انجذابا، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾¹ وقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾²، ويدلّ على أنّ هذا شيء حُصّ به أنّه يعتري من لا يفهم معانيه، ولا يعلم تفاسيره، كما روي عن نصرانيّ أنّه مرّ بقارئ فوق يبكي، فقيل له: ممّا بكيت؟ قال: للشّجاء والنّظم. وهذه الرّوعة التي اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأوّل وهلة وآمن به، ومنهم من كفر³

¹ سورة الزّمر، الآية: 23.

² سورة الحشر، الآية: 21.

³ الشّفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلا بالحاشية المسماة منزل الخفاء عن ألفاظ الشّفاء، أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، الحاشية لأحمد بن محمد الشمني، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع بيروت، س1988م، دط، 1/ص273، 274.

كما قال الزّركشي (ت 794هـ) بهذا الوجه: "الرّوعة التي له في قلوب السّامعين وأسماعهم، سواء المقرّين أو الجاحدين، ثمّ إنّ سامعه إن كان مؤمنا به بداخله روعة في أوّل سماعه وخشية ثمّ لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه، ومحبّة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الرّوعة نفورا وعيا لانقطاع مادّته بحسن سمعه"¹.

وكذلك قال الزّرقاني (ت 1367هـ) بهذا الوجه: "تأثير القرآن ونجاحه: ومعنى هذا أنّ القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغا خرق به العادة في كلّ ما عرف من كتب الله والنّاس، وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النّافع بالكلام وغير الكلام، وبيان ذلك أنّ الإصلاح العامّ الذي جاء به القرآن والانقلاب العالمي الذي تركه هذا الكتاب ما حدث ولم يكن ليحدث في أي عهد من عهود التّاريخ قديمه وحديثه إلّا على أساس من الإيمان العميق القائم على وجدان قويّ بحيث يكون له من السّلطان القاهر على النّفوس، والحكم النّافذ على العواطف والميول ما يصدّ النّاس عن نهجهم الأوّل في عقائدهم التي توارثوها، وعبادتهم التي ألفوها، وأخلاقهم التي نشأوا عليها، وعاداتهم التي امتزجت بدمائهم، وما يحملهم على اعتناق هذا الدّين الجديد الذي هدم تلك الموروثات فيهم، وحارب تلك الأوضاع المألوفة لديهم، هذا الأساس الذي وضعه القرآن وحده هو سرّ نهضته، وإن شئت فقل هو نار ثورته، بل هو نور هدايته، والرّوح السّاري لإحياء العالم بدعوته، وذلك عن طريق أسلوبه المعجز

1 البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدّين الزّركشي، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، س1957م، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى الباني الحلبي وشركائه، 2/ص 107.

الذي هو النفوس والمشاعر، وملك القلوب والعقول، وكان له من السلطان ما جعل أعداءه منذ نزوله إلى اليوم يخشون بأسه وصولته، ويخافون تأثيره وعمله أكثر ممّا يخافون الجيوش الفاتحة، والحرب الجائحة لأنّ سلطان الجيوش والحروب لا يعدو هياكل الأجسام والأشباح، أمّا سلطان هذا الكتاب فقد امتدّ إلى حرائر النفوس، وكرائم الأرواح بما لم يعهد له نظير في آية نهضة من النهضات"¹.

ويقول سيّد قطب (ت1386هـ) في السياق نفسه: "... إنّه يشعر أنّ هناك عنصراً ما ينسكب في النفس بمجرد الاستماع لهذا القرآن يصعب تحديد مصدره، أهو العبارة ذاتها، أم المعنى الكامن فيها، أهو الصّور والظلال التي تشعّها، أهو الإيقاع القرآنيّ الخاصّ ... ذلك سرّ مودع في كلّ نصّ قرآنيّ"².

ويبقى القول بإعجاز القرآن من جهة تأثيره أمر جليّ ظاهر، قد علّم ذلك من القرآن منذ نزل في العرب فسمعتة من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فوقع في أنفسها وهي التي بلغت من البيان المبلغ الذي لا ينازعها عليه ناطق البتّة موقعا لم تستطع أن تكتمه، فقد روي عن جبير بن مطعم أنّه سمع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يقرأ في المغرب بالطّور، فلما بلغ الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾³.

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط3، دس، 2/ص406، 407.

² سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، (1425هـ 2004م)، مصر، مج6 ص3399.

³ سورة الطّور، الآية: 35.

قال: كاد قلبي يطير، وفي رواية أخرى: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي"، كما روي عن أعرابي أنّه لما سمع القرآن قال للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فعلمني، فعلمه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾¹، قال: زدني فما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا، قال: يا أعرابيّ إنّ هذا كلام الله، يقول محمد عطا أحمد يوسف في تعريف هذا الوجه من الإعجاز: " هو وجه من وجوه إعجاز القرآن، أشار إليه السّابقون، ويتمثّل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر وباطن على سامعه وقارئه، ولا يستطيع هذا القارئ مقاومته ودفعه، ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به"².

والذي يمكن أن نخلص إليه هو أنّ الكشف عن هذا الوجه كان السّبق فيه للإمام الخطّابي في رسالته: بيان إعجاز القرآن، وقد ذكر أنّه وجه لا يكاد يعرفه إلاّ القليل الشّاذّ من النّاس، ولم يذكر لنا من هؤلاء ممّن لو سمّى لنا واحدا لعرفنا أنّه السّابق إلى ذلك، وما دام أنّه لم يذكره فيبقى الأمر في السّبق إلى ذلك منوطا به، إذ قد يحتمل أنّه قال ذلك من باب التّواضع لا غير، وهذا لا يعبّد عن رجل صاحب دين وتقوى كالخطّابي.³

1 سورة الإخلاص، الآية: 1.

2 الإعجاز التّأثيري للقرآن الكريم _ دراسة تاريخيّة وتطبيقية من القرآن والسّنة النبويّة _ محمد عطا أحمد يوسف، مجلّة الشّريعة والدراسات الإسلاميّة العدد 36، السّنة الثالثة عشرة، ديسمبر 1998م، ص 20.

3 ينظر: مبتكرات العلماء في إظهار وجوه إعجاز القرآن، عبد المطلب بوغرارة، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 7، 8.

المبحث الثاني: إعجاز الإعجاز

مما سبق ندرك أهميّة الإعجاز بتأثيره في النفوس، والريادة العلميّة التي كانت للإمام الخطّابي بما أنّه السّباق في طرح هذا الوجه من وجوه الإعجاز طرحاً علمياً مؤسساً مرفوقاً بالحجج، والأمثلة التاريخيّة، إضافة إلى الآيات القرآنيّة الصّريحة التي تثبت تأثيره على سامعه وقارئه، فمنهم الذين تلى جلودهم منه، ومنهم من تفيض أعينهم من الدّمع تأثراً بكلام الله سبحانه وتعالى.

والملاحظ أنّ الخطّابي لم يطلق عليه تسميّة بعينها بل قال عن هذا الوجه الذي انصرف عنه جلّ الباحثين، "صنّعه بالقلوب وتأثيره في النفوس"، ولم يقيده باصطلاح ما، كما هو شائع عند من جاؤوا بعد الخطّابي الذين اختلفت تسمياتهم له بين: الإعجاز النفسي انطلاقاً من قوله: "تأثيره في النفوس" أو الإعجاز التّأثيري، أو الرّوحي أو القلبي، كلّ حاول تسميته على شاكلته، ولو عدنا إلى ما قاله الخطّابي: "صنّعه بالقلوب وتأثيره في النفوس"، فنحن لا نرى من الدقّة التّسليم بتسميته إعجازاً تأثيرياً أو نفسياً، والخطّابي لم يقنع بلفظة التّأثير أو مصطلح النفسي بل فضّل تسميته بهذه الجملة كاملة، وبعد البحث لم نجد ما يشفي الغليل لوصف هذا الوجه من الإعجاز، لأنّ طبيعة إعجازه كما رأينا في المبحث السّابق لا تقتصر على القلب وحده، وإمّا التّأثير أكثر إطلافاً من أن يحصر في القلب وحده أو النفس فقط فيسمّى نفسياً، ولا يمكن تقزيمه في لفظة التّأثير فقط فنطلق عليه: إعجازاً تأثيرياً، بل فيه التّأثير والصّنيع، وكأنّنا به إذا وقع في النفس صنع بها الصّنائع فينعكس ذلك عليها تأثراً فعلاً وسلوكاً، ولا يقف عند حدود النفس أو القلب بل يعدوهما إلى الأعين والجلود

والعقول والأفعال، فلم نجد مصطلحا يجمع كلّ هذه المعاني التي أسّس لها الإمام الخطّابي بقوله: صنيعه بالنّفوس وتأثيره في القلوب من مصطلح يقترب من فهم الخطّابي المتكامل له سوى تسمية هذا الوجه: "إعجاز الإعجاز".

فإذا كان الصّنيع بالقلوب عميقا، والتأثير في النّفوس عميقا أيضا، فهذا يقتضي عمقا في الاصطلاح، وهذا الوجه يصلح أن يكون أعمق من الإعجاز نفسه، فحريّ أن يسمّى تعمّقا "إعجاز الإعجاز" نفسه، فهو يخرق النّفوس والقلوب ويؤثّر فيها.

كما أنّ اصطلاح "إعجاز الإعجاز" عليه يحمل دلالات الانفتاح والاتّساع، كذلك يوحى بعمق هذا الوجه وشساعته، ورحابة أرجائه، حتّى لكأننا بهذا الوجه يدلّنا على سمة الخلود في المعجزة القرآنيّة لأّها متعلّقة بتأثيرها في القلوب وصنيعها بالنّفوس ممّا يهبها الدّيمومة والبقاء، وهذا ما يضمن لكلام الله الحفظ، وعدم انقضاء عجائبه في كل عصر ومصر.

شرح مصطلح "إعجاز الإعجاز":

إنّ أوّل من أطلق على هذا الوجه "إعجاز الإعجاز" هو الدّكتور: أسامة شفيع السيّد (من مواليد 1975م / توفي 7ماي 2021م)¹ حين قال في بحث مخطوط له سمّاه (فصل في مراتب

¹الفقيه الأديب الدّكتور أسامة شفيع السيّد، المدرّس بقسم الشّريعة الإسلاميّة بكلّيّة دار العلوم بجامعة القاهرة، من مؤلّفاته: الفكر الفقهي عند محيي الدين بن عربي (رسالة ماجستير)، امتناع المسؤولية الجنائية في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة (رسالة دكتوراه)، الفقه الإسلامي بين حرّيّة الاجتهاد وقيود المذهب الرّسمي، قيد الأوابد شذرات في الدّين والفكر والأدب، وترجمات لكتب عديدة مثل: النّشأة الثّانية للفقه الإسلامي المذهب الحنفي في فجر الدّولة العثمانيّة الحديثة لجاي بورك، موجز تاريخ

الإعجاز) نشره في صفحته الرسميّة على موقع فايسبوك بتاريخ: 12 جوان 2020، وأعاد نشر جزء منه يوم 4 أفريل 2021 بعنوان أرشيفيّات، يقول رحمه الله: "اعلم _ علّمني الله وإيّاك من لدنه علما_ أنّ التّفنّن لإعجاز القرآن لا يقع جملة، وإّما يتحصّل شيئاً بعد شيء، فالقرآن منجّم في نزوله، منجّم في سفوره.

واعلم كذلك أنّ المدرك من ذلك ليس طبّقاً واحداً، بل منه ما تدلّ عليه العبارة، وهو أدناه، ومنه ما يندّد عن العبارة إلى الإشارة، وهو أوسطه، ومنه ما يخرج عن طوق العبارة والإشارة ليكون ذوقاً محضاً، تجده في نفسك ضرورة، ولا تستطيع أن تُعدّيه إلى غيرك، وهذا إعجاز الإعجاز، وهو أعلى المراتب لاتّصاله بالحيرة التي هي منتهى العلم بالله، ولأنّه يقع في النفس موقع الضّروريّ الذي لا يُردّ ولا يُستدلّ عليه، ولعلّ هذا النوع هو الذي عناه السّكاكي بقوله: "شأن الإعجاز عجيب، يُدرك ولا يمكن وصفه".

وربّما أطلق الدكتور أسامة شفيح السيّد مصطلح "إعجاز الإعجاز" على أعلى مراتب الإعجاز القرآني للدلالة على أهميّة هذا الوجه، إضافة إلى عمقه فهو متّصل بالحيرة والعجز وهو منتهى العلم بالله تعالى، كما أنّ توظيف مصطلح مركّب من الكلمة نفسها مكرّرة، تارة نكرة وطورا معرفة،

الإسلام لكارين أرمسترونج، المرجع في تاريخ علم الكلام لزابينه شميتكه، الشّرق والغرب لرنيه جينو، أزمة العالم الحديث لرنيه جينو.

"إعجاز الإعجاز" ليحيلنا إلى مصطلحات مثل: " معنى المعنى"¹ و " فكر الفكر"²، ونقد النّقد، وبما أن الدّكتور أسامة السيّد كان مترجماً وعالماً فذاً وأديباً بارعاً، ربّما تأثّر بذلك بعد دراساته الواسعة، وترجماته المتعدّدة لكتب الفكر والفلسفة وعلم الكلام.

– الموازنة بين القولين:

إنّ قول أسامة السيّد السّابق يشترك مع ما قاله الخطّابي في كون هذا الإعجاز يقع في النّفس، وفي كونه أعلى المراتب لا تتّصّاله بالحيرة.

فالخطّابي يقول: " صنيعه بالقلوب وتأثيره في النّفوس"، ويقول أسامة شفيح السيّد بالمقابل: "تجده في نفسك ضرورة... ولأنّه يقع في نفسك موقع الضّروري".

ويقول الخطّابي: "في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه النّاس فلا يكاد يعرفه إلّا الشّاذّ من آحادهم"، ثمّ يواصل بعد ذكر أمثلة لهذا الوجه: " وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته".

¹ "معنى المعنى" كتاب ألفه تشارلز كي أوغدن، ووايفر أرمسترونغ رتشاردز، وهو مجموعة من المقالات ظهرت عام 1910م.
² "فكر الفكر" حيث ورد هذا المصطلح إجابة من الفيلسوف الألماني هيغل (ت 1831م) عن ماهية الفلسفة قال: (إنّ الفلسفة لا تتعامل قطّ مع أشياء جزئية مباشرة كهذه الشجرة، أو تلك المنضدة .. ، أو هذا النّظام السّياسي أو الاجتماعي في هذه الدّول العربيّة أو الأوروبيّة.. ، الفلسفة لا تدرس وقائع جزئية، ولكنّها تدرس الكلّ، النّظام السّياسي ككلّ، الوجود ككلّ، الأخلاق بوصفها أخلاقاً.. ، أعني لا بدّ أن تتحوّل الشجرة والمنضدة وهذه الورقة إلى تصوّرات كليّة، إلى أفكار شاملة،.. حتى تكون موضوعاً للفلسفة. ومعنى ذلك أنّ الفلسفة لا تدرس سوى الفكر فحسب، وهي نفسها فكر، ولهذا كانت فكراً يتّخذ من ذاته موضوعاً، أو هي فكر انعكاسي أو هي فكر الفكر (ينظر: موسوعة العلوم الفلسفيّة، هيغل، تر: إمام عبد الفتّاح إمام، دار التّنوير للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط3، س 2007، ص 18).

ويقول الدكتور أسامة شفيح السيّد: "وهذا إعجاز الإعجاز، وهو أعلى المراتب لا تتّصّاله بالحيرة

التي هي منتهى العلم بالله".

هذا التّقارب في تحليل وجه الإعجاز المذكور بين الإمام الخطّابي والدكتور أسامة شفيح السيّد هو

الذي جعلنا نُقبل على إطلاق مصطلح إعجاز الإعجاز على أعلى مراتب الإعجاز القرآني.

وبهذه المقاربة بين أقوال الخطّابي وأسامة شفيح السيّد نتيقّن من عبقرية الخطّابي _ التي لا تحتاج

إلى أن ندلّل عليها_، وأنّ تبينه لإعجاز القرآن الكريم فاق عصره، وتجاوز زمنه بما حباه الله به من

فهم لكلامه الكريم، وما تلك الفتوحات إلا عطاءات ربّانية انعكست على فكر الإمام الخطّابي من

نور القرآن وهداه، فليس هيّنا أبدا ما يلاحظ " على الخطّابي أنّه جمع بين أقوال مختلفة قيلت في

القرآن، ولكنّ بعضها لا يناقض بعضها، ويدلّ جمعه إيّاها على معرفة عميقة بجمال الكلام وبالبلّابة

الحقيقيّة.¹

فإذا جعل الخطّابي سبب إعجاز القرآن من ناحية بلاغته راجعا إلى نزوله بأرفع مقوّمات الكلام

على الإطلاق (اللفظ/ المعنى/ النّظم)، مع توقّره على المحمود الفاضل من أجناس الكلام، وحصل

ذلك بخصائص البلاغة القرآنية، التي لها عمود متمثّل في وضع تلك الألفاظ موضعها الأخصّ

¹ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبويّة حتّى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، ص 65.

الأشكال بها، وتقوم على أصول ثابتة محورها مراعاة الفروق اللغوية والنظم، مضيفا الوجه الذي توارى عن عامة الناس وهو إعجاز القرآن بتأثيره في النفوس وصنيعه في القلوب.

فإن أسامة شفيح السيد جعل الإعجاز في ثلاث مراتب، فمرتبة دنيا تختصّ بها العبارة، ومرتبة وسطى تدلّ عليها الإشارة، ومرتبة عليا تجاوز العبارة والإشارة لتخترق النفس مباشرة وهي إعجاز الإعجاز.

ويمكن اختصار نقاط التوافق بين التفسيرين حول أمر الإعجاز القرآن فيما يلي:

- اتّفاقهما على وجه إعجاز القرآن بألفاظه وعباراته، ونظمه، ومعانيه وإشاراته
- وعلى أنّ أعلى مراتب الإعجاز يتعلّق بتأثيره باختراق النفس، مجاوزا حدود الألفاظ والعبارات، والإشارات الدالة.
- واتّفاقهما على أنّ إعجاز الإعجاز هو أكثر الأنواع والأوجه عظمة، لأنّه من آيات الله التي توصل لمنتهى المعرفة به تعالى.

المبحث الثالث: اللفظ والمعنى وإعجاز الإعجاز

إنّ موضوع الرّسالة اللفظ والمعنى عند الخطّابي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإعجاز الإعجاز، هذا الوجه الأعلى مرتبة من مراتب ووجوه إعجاز كلام الله تعالى، فإذا بيّن لنا الإمام علاقة الإعجاز بمقوّمات الكلام متمثّلة في اللفظ والمعنى والنّظم، وصلته بأقسام الكلام الثلاثة فالبلغ الرّصين الجزل، والفصيح القريب السّهل، والجائز الطّلق الرّسل، ووضّح لنا عمود الإعجاز بوضع ألفاظ الأقسام الثلاثة للكلام كلّ في موضعه الأخصّ الأشكل، رادّاً على من انتقدوا كلام الله، واصفاً فعلتهم بأنّها نتاج الجهل.

ورغم أهميّة الإعجاز اللّغوي للقرآن الكريم إلّا أنّ الإمام الخطّابي لم يقتصر على ذكره وحده فقط، بل ختم بإعجاز الإعجاز، ولو أنّ إعجاز الإعجاز أعلى المراتب فلا يمكن نفي صلته بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ولا تخفى العلاقة القائمة بين إعجاز القرآن ببلاغته الكاملة، وتأثيره في القلوب وصنّيعه في النفوس، فيتضافر الوجهان معاً في حصول الإعجاز القرآني، ومن الأمثلة التي تثبت صلة اللفظ والمعنى ونظّمهما بإعجاز الإعجاز ما ساقه الإمام الخطّابي من محاولات _ بعض المفترين _ معارضة القرآن الكريم، وادّعاءهم الكاذبة بمباراة آياته، فلا استقام لهم لفظ ولا معنى، ولا صدّقهم أحد، أي لم يؤثّر كلامهم في العرب وقتئذ، بل كشف الخطّابي أكاذيبهم، وبيّن جهلهم وتناقضاتهم ومنها:

- ما رواه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما مرّ بمسيلمة الكذاب فقال مسيلمة: إنّ محمّدا أرسل في جسيم الأمور، وأرسلت في المحقّرات، فقال له عمرو: أعرض عليّ ما تقول، فقال: " يا ضفدع نقي فإنّك نعم ما تنقّين، لا واردا تنفرين، ولا ماء تكدرين، يا وبر يا وبر، يدان وصدرا، وسائرک حضر نفر"، ثمّ أتى أناس يختصمون إليه في نخل قطعها بعضهم لبعض، فتسجّى بقطيفة ثمّ كشف رأسه فقال: " واللّيل الأدهم، والدّئب الأسحم، ما جاء بنو أبي مسلم من محرم"، ثمّ تسجّى ثانية فقال: " واللّيل الدّامس، والدّئب الهامس، ما حرّمته رطبا إلّا كحرّمته يابس، قوموا فلا أرى عليكم فيما صنعتم شيئا"، فقال عمرو: أما والله إنّك تعلم وإنّا لنعلم أنّك من الكاذبين. فتوعّده¹. وذكر أقوالا أخرى لغيره مثل: " ألم تر إلى ربّك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، بين شراسيف وحشى"، وقول آخر: " الفيل، وما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له مشفر طويل، وذنب أثيل، وما ذاك من خلق ربّنا بقليل"².

وهذه الترهّات والجهالات، والأباطيل وجدت منذ وقت نزول القرآن الكريم ونجدها حتّى في وقتنا الرّاهن، وهي لا تحضى بالعناية والاهتمام الذي أراده أصحابها، بل وكتبوها لأجل كسب الاهتمام، والبحث عن الشّهرة، فاندثرت لأنّها لا تحمل أدنى قيمة، وإنّما أصدرها بعض النّاعقين الذين يظنّون عبثا أنّهم يعاجزون القرآن الكريم أو يحقّرونه، وما يحقّرون إلّا أنفسهم، تقول إحدى هؤلاء فيما

¹ ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 56 / 57.

² ينظر: نفسه، 55.

أطلقت عليه "سورة كورونا": "كوفيد، والفيروس المبيد، بل عجبوا أن جاءهم من الصّين البعيد، فقال الكافرون إنّه مرض عنيد"، ويقول آخر: "إذا الكورونة ظهرت، وإذا العدوى انتشرت، وإذا الشّوارع فرغت، وإذا المرضى حجرت، وإذا المستشفيات ملكت، وإذا النّاس هلعت، وإذا الأرواح زهقت، وإذا العلماء سئلت، هل تجارب اللّقاح نجحت"¹.

إنّ القارئ لكلمات مسيلمة وأصحابه لا يكاد يجد فرقا شاسعا بينها رغم البعد الزّمني بين عصره وعصرنا الحالي، ولا يكاد ينتاب القارئ سوى شعور الشّفقة نحو هؤلاء والتّعجب من جهلهم الفاضح، فألفاظهم ومعانيهم لا تعدو أن تؤثر على المتلقّي بالاشتمزاز لسقوط البلاغة، أو يمتعض لسوء النّظم، أو يستغرب ويستحقر هول التناقض والكذب الذي تضمّنه، ويكفي وصف الإمام الخطّابي وتحليله لأسباب ذلك.

فالأقوال السّابقة لم تؤثر في أحد بل وأسقطها التّاريخ لأنّها تافهة، وهذا ما يبرز العلاقة بين الإعجاز اللّغوي والبلاغي لألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وبين إعجاز الإعجاز، فالملاحظ أن عمرو بن العاص في حوار مع مسيلمة طلب أن يقول له شيئا من كلامه (ألفاظ ومعاني)، فكان ردّ فعله واضحا (أما والله إنك تعلم وإنا لنعلم أنّك لمن الكاذبين)، فسمع عمرو بن العاص ذلك الكلام جعله يحكم على كذبه ممّا يدلّ على الارتباط الوثيق بين وجهي الإعجاز البلاغي وإعجاز الإعجاز،

¹ نشرت المدوّنة التّونسيّة "آمنة الشّرقية" نصّا ساخرا بعنوان "سورة كورونا" في 02 ماي 2020م ما أدّى إلى الحكم عليها بالسّجن 6 أشهر وغرامة ماليّة بتهمة التّيل من المقدّسات والدّعوة إلى الكراهيّة بين الأديان والأجناس، وبعد ذلك غادرت تونس متوجّهة إلى ألمانيا لتتمكّن من التّشر والتّعبير الحرّ والنّقد بأريحيّة _ حسب رأيها_.

وهناك موقف آخر يصبّ في السياق نفسه ذكره الخطابي عندما تحدّث عن أكاذيب مسيلمة، يقول: "ولخلوّ هذا الكلام من كلّ نوع من الفوائد قال أبو بكر رضي الله عنه حين طرق سمعه: أشهد أنّ هذا الكلام لم يخرج من بال"¹.

واعتراف مسيلمة أنّه أرسل في المحفّرات سيّد الأدلّة على أنّ أقواله حقيرة وسخيفة، وقد بيّن الخطابي التناقضات التي حوتها أقوال الكاذبين، من جميع النواحي (الألفاظ والمعاني والتأليف) وصولاً إلى تأثيرها الحقير على من سمعها، يقول _ وهو الرّد القويّ على كلّ من اقتدى بمسيلمة في كلّ زمان ومكان_: "إنّ كلام خال من كلّ فائدة، لا لفظه صحيح، ولا معناه مستقيم، ولا فيه شيء من الشرائط الثلاثة التي هي أركان البلاغة، وإنّما تكلف هذا الكلام الغثّ لأجل ما فيه من السجع، والسّاجع عاداته أن يجعل المعاني تابعة لسجعه، ولا يبالي بما يتكلّم به إذا استوت أساجيعه واطّردت"².

فما كان لهم بجهلهم سوى الإقدام على الاستراق من القرآن، ممّا لا يسمو إلى مستوى المباراة والمقابلة والمعارضة لأنّ هذه الأخيرة ذات شروط وقيمة، وكلامهم خال من ذلك كلّ، بل كما وصفه الخطابي بأنّه سرقة معلنة تنمّ عن الجهل والكذب، يقول عن كلامهم بأنّه: "خال من أوصاف

¹ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص56.

²نفسه، ص55/56.

المعارضات وشروطها، وإنما هو استراق واقتطاع من عرض كلام القرآن، واحتذاء لبعض أمثلة نظومه، وكلاً لن يبلغوا شأوه أو يصيبوا في شيء من ذلك حدوه"¹.

وواقع الأمر أنّ مسيلمة وأصحابه في كلّ حين لم ينالوا من القرآن في شيء، ولم يعارضوه البتّة، بقدر ما كشفوا عن ضلالهم المبين، وجهلهم الكبير، فهم "لا حدث" بتعبيرنا المعاصر، يسأل الخطابي بغرض التعجّب قائلاً: "هل يخالج أحداً شكُّ في ضلالة من هذا سبيله، وسقوط من هذا برهانه ودليله؟ وأي معنى تحته، وأي حكمة فيه حتى يتوهّم أنّ فيه معارضة للقرآن، أو مباراة له على وجه من الوجوه؟... وإذا وقفت على شروط المعارضات ورسومها، وتبيّنت مذهبها ووجوهها علمت أنّ القوم لم يصنعوا في معارضة القرآن شيئاً، ولم يأتوا بأحكامها بشيء البتّة، والأمر في ذلك بيّن واضح لا يخفى على ذي مُسكة ذكيّ والحمد لله"².

محاولات هؤلاء البائسة لم تحصد نفعا ولا إعجاباً، أمّا كلام الله تعالى فارتباط ألفاظه ومعانيه ووقعه في النفوس بيّن وخالد، لأنّه كلام ربّاني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يقول عبد الكريم الخطيب: "إنّ كلمات القرآن التي كانت على فم النّاس، كان لها رحلة إلى الملاّ الأعلى من الأرض إلى السّماء من أفواه النّاس إلى عالم الرّوح والحقّ والنّور، وهناك في هذا العالم _ عالم الرّوح والحقّ والنّور_ عاشت تلك الكلمات دهراً طويلاً بين ملائكة، وولدان، وحوار، فنفضت عليها هذه

¹نفسه، ص 58/57.

²ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 66/57.

الحياة الجديدة روحاً من روحها، وجلالاً من جلالها، ونوراً من نورها، حتى إذا أذن لها الحكيم الخبير أن تعود أدراجها إلى الأرض وتلقى بأفواه الناس مرة أخرى، وتطرق أسماعهم، وتتصل بعقولهم وقلوبهم، لم ينكروا شيئاً من وجودها، وإن سرى إليهم من هذا الوجود ما يخطف الأبصار، ويخلب الألباب، فالمؤمنون في شوق متجدد معه، وفي خير متصل منه، وفي عطاء موصول من ثمره، كلما مدوا أيديهم إليه قطفوا من أدبه أدباً عالياً، ومن علمه علماً نافعاً، ومن شريعته ديناً قيماً، وغير المؤمنين في عجب من أمره ودهش، يتناولونه بالسنة حداد، ويرمونهم بسهام مسنونة، ويكيد عظيم، فما يصل إليه من كيدهم شيء¹.

ويشرح عبد الكريم الخطيب قول السكاكي متعجباً من أمر الإعجاز حيث يقول: "وما يقول السكاكي عن إعجاز القرآن هنا هو مقطع القول كله في هذا الأمر، إذ ليس الإعجاز الذي رآه الناس إلا روعة تملكهم، وإلا جلالاً يحيط بهم، وما كان لكلام أن يصور حقيقة الروعة أو يمسك مواقع الجلال، إنَّها معان تدرك، تستشعر، ولا توصف؟، ولهذا فإنَّ الناس مع القرآن على منازل ودرجات وحظوظ... فهذا الوجه يمتاز عن سائر الوجوه بأنَّه:

- المعجزة القائمة في كل حين.

- أنَّها تسع الناس جميعاً عالمهم وجاهلهم.

¹ ينظر: نشأة الإعجاز التأثري للقرآن وتطوره، محمد محمد السقا عيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 36،

- أمّا تسعهم بكلّ لغاتهم، عربيّهم وعجميّهم.

- أمّا لا تقتصر على الإنس وحدهم، بل وتسع الجنّ أيضا.¹

ومن المحدثين من قال بهذا النوع من الإعجاز كالشيخ الشعراوي الذي يرى أنّ هذا النوع من

الإعجاز يتمثل في تمزيق القرآن حواجب غيب النفس.²

وعليه فإنّ الخطابي في بيان إعجاز القرآن أنكر إعجاز القرآن الكريم بالصّرفة، وبخصوص الإعجاز

الغيبّي والإخبار بما هو مستقبلّي فقد أورده الإمام في رسالته ردّاً على من قال بأنّه وجه شامل للقرآن،

وذلك لأنّ المعجزة القرآنيّة هي ما يستمرّ إعجازها في كلّ زمان ومكان وهو ما لا يوجد في هذا

الوجه، والقول بأنّ القرآن الكريم معجز بتحدّيه العرب الفصحاء، فلم يأتوا بسورة ولا آية من مثله

وعجزوا عن ذلك فهو وجه حسن عنده، والإعجاز البلاغي الذي ذهب إليه أكثر العلماء من أهل

النّظر فصلّ الخطابي القول فيه، وأبان علّته، وأظهر سرّه، حيث ذكر في بدء رسالته وجوه البلاغة،

فأبان أسرارها وردّ الشّبّهات عنها، وكأنّ هذا الوجه هو ما أراد إبانته في هذه الرّسالة وإيضاح رأيه

فيه، فكان ما ذهب إليه من رأي في إبانة سرّ هذا الوجه وعلّته، هو رأي انفرد به عن الذين قالوا به

وهم أكثر أهل النّظر الذين اعتادوا في إيضاحه على ضرب من ضروب التّقليد، وجعلوا معرفته متعلّقة

¹ ينظر: الإعجاز في دراسات السّابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، دط، س 2007، ص 127.

² ينظر: المعجزة القرآنيّة، متولي الشعراوي، دار الكتب والمكتبات، ص 35.

بأمور معنوية تقع في نفوس العالمين بها، وذكر وجهها آخر ذهب عنه الناس، وهو صنيعه بالنفوس وتأثيره في القلوب، وكأن تأخيره هذا الوجه هو إبانة لأهميته، وإيضاحاً لرأيه فيه.¹

والإمام الخطابي في رسالته ابتغى بيان وجوه إعجاز القرآن، فشرّح ما قيل قبله في هذا الموضوع، راداً بعضها رداً مطلقاً (الصرفة)، وقابلاً بعضها قبولاً نسبياً (الإعجاز الغيبي)، مستحسناً القول بـ(عجز العرب) واقعاً عن مضاهاة القرآن والإتيان بمثله، مبرزاً القول في الإعجاز البلاغي الذي كثرت الأقوال فيه، فانبثقت اختلافات بين العلماء بسبب البحث كقضية اللفظ والمعنى والانشغال بأيّهما أفضل بالنسبة للآخر، إلا أنّ الخطابي لم يقع في شرك البحث عن الأفضلية للفظ أو المعنى، بل ظلّ متشبّثاً بالموضوع الرئيس الذي تفرّعت عنه جلّ الجدالات، "لذلك فقد أتى بتقسيم جديد للكلام، وأبان فصوله ومراتبه، ثمّ أوضح سرّ هذا الإعجاز، وعمود هذه البلاغة، وهو عدم إحاطتهم بمعاني كلّ الألفاظ، ثمّ ردّ كلّ الاعتراضات والشبه التي دارت حول هذا الوجه، وكأنّ الرسالة منصّبة في هذا الموضوع دون غيره"².

ومّا سبق ذكره تتبيّن الصلّة الوطيدة بين وجهي الإعجاز اللذين قال بهما الإمام الخطابي فالإعجاز البلاغي وإعجاز الإعجاز، إذ أنّهما يتّصلان ببعضهما البعض، ف" الله تعالى قد أحاط

¹ ينظر: وجوه الإعجاز القرآني عند الإمام الخطابي من خلال كتابه بيان إعجاز القرآن _دراسة تحليلية_، عمر ياسين طه الملاح، مجلّة كليات العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، المجلد السابع، س 1434هـ / 2013م، ص 11/12.

² وجوه الإعجاز القرآني عند الإمام الخطابي من خلال كتابه بيان إعجاز القرآن _دراسة تحليلية_، عمر ياسين طه الملاح، ص 12.

بكلّ شيء علماء، وأحاط بالكلام كلّ علماء، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن عَلِمَ بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى، وتبيّن المعنى بعد المعنى، ثمّ كذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم أنّ بشرا لم يكن قطّ محيطا، فبهذا جاء القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة"¹.

ولا يمكن تعليل الرّبط بين هذين الوجهين الإعجازيين إلّا بنظرة النورسي للقرآن الكريم التي تتسم بدقّة الوصف إذ قال: "القرآن الكريم هو التّرجمة الأزليّة لكتاب الكائنات الحيّة، والتّرجمان الأبدي لألسنتها المتنوّعة التّالية للآيات التّكوينيّة، ومفسّر عالم الغيب والشّهادة، وكذا هو كاشف لمخفّيات الكنوز المعنويّة للأسماء الإلهيّة المستترة في صفائح السّماوات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشّؤون المضمرة في سطور الحادّثات، وكذا هو لسان عالم الغيب في عالم الشّهادة، وكذا خزينة للمخاطبات الأزليّة السّبحانيّة، والانتفاتات الأبدية الرّحمانيّة الواردة في عالم الغيب المستور وراء حجاب عالم الشّهادة هذا، وكذا هو شمس عالم الإسلام المعنوي وأساسه وهندسته، وكذا هو القول الشّارح والتّفسير الواضح، والبرهان القاطع، والتّرجمان السّاطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه"².

– أوجه الإعجاز القرآني في "بيان إعجاز القرآن":

¹ المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج1، ص49.
² الكلمات، النورسي بديع الزّمان سعيد، تح: إحسان قاسم الصّالح، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط3، 2002، ص420.

بعدما رأينا ارتباط وجهين مهمين من وجوه الإعجاز، وهما الإعجاز البلاغي وإعجاز الإعجاز، وددنا التطرق في هذا المقام إلى وجوه الإعجاز التي وردت في رسالة البيان، حيث إن ذكر الخطابي إعجاز الإعجاز أخيراً يوحى بأهميته، وإبرازه أن هذا الوجه من الإعجاز لا يكاد يعرفه إلا الشاذ من الناس يبين هذه أهميته، ليصرح في موضع آخر بأن هذا الوجه: " من عظيم آياته، ودلائل معجزاته"¹.

وقد صدر الإمام الخطابي كتابه بذكر أشهر أوجه الإعجاز كالقول بالصرفة، والإعجاز الغيبي، وعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، فرفض القول بالصرفة، وقبّل الإعجاز الغيبي نسبياً لأنّ القرآن لا يخبر كلّ عن الغيبات، واستحسن القول الثالث، وتناول القول بالإعجاز البلاغي أو اللغوي بالشرح والتحليل لأنّه كان محلّ غموض فالقائلون به لم يبرزوا سببه فأزبح الغموض في البيان، بأنّ علته تنطلق من اللفظ والمعنى القرآني، والنظم الرابطة بينهما، وتوفّره على ألفاظ جمعت الفخامة والسهولة والعدوبة في الوقت ذاته، لتضمّ البلاغة القرآنية عموداً متجليّاً في وضع كلّ لفظ موضعه الأخصّ الأشكل به، مع مراعاة الأصول الدلالية للغة، وحصول كلّ هذا تقصر عنه قوى البشر، وتحوزه البلاغة القرآنية الكاملة.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 71.

- ومن هنا كان الخطابي يؤسس لحلّ المشكلة عندما رفض النظرة الإجمالية للبلاغة التي تقوم على التوصيف الخارجي دون الولوج في الدقائق والأسرار والعوالم الدّاخليّة ف:
- حاول تأسيس القراءة المنهجية على أنقاض القراءة العابرة، أو الشاملة التي تكتفي باللمح أو التذوق، وأقام فكرة التحليل الموضوعي القائم على الاستقصاء، ثمّ التعمّق في معالم الحسن والجمال.
 - تصوّره للعلاقة بين اللفظ والمعنى على أنّها علاقة تلازم، كان تصوّراً منسجماً مع رؤيته للإعجاز.
 - أقام فكرته المحورية على المسافة الفاصلة بين البلاغة الإنسانيّة، والبلاغة القرآنيّة، فالأولى متفاوتة قاصرة، والأخرى مطّردة كاملة.¹

وبعدما انجلى الغموض عن هذا الوجه من أوجه الإعجاز القرآني، ذكر الوجه الآخر وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، ويعدّ أوّل من جعله وجهاً من وجوه الإعجاز.

واهتمام الخطابي بالإعجاز البلاغي واللغوي، مردّه إلى الغموض الذي كان يشوبه والذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بعده كذلك. والقول به على سبيل التقليد والدليل على ذلك أنّ الخطابي ذكر أوجه أخرى للإعجاز القرآني، ولم يقتصر على وجه واحد فقط.

¹ينظر: الإعجاز بين التحليل والتلقي لدى علماء القرنين الرابع والخامس، عبير عبيد الشبيل، قصي علي السعودي، ص22/21/20، (Jurnal Ilmiah ISLAM FUTURA, Vol. 19. No. 1, Augustus 2019).

وحرريّ بالذّكر أنّ تفصيل الكلام في الوجه البلاغي للإعجاز، لا يدلّ على القول به وحده دون سواه، لأنّ إعجاز القرآن من النّاحية اللّغويّة والبلاغيّة فقط لم يلق قبولا لدى البعض ف: "الإعجاز اللّغوي واللفظي للقرآن من خلال بلاغته وفصاحته (منفردا أو منظما لوجوه أخرى) هو عمدة وجوه الإعجاز بنظر الأغلبية السّاحقة لعلماء المسلمين بشقّي طوائفهم وفرقهم، لكن هذا الوجه لا يمكن قبوله، لأنّ البلاغة والفصاحة مسألة نسبيّة وذوقيّة باعترافهم، ولم يتمّ تحديد ضابط ومعيّار علمي دقيق لتميّز (الكلمة أو الكلام) الفصيح عن غيره ولا لتميّز الفصيح عن الأكثر فصاحة.. لا يمكن قبول مقولة الإعجاز اللّغوي للقرآن، لأنّ القرآن كتاب إلهي منزل وموحى من عوالم علويّة، أمّا اللّغة فهي نتاج تطوّري أرضي سواء على مستوى توقّف القلب اللّغوي البيولوجي في وجود الإنسان أو على مستوى المفردات"¹.

ويواصل أنصار هذا الرّأي قائلين إنّه: "بخصوص اللّغة العربيّة ما يدعى من مزاعم تفضيلها على سائر اللّغات وبالتالي قدرتها على حمل الإعجاز القرآني دون سواها، مجرد تباهي مجرد تباهي وكلام غير علمي تماما، بل الثّابت علميّا.. أن لا مبرر ولا غرض علميّ حقيقي يدعو للتفاضل بين اللّغات مطلقا.. وأمّا الآيات القرآنيّة التي ذكرت أنّ القرآن بـ "لسان عربيّ" فهي ليست بصدد تفضيل اللّغة

¹ إعجاز القرآن بحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم عند علماء المسلمين وبيان القول الفصل فيه، علاء السّالم، معهد الدّراسات العليا الدّينيّة واللّغويّة، كتب بالعراق، في 07 / 04 / 2021م، ص 148.

العربية على غيرها بقدر ما كانت لبيان أنّ القرآن نزل بلغة العرب (المواجهين الأوائل له) رجاء أن يعقلوه¹.

فحسبهم: "القرآن متقوم بحقيقته ومعانيه العلوية ذات الأصل الإلهي، ولا يتقوم بلفظه العربي ليكون وجه إعجازه فيه.. وبالتالي فجعل الفرق بين القرآن وغيره من سائر الكتب الإلهية... لغويًا فقط هو في الحقيقة إعدام للفرق بين القرآن وبينها جميعاً"².

وانفرد الدارسون الذين رفضوا الوجه البلاغي لإعجاز القرآن بالقول إنّ وجه الإعجاز الوحيد فيه هو الإعجاز النفسي والروحي، يقولون: "الوجه الصحيح لإعجاز القرآن الكريم يكمن في تأثيره النفسي والروحي، فأيّ قارئ أو مستمع له بتدبر وتوجه يحصل له مثل هذا التأثير والاطمئنان الذي له صلة بهداية الإنسان ومعرفة الحقيقة، وهو الوجه الوحيد الذي يشهد له القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وينسجم مع علمية الكتاب الإلهي وعدم اختصاصه بفترة أو ثلّة من الناس"³.

إلا أنّ الخطابي كان ذا رأي وسط فلا هو قصر إعجاز القرآن على بلاغته، ولا بالغ في تعظيم اللغة العربية، إنّما أراح الغموض الذي كان يعتري هذا الوجه إزاحة علمية بحتة، وقال إنّ منطلق هذا الإعجاز هو اللفظ والمعنى، وهو يرتبط بالإعجاز الروحي أو إعجاز الإعجاز، وجلي أنّ القول

¹ نفسه، ص 148 / 149.

² نفسه، ص 149.

³ إعجاز القرآن بحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم، علاء السالم، ص 150.

بالإعجاز البلاغي واللغوي دون تعليل علمي هو الذي حمل الخطابي على تأليف البيان والتدقيق في أمره، وبما أنّ وقتنا يبعد عن وقت فصحاء العربيّة وأرباب البيان ظهرت الآن الآراء القائلة بالإعجاز الرّوحي دون غيره، إلّا أنّ ذلك لا يتطلّب إلغاء الوجوه الأخرى للإعجاز إلغاء تامّاً، ولنا في الخطابي أسوة، حيث تطرّق لمعظم وجوه الإعجاز دون إقصاء.

وكذلك رأي المفكر الجزائري مالك بن نبي¹ (ت1973م) كان وسطاً، حيث لم يتعصّب للقول بالإعجاز البلاغي، يقول: "والحقّ أنّه لا يوجد مسلم، وخاصّة في البلاد غير العربيّة، يمكنه أن يوازن موضوعياً بين آية قرآنيّة وفقرة موزونة أو مقفّاة من أدب العصر الجاهليّ، فمنذ وقت طويل لم نعد نملك في أذواقنا عبقرية اللّغة العربيّة ليمكننا أن نستنبط من موازنة أدبيّة نتيجة عادلة حكيمة، ومنذ وقت طويل أيضاً تكتفي عقائدنا في هذا الباب بالتقليد الذي لا يتفق وعقول المتعلّقين بالموضوعيّة"².

فلا بدّ من تناول الآيات القرآنيّة من جانبها المناسب لأنّ صفة الإعجاز صفة قائمة ودائمة في القرآن الكريم أبداً، "وإنّما أصبح المسلم مضطراً إلى أن يتناوله في صورة أخرى وبوسائل أخرى، فهو يتناول الآية من جهة تركيبها التّفسي الموضوعي، أكثر ممّا يتناولها من ناحية العبارة، فيطبّق في دراسة مضمونها طرقاً للتّحليل الباطن"³.

¹ قال المفكر الجزائري مالك بن نبي بالتفسير التّفسي للقرآن الكريم، وهذا ما سيتمّ التّطرّق إليه في الفصل الخامس من هذه الرسالة.

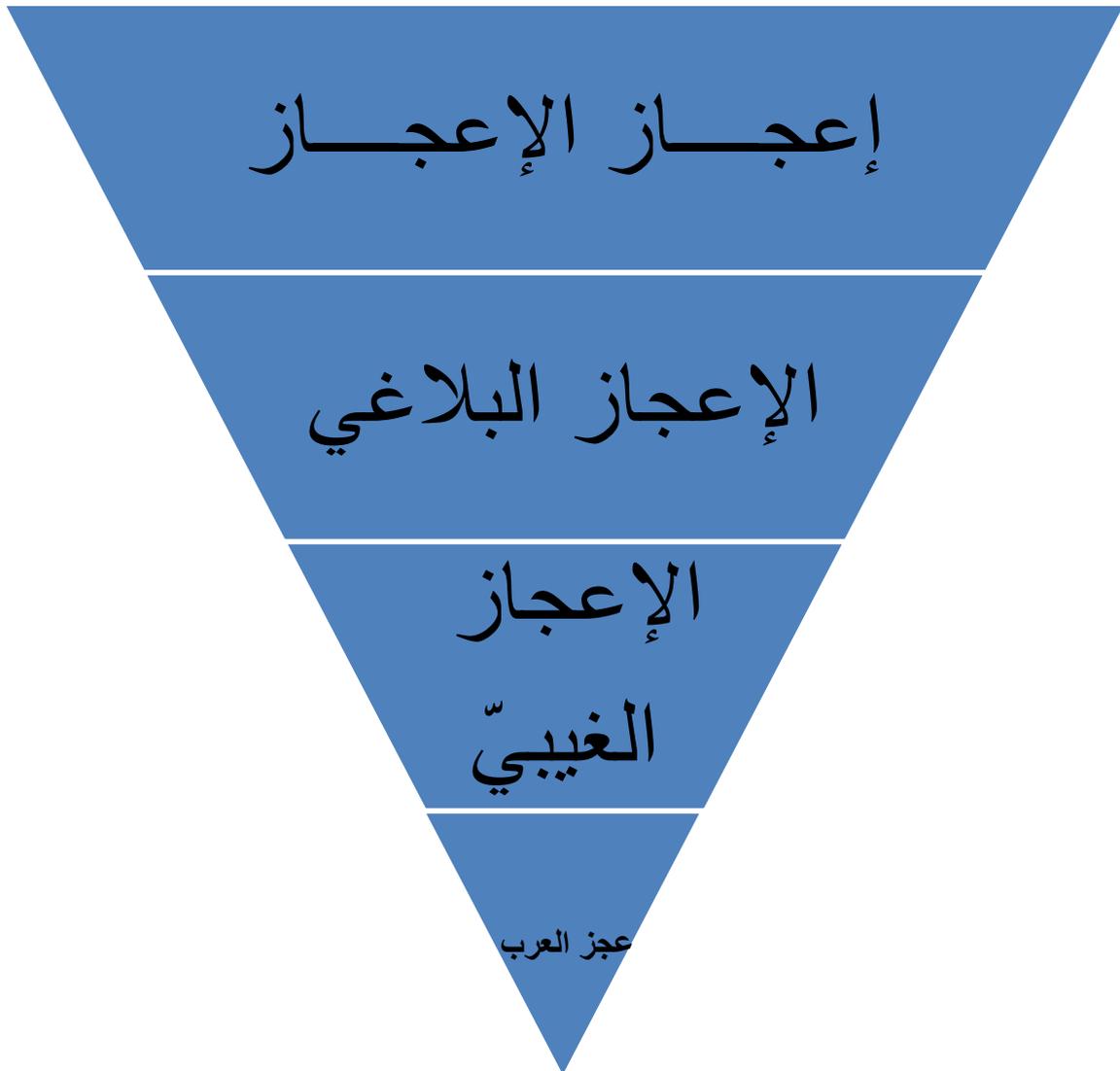
² الظاهرة القرآنيّة، مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط4، ص2000م، ص58/57

³ نفسه، ص67.

وتحدّي القرآن الكريم الصّريح في آياته دليل على أنّ الإعجاز موجود في كلّ الأزمنة والعصور، وإنّما جاءت آيات التّحدّي "إعلانا هنا وإشهارا لوجودها في سائر القرآن، كي تؤتي تأثيرها في العقول المتربّصة، وتنتج أثرها في القلوب التي لازالت في أكتّتها"¹.

الشكل رقم 4-1 أوجه الإعجاز في بيان إعجاز القرآن

¹ نفسه، ص 60.



المصدر: إعداد الطالبة



الفصل الخامس

آفاق وجوه الإعجاز

الخطّابيّة

توطئة:

إنّ تصوّرنا لوجوه الإعجاز عند الخطّابي في الفصل السابق (الشكل: 4-1) يحمل دلالات، فهو هرم معكوس قاعدته إلى أعلى، ذكّرت فيه وجوه الإعجاز عند الخطّابي وفق التّرتيب التّالي: فعجز العرب آنذاك حيث لم يتمكنوا من مجارة القرآن الكريم، وكان ذاك واقع حالهم بعجزهم الآني، يليه الإعجاز الغيبي بالإخبار عن قصص الأقسام السّابقة، والأخبار المستقبلية، وهذا الوجه ليس مطردا في القرآن الكريم _ كما أنف الذّكر _، وبعده الإعجاز البلاغي وهو وجه مهمّ من وجوه الإعجاز القرآني الذي أبرز الخطّابي علّته، ليحيء إعجاز الإعجاز بعده رحبا ممتدا، ومهما مدّدت طرفي الهرم المعكوس سيّسع نحو الأعلى ويبقى رحبا مقابلا عنان السّماء ورحابتها، يستوعب أي شكل جديد موافق للعصر الذي جدّ فيه، بما يتناسب وصِفة الخلود في كلام الله تعالى.

وذكر الإمام الخطّابي لوجوه الإعجاز القرآني هذه، تخلّلتها ذكر إشارات لوجوه إعجازيّة أخرى ظهرت بعد عصره، من خلال تلاقح وجهي الإعجاز البلاغي وإعجاز الإعجاز، فألفاظ القرآن الكريم ومعانيه ونظمه (رسالة من الله تعالى لعباده) هي التي تبلّغنا إعجاز إعجازه.

ولعلّ ذكر الخطّابي لتلك الإشارات يتناسب مع أوجه الإعجاز في الدّراسات التي اهتمّت بإعجاز القرآن الكريم والتي تلت مرحلته، فظهرت موضوعات جديدة لإعجاز القرآن، كالإعجاز العلمي، والإعجاز التّشريعي، والإعجاز النّفسي، والإعجاز الحضاري... ممّا سيتمّ التّطرّق إليه في المباحث التّالية.

المبحث الأول: الإعجاز التشريعي

كرم الله بني آدم على سائر المخلوقات، وإثما كرم الإنسان بكونه كائنا عاقلا، وناطقا، واجتماعيا، ولكي يعيش الفرد في مجتمع لا بد له من ضوابط، وتشريعات، وقوانين تنظم حياته، وتهدّب سلوكياته وإلا يطغى قانون الغاب فلا تستقيم حياته، ولن يحقّق تحضرا البتة.

لهذا تسعى الأمم إلى فرض قوانين ضابطة، ليكون المجتمع سليما انطلاقا من الفرد السويّ السليم. ويعدّ القرآن الكريم دستورا جاء بأرقى الضوابط على مستوى الفرد والمجتمع، في حين تسعى المنظّمات الدوليّة إلى التشريع والبحث في حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، واحترام الغير، والقيم الإنسانيّة وتقبل الآخر..

— ما هو الإعجاز التشريعي؟

اعتنى الباحثون بالجانب التشريعي من القرآن الكريم وسمّوه الإعجاز التشريعي، ويعرّف الإعجاز التشريعي بأنّه: "إثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثل تشريعات القرآن الكريم أو بمثل بعضها، وقد أثبت الواقع — منذ نزول القرآن الكريم وإلى يومنا هذا — أنّ الخلق عجزوا عن الإتيان بمثل تشريعات القرآن الكريم — أو بمثل بعضها — في إصلاح حياة البشر، وفي مراعاتها لكلّ طوائفهم، وصلاحتها لكلّ أزمئتهم وعصورهم، وسيبقى هذا العجز والقصور مستمرا إلى قيام الساعة"¹.

¹ نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله احمد الزبوت، المحلّة الأردنيّة في الدّراسات الإسلاميّة، المجلّد الثامن، العدد 3، س2012م، ص12.

— بدور الإعجاز التشريعي في بيان إعجاز القرآن:

وقد أشار الإمام الخطابي في بيان إعجاز القرآن في سياق حديثه عن الإعجاز البلاغي إلى هذا النوع من الإعجاز، يقول: " واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيد له عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعا كل شيء منها موضعها الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه"¹.

وفي هذه العبارات الموجزة يلمح الخطابي رحمه الله إلى الإعجاز التشريعي ويشير إليه، فأصح المعاني التي ذكرها هي الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم، والتي تنظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بغيره².

والناس مهما تفتق عقولهم عن شرائع قد وصلوا إليها بتجارب قضائية، وتجارب علمية، وبالاستعانة بشمرات العقول، وما أنتجت الفلسفة والعلم فلن يصلوا إلى ما جاء على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وسلم، لأن عمل الإنسان مهما تكن قدرته ناقصاً، والكمال لله وحده³.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27-28.

² ينظر: نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله أحمد الزبوت، ص 13.

³ ينظر: شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، محمد أبو زهرة، مجلة المسلمون، السنة الأولى، العدد 2، سنة 1959، ص

فالخطابي أرهص للإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، لأن كلام الله هدى ونور ليخرج من الظلمات إلى النور، بتوحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته، واتباع منهاج عبادته، والتخلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن السلوكيات السيئة، كل هذا بأفصح الألفاظ وأصح المعاني وفي أحسن النظم.

_ اللفظ والمعنى والإعجاز التشريعي:

سبق القول بأنه منذ أزمنة بعيدة والإنسان يعمل على ضبط تصرفاته وفق ما يضمن له العيش في هدوء وسلام، فسّن القوانين، وشرع الضوابط، وما زال يسعى جاهدا لتحسينها يوما بعد يوم، ولعلّ كلّ فرد اطلع على النصوص القانونيّة المتنوّعة، يلاحظ بأنّ لها مصطلحات وألفاظ خاصّة، ذات غرض براغماتي بدرجة كبيرة، غرضها تبليغ المحتوى بأبسط صورة، إلّا أنّ القارئ لكلام الله وما ضمّه من تشريعات ربّانيّة يقف مندهشا عند ألفاظها وكذا معانيها، كيف لا وقد جاء بشرائع الهدى لإصلاح الخلق، وإقامتهم على طريق الحق والنجاة، فلم تسمّ شريعة من الشرائع لتبلغ ما في شريعة القرآن من: إحكام، ويسر، ودقة، ذلك أنّها شريعة الله التي تنطلق في تكاليفها من رحمته سبحانه وتعالى بعباده، ومراعاة مصالحهم وقدراتهم البشرية، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾¹، وقال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ

¹ سورة البقرة، الآية: 286.

الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥٠﴾¹، وقال عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُسْتَمِ الْأَيْسَاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾²، حيث أُلزم القرآن الكريم بالواجبات إلزاماً ثم جعل للضرورات أحكامها، قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٠﴾³، وقال جلَّ في علاه: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

¹ سورة البقرة، الآية: 185.

² سورة المائدة، الآية: 6.

³ سورة المائدة، الآية: 3.

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَیْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَیْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾¹، كما جعل للرخص مجالاتها²، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٦﴾³.

فقد تميّز التشريع القرآني وهديه بسوقه ما يسوق من تكاليف الدّين موصولة بمصدرها، وبكونها مما أمر الله به سبحانه، فهي بذلك ليست في إتيانها كاملاً يمكن الوقوف دونه، أو ترفاً يمكن التنازل والاستغناء عنه، وإنما هي من صميم إيمان المؤمن، ويمتاز بسوقه هذه التكاليف في إيجاز لفظي سهل استيعابه، ويمكن معرفة ذلك من قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

¹ سورة الأنعام، الآية: 145.

² ينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد بن السيد راضي جبريل، كلية أصول الدين، جامعة

الأزهر القاهرة، ص 298.

³ سورة النحل، الآية: 106.

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾¹، وكذلك من قول الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٤١﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٤٥﴾ وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٦١﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٧٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٨١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٨٣﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَن تُحْيِيَهُمْ نَزَرْتُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطَاً كَبِيرًا ﴿١٧٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١٩٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٢٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٢٣٥﴾²، وكما جاء ذلك في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلٰمًا ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

¹ سورة الأنعام، الآية: 151-153.

² سورة الاسراء، الآية: 23-35.

وَقَيْنَمَا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَعَفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَحْجُرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٧٧﴾﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٩﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ يَبْنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

¹ سورة الفرقان، الآية: 63-76.

خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۗ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾¹،

واتسم تشريع الله بتلطفه إلى النفوس البشرية عند تكليفها بما يريد، ليقودها قودا جميلا إلى الامتثال،

وييسر عليها المشقة بما يرتبه على صالح العمل من عظيم الأجر، ففي تشريعه الزكاة _ والأنفس

شحيحة بالمال _ جعلها طهرة للمال، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾²، وفي تشريعه الحج وهو عبادة

مبنية على المشقة غالبا قرنه بمنافع مشهودة للحجيج فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾³، وشرع

الصلاة جاعلا إياها طهارة من الآثام والفواحش قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁴،

وجعل أصول الإيمان والعبادات مجتمعة في "البر" وربب عليها التقوى فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

¹ سورة لقمان، الآية: 13-19.

² سورة التوبة، الآية: 103.

³ سورة الحج، الآيات: 27-28.

⁴ سورة العنكبوت، الآية: 45.

وَالنَّبِيِّنَ وَعَاتَى الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾¹، وهو يخاطب في النفس البشرية رغبتها في النعيم، ورهبتها من الجحيم، بأبلغ الألفاظ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٨﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾²، ويضمن ثواب كل من عمل صالحاً من كلا الجنسين دون تمييز³، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾⁴، فتشريعات القرآن متعددة الجوانب، منها ما يتعلق بالعبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والحج، ومنها ما يتعلق بالمعاملات كالبيع والإجارة وهي ما تعرف بالقانون المدني، ومنها أحكام الأسرة، ومنها التشريعات التي تتصل بالعقوبات وهي ما تعرف بالقانون الجنائي، ومنها ما يعرف بالسير وهي التي تسمى في لغة القانون: العلاقات الدولية، إلى غير ذلك من تشريعات، ولقد كان في القرآن السبق إلى تلك التشريعات، والمتأمل في أي جانب من هذه الجوانب وهو يقارن ويوازن بينها وبين شبيهاها من القوانين، سيدرك دون صعوبة أحقية التشريعات القرآنية وجدارتها بتبوء المكانة العليا، وصدق الله في

¹ سورة البقرة، الآية: 177.

² سورة المؤمنون، الآية: 101-103.

³ ينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد بن السيد راضي جبريل، ص 300، 301، 302.

⁴ سورة النحل، الآية: 97.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾¹، أي أنّ كل ما

في القرآن من حقائق وتشريعات وأخبار: حق لا يتطرق إليه باطل، وهو في أعلى رتب الحق لا

يجارى في قضاياه ولا يدانيه كتاب آخر في أحكامه²، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ

لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾³.

– مميّزات الإعجاز التشريعي:

يتميّز الإعجاز التشريعي للقرآن الكريم بمزايا فريدة عن غيره من التشريعات، كصفة الرّبانيّة:

فالتّشريع القرآني نزل من عند الله تعالى الحكيم الخبير، وليس من وضع البشر الذي يحكمه القصور

والعجز، والتأثر بمؤثرات المكان، والزّمان، والثّقافة، ومؤثّرات المزاج والهوى فهو دائم التّغيّر

والاضطراب، وإنّما هو من صاحب الخلق والأمر في هذا الكون، وربّ كل من فيه وما فيه، فمجرد

إدراك اتّسام التّشريع القرآني بأنّه ربّاني يجعل في النّاس إقبالا على تنفيذه، لأنّك إذا لم تحش عقاب

الحاكم خشيت عقاب الخالق، وهذا المعنى التّعبدية يربّي الضّمير الرّوحي والوازع الدّيني، وفيهما

¹ سورة الاسراء، الآية: 105.

² ينظر: إعجاز القرآن، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، س 1997، ص 37.

³ سورة فصلت، الآية: 42.

أعظم كفيل لتطبيق الأوامر، واجتناب التواهي، وليس للقوانين الوضعيّة شيء من ذلك رغم مضاعفة العقوبة في بعض الجرائم.¹

والشمول، فالتشريع القرآني شامل لكل جوانب حياة الإنسان، العقدية، والتعبدية، والاقتصادية، والسياسية، والسلوكية.. كما أنّ شموله زمنيّ كذلك، فهو واجب الاتباع من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وشمول مكانيّ فهو تشريع لجميع من في الأرض رغم اختلاف أماكنهم، وشمول بشريّ لأنّه واجب الاتباع على البشر رغم اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، وطبقاتهم، وألوانهم، وهذا الشمول العظيم لا يوجد في أيّ تشريع مهما بلغت مهارة واضعيه، فهم مضطرون لتغييره من وقت لآخر، ومن مكان لآخر، ومن جنس لآخر، وقد استطاع علماء القانون الوضعي تحيّل هذا الشمول، لكنهم لم يستطيعوا أن يوجدوه.² كما يتّسم بالعدل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾³، وعدل التشريع القرآنيّ شمل كل المجالات من عدل في الأمور العائلية، والمالية، والمعاملات القلبية، والعدل مع الأعداء والأغيار، والعدل في العقوبات، والعدل في القضاء، والعدل في الأمور السياسية.. فتطبيق أحكام الله وحدوده (كالتقصاص، حدّ السرقة، حدّ الزنا، حدّ شرب الخمر..) لا محاباة فيه قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ

¹ ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، سيف بن منصور بن علي الحارثي، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة نجران، ص 86.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

³ سورة التحل، الآية: 90.

وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا

الهُوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾¹، ففي التشريع القرآني

عدل لا يضاھيه عدل إنساني مهما بلغ، ولا تستثني شخصا مهما كانت مكانته.

ومن أبرز مميزات التشريع القرآني اليسر ورفع الحرج قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا

وَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾²، وقال عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا

فِي اللَّهِ حَتَّىٰ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا أَبْيَكُمُ ابْرَاهِيمَ

هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ

النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾³، كما يتميز بالخلود والدوام لأنَّ التشريعات الموضوعية من قبل البشر دائمة التغير

والاضطراب تماشيا وقصور العقل البشري، ف" الوجه المشرق في الخلود هو خلود لفظه، وخلود

معناه، وخلود مقاصده، فلم يستطع أحد من أعدائه أن يتعقبه في شيء ويكون محققا في ذلك، إنَّه

شرع مستحق للبقاء لأنَّه يحمل مقومات عدل بعيد عن الظلم، وعلم بعيد عن الجهل، ووسطية

¹ سورة النساء، الآية: 135.

² سورة البقرة، الآية: 286.

³ سورة الحج، الآية: 78.

بعيدة عن الغلو والتقصير، حرّر الإنسان من عبودية الإنسان، وجعله متناسقا مع الكون، فالتشريع القرآني متجدد مع ثبات في الأصول، فمثله كمثل شجرة ثابتة الأصول متجددة الثمار، والتحدّي مازال مفتوحا أمام أهل العصر الذي وجدوا من الوسائل ما لم يجده أسلافهم، فليرونا هم أيضا مواطن نقص أو خلل في تشريعات القرآن، لكن من المؤكّد أنّ العجز الذي وقع فيه من قبلهم هو حليفهم¹، وتكفل التشريع القرآني بحفظ مصالح البشر ورعايتها، ولعلّ مقاصد الشريعة خير دليل على ذلك كالمصالح الضرورية بحفظ الدين، والنفس، والنسل (العرض)، والعقل والمال، وشرع كلّ ما فيه صلاح للفرد والمجتمع، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾﴾²، فكلّ طيب فيه مصلحة الإنسان أحلّه الله سبحانه وتعالى، وأباحه في شرعه، وكلّ ما من شأنه أن يؤدي الإنسان وفيه خبث وضرر إلّا وحرّمه جلّ في علاه، وتميّز التشريع في القرآن الكريم بالتوازن بين ما هو مادّي وما هو روحي، فجمع بين ما هو إيماني وما هو مادّي، وجعلهما متكاملين، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾³، وشرع الله يتميّز بالكمال

¹ الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، سيف بن منصور بن علي الحارثي، ص 90.

² سورة الأعراف، الآية: 157.

³ سورة القصص، الآية: 77.

فلا تناقض فيه بين حكم وحكم آخر إطلاقاً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾¹، كما يتميز بالتوسط والاعتدال، والقوانين التي كانت من صنع البشر فيها خلل كبير في هذا الجانب، فعلى سبيل المثال جاء الشرع في الملكية الفردية وسطاً بين الرأسمالية التي أباحت الملكية بكل أشكالها من ربا واحتكار وكذب، وبين الاشتراكية التي حرمت الملكية الفردية وتجعل المال بيد الدولة فقط، أما الإسلام فهو وسط يبيح الملكية الفردية لكن بضوابط تضمن الحفاظ على المصالح العامة للناس²، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾³،

ولكي يكون التشريع والقانون ناجعا وفعالا لابد من:

" أن يؤدي الغرض الذي وضع من أجله على أتم وجه.

— أن يتم له ذلك في أقل زمن أو في زمن قياسي بالنسبة إلى أي نظرية أو قانون آخر.

— أن يكون ذلك الغرض قد تحقق بأقل ما يمكن من التكاليف.

¹ سورة النساء، الآية: 82.

² الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، سيف بن منصور بن علي الحارثي، ص 94/93.

³ سورة البقرة، الآية: 143.

— ألا تكون سلبياته أكثر من إيجابياته، أو أن يكون قد حقق الغرض الذي وضع من أجله مع كون المفسد أقل بكثير من المصالح المتحققة"¹.

ولا تتحقق هذه الشروط إلا في التشريعات القرآنية، وبذلك كان تشريع القرآن العظيم معجزا لا يضاهيه تشريع، حتى إن من العلماء من سماها "قوانين القرآن" وفصل فيها القول بطريقة تبهر المتلقي، وتشده إليها انشدادا².

— الإعجاز التشريعي في الدراسات الحديثة:

تفتت أكمة بذور الإعجاز التشريعي بعدما نثرها الإمام الخطابي في رسالة بيان إعجاز القرآن، واهتم الباحثون بعده بهذا النوع من أنواع الإعجاز، فانتسعت رقعة البحث فيه حديثا وانداحت، ونحن في حاجة ماسة إلى قوانين ترجع للعالم اتزانه الطبيعي، بعدما شاع فيه الظلم والجور، فازداد الاهتمام بالشق التشريعي من الإعجاز، وممن عنوا به من المحدثين نذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ) الذي قال في تفسير الآية القرآنية التالية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾³، " وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعد لها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها

¹ الإعجاز التشريعي في قرآن الكريم، سيف بن منصور بن علي الحارثي، ص 100 / 99.

² هناك سلاسل علمية للدكتور محمد راتب التابلسي سميت: "قوانين القرآن الكريم"، جمع فيها قوانين قرآنية كقانون التصبر، وقانون الدعاء، وقانون التيسير والتعسير، وقانون الالتفاف والانفضاض، وقانون العزة، وقانون الرزق، وقانون الحب، وقانون التوبة، وقانون التغيير، وقانون التمايز، وقانون الأمن، وقانون الاستخلاف...

³ سورة الإسراء، الآية: 9.

على وجه الكمال لأننا على جميع القرآن العظيم، لشمولها جميع ما فيه من الهدى إلى خيرى الدنيا والآخرة¹، وقال الشيخ محمد رشيد رضا (ت1354هـ) في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾²، "والوجه الخامس: اشتماله على العلوم الإلهية وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان، وبذلك يفضل عن كل ما سبقه من الكتب السماوية، ومن الشرائع الوضعية، ومن الآداب الفلسفية، كما يشهد بذلك أهل العلم المنصفون من جميع الأمم الشرقية والغربية، من آمن منهم بكونه من عند الله تعالى أنزله على رسوله الأمي، ومن لم يؤمن بذلك، ولا شك أن هذا الوجه أظهر وجوه الإعجاز، فإن علوم العقائد الإلهية والغيبية والآداب والتشريع الديني والمدني والسياسي هي أعلى العلوم، وكلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال إلا الأفراد القليلون، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتي ما في القرآن منها تحقيقا وكمالا، ويؤيده بالحجج والبراهين بعد أن قضى ثلثي عمره لا يعرف شيئا منها، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من أصولها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون ذلك وحيا من الله تعالى"³.

¹ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مجمع الفق الإسلامي بمجدة، ج3، ص409.

² سورة البقرة، الآية: 23.

³ تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، س1990، ج1، ص171/172.

وألف محمد عبد الله دراز - رحمه الله - كتاباً سماه "النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن"¹، بدأه منذ عام (1352 هـ / 1933م)، وذكر فيه أن نواحي الإعجاز ثلاثة: الإعجاز اللغوي، الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي الإصلاحي التهذيبي، لكنه توفي رحمه الله قبل أن يتم النظرات الجديدة في القرآن، كما اعتنى الشيخ محمد أبو زهرة (ت 1974م) في كتابه المعجزة الكبرى بالإعجاز التشريعي، حيث عده أقوى الوجوه التي تدل على إعجاز القرآن الكريم لكل الناس، رغم اختلاف ألسنتهم وأجناسهم²، فكتب بحثاً تحوي نماذج من التشريعات القرآنية كالرق، والعتق، والطلاق، وتعدد الزوجات، والميراث، وحقوق المرأة، والحريات العامة والخاصة³، وعليه فالشيخ محمد أبو زهرة من الأوائل - إن لم يكن أول - من أشار إلى أن التعرف على الإعجاز التشريعي يكون بالمقارنة بين التشريعات القرآنية وبين غيرها من تشريعات البشر (كقانون الرومان الذي كان يعدّ خير منظم قانوني عرف في العصر القديم، فأشار إلى فضل شريعة القرآن الكريم وعلو منزلتها عليه)، كما يمكن القول إنه أول من أفرد الإعجاز التشريعي ببحوث مستقلة⁴.

وقال سيد قطب (ت 1387هـ): "الذين يدرسون النظم الاجتماعية والأصول التشريعية، ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن يدركون أن النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار في يسر ومرونة، كل

¹ نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله الزبوت، ص 15.

² ينظر: المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ص 92.

³ ينظر: شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، محمد أبو زهرة، مجلة المسلمون، السنة الأولى، الأعداد 1/2/3/5/6/7، سنة 1951.

⁴ ينظر: نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله أحمد الزبوت، ص 18/17.

أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد أو في جميع الأجيال"¹.

فقد أبرز سيد قطب أن التشريع القرآني معجز لا تصافه بالكمال، بخلاف التشريعات البشرية التي يسنها الإنسان فيخالطها القصور والنقص والتناقض.

كما عنيت دراسات معاصرة بعلاقة الشريعة الإسلامية والعدالة الجنائية، فالإسلام دين يتبنى قوانين أخلاقية محددة، حيث أقرت الشريعة فئتين من الجرائم، إحداها الجرائم المحددة والأخرى الجرائم التقديرية²، واهتمت بالنظام الأخلاقي والاجتهاد أو التفكير القانوني المستقل وصولاً إلى الإبداع³. فجدور الإعجاز التشريعي الأولى ترجع إلى القرن الرابع هجري وذلك عند الإمام الخطابي⁴، وقد تطورت دراسته في الوقت الحاضر فأفرد بمؤلفات مستقلة، كما خصصت له فصول في كتب الإعجاز⁵، إلا أنه بأمس الحاجة إلى قواعد محددة وضوابط دقيقة ليتجنب الإفراط فيه والتفريط⁶.

¹ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق مصر، ط 22، س 1992، ج 3، ص 1785.

² Richard J. Terrill, Chapter VII - Islamic Law, Editor(s): Richard J. Terrill, World Criminal Justice Systems (Seventh Edition), Anderson Publishing, Ltd., 2009, Pages 596-721.

³ Samih Mahmoud Al-karasneh, Ali Mohammad Jubran Saleh, Islamic perspective of creativity: A model for teachers of social studies as leaders, Procedia - Social and Behavioral Sciences, Volume 2, Issue 2, 2010, Pages 412-426.

⁴ ينظر: نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله أحمد الزيوت، ص 20.

⁵ ألف الدكتور علي محمد بابكر كتاباً سماه " الإعجاز التشريعي في القرآن"، وخصص كل من الدكتور صلاح الخالدي في كتابه "البيان في إعجاز القرآن"، والدكتور فضل عباس في كتابه "إعجاز القرآن" والدكتور مصطفى مسلم في كتابه "مباحث في إعجاز القرآن" فصولاً للإعجاز التشريعي.

⁶ ينظر: نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله أحمد الزيوت، ص 21.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي

إنّ العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر التّقدّم والتّطوّر العلمي بلا ريب، فقد توصل الإنسان إلى اختراعات واكتشافات غير معهودة سابقاً، ودعوة القرآن الكريم إلى طلب العلم صريحة منذ نزوله، قال الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾¹، بل هناك من فسّر لفظة: "سلطان" في الآية القرآنية بأنّه سلطان "العلم" الذي يمكّن من التّفوذ من أقطار السّماوات والأرض، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝٣٣﴾².

وإذا كان الكون كتاب الله المنظور، فإنّ القرآن الكريم هو كتاب الله المسطور، وواضحة العلاقة في كلام الله عند الرّبط بين الإيمان والدّعوة إلى التدبّر في مخلوقات الله، وكونه، وسمائه وأرضه، في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝١١﴾³، وقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ

¹ سورة العلق، الآيات: 5/1.

² سورة الرحمن، الآية: 33.

³ سورة الدّاريات، الآية: 21.

بِمُصَىٰ طِرٍ ٢٢ ﴿١﴾. ودعا الله تبارك وتعالى عباده لرؤية آياته المنظورة في كونه الفسيح، ليتبينوا أنّ القرآن

بآياته المسطورة هو الحقّ فقال عزّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾².

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ

اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾³.

- ما هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

كثرت تعريفات الإعجاز العلمي، واختلفت آراء العلماء حوله، بين مؤيد ومعارض، ومن هذه

التعريفات أنّ: " الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السنّة النبويّة بحقيقة أثبتتها العلم

التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشريّة في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ممّا

يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربّه سبحانه وتعالى"⁴.

¹ سورة الغاشية، الآيات: 22/17.

² سورة فصلت، الآية 53.

³ سورة العنكبوت، الآيتان: 19، 20.

⁴ الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربيّة السعوديّة، س1433هـ، ص168.

وعرّف بأنّه: "سبق القرآن إلى الإخبار بأمور كانت غير معلومة للجيل الذي أنزل عليهم القرآن، وظهرت معرفتها في هذا العصر المتأخّر"¹.

كما أنّ تعبير الإعجاز العلمي للقرآن الكريم " يقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكّن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلاّ بعد قرون متطاولة من تنزّل القرآن الكريم"².

فموطن الإعجاز ههنا هو أن يذكر القرآن حقائق علميّة دقيقة، كان الإنسان يجهلها فكشف عنها العلم في العصر الحديث بعدما تطوّرت أجهزته، وتقدّمت وسائله وأساليبه³.

وهناك فرق بين التّفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فأما التّفسير العلمي فهو: توظيف كلّ المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنيّة، وقد تكون هذه المعارف حقائق وقوانين كما قد تكون فروضا ونظريّات⁴. فكأنّنا بالتّفسير العلمي: "محاولة بشريّة لحسن فهم دلالة الآية القرآنيّة، إن أصاب فيها المفسّر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد"⁵.

¹ تصحيح طريقة معالجة السلف في بحوث الإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان الطيّار، مجلّة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنيّة، ص8.

² الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويميّة للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، ص168.

³ ينظر: الإعجاز التّأثيري للقرآن الكريم، عبد الكريم علي عبده الفهدي، الجمهوريّة اليمنيّة، ص12.

⁴ ينظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، زغلول النّجار، مكتبة الشّرق الدّوليّة، س2002، ج1، ص35.

⁵ السّماء في القرآن، زغلول النّجار، دار المعرفة بيروت، ط3، س2005، ص72.

وأما الإعجاز العلمي فلا يعتمد على التّطريّات العلميّة ذات الدّلالات الظنّيّة أو التّسبيّة، وإمّا يستند إلى الحقائق العلميّة قطعيّة الدّلالة، بغرض كشف أنّ القرآن الكريم الذي نزل على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم النّبّيّ الأميّ في بيئة بعيدة عن التّقدّم العلميّ، إمّا كان وحيا من الله تبارك وتعالى، وعليه فلا يمكن استخدام غير الحقائق العلميّة المستقرّة والمطلقة الثّابتة قطعاً في الإعجاز العلميّ، بخلاف التّفسير العلميّ الذي يمكن استخدام النّظريّات التي غلب الظنّ أنّها صحيحة، وما الإعجاز العلميّ إلاّ ثمرة للتّفسير العلميّ وغايته¹.

وقد تعدّدت آراء العلماء في القول بالإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، بين معارض له رافض، وبين مؤيّد، وبين من هو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فتوسّط بين القبول والرّفص.

ومن المعارضين أبو إسحاق الشّاطبيّ، ومحمّد حسين الدّهبيّ، وممن أقرّوا بوجود دلالات علميّة في القرآن إلاّ أنّهم رفضوا تسميتها إعجازاً علميّاً، محمود شاكر، وأمين الخوليّ، ومحمّد عزة دروزة، وحجّة من رفض هذا الرّأي أنّ القرآن الكريم ليس كتاباً لنظريّات العلوم ودقائق الفنون، وقد حمل أصحاب هذا التّوجّه التكلّف المذموم، فتعريض القرآن الكريم للدّوران مع مسائل العلوم يحمله تبعات الخطأ في المسائل العلميّة²، ومن العلماء الذين أيّدوا الإعجاز العلميّ بالاعتماد على الحقائق العلميّة، دونما

¹ ينظر: التّفسير والإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الأمين دمشق، س2010، ج1، ص98.

² ينظر: التّفسير العلميّ للقرآن الكريم بين الرّفص والقبول، عادل بن عليّ بن أحمد الشديّ، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص6.

اندفاع وتسرع لإثبات القرآن بالعلم: الشيخ الشعراوي، وسيّد قطب، يقول الشيخ الشعراوي: "يجب أن نتروّى، وأن ندرس بإمعان، وننتظر حتّى تثبت الحقيقة العلميّة ثبوت اليقين"¹.

فالتدبّر بإمعان هو المطلوب الرّئيس، لأنّ الإفراط في التّفسير العلمي والقول بالإعجاز العلمي مرفوض، فهو نوع من تحريف معاني الآيات والتلاعب بمعانيها ودلالاتها، ولا بدّ من الاعتدال والتّوسّط، عن طريق الالتزام بضوابط علميّة منهجيّة للتّفسير العلمي أو القول بالإعجاز العلمي، لأنّ مجال القرآن الكريم هو النّفس الإنسانيّة والحياة الإنسانيّة، ووظيفته أن ينشئ للإنسان تصوّراً عامّاً للوجود الإنساني وارتباطه بالله سبحانه وتعالى، ومادّته الأساسيّة هي الإنسان ذاته، وترك الإبداع العلميّ المادّي لعقل الإنسان وتجاربه، وكشوفه، وفروضه، ونظريّاته، فيقع المتحمّسون في سداجة عندما يحاولون أن يضيفوا له ما ليس منه، وكأنّهم يريدون أن يعظّموه في ذلك ويكبّروه، وعدم الالتزام بالضوابط المنهجية ينعكس سلبيّاً على البعض فيخيّل إليهم أنّ العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ويسبّب التّأويل المستمرّ مع التّمخّل والتّكلّف لنصوص القرآن، ويسوء فهمهم لطبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنّه حقيقة مطلقة تهدف إلى بناء الإنسان بناءً يتفق مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي².

¹ معجزة القرآن، محمّد متوّي الشعراوي، مكتبة دار التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، س1988م، ج1، ص90.

² ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص293، 294، 295.

- بذور الإعجاز العلمي في بيان إعجاز القرآن:

أورد الخطابي في سياق حديثه عن الإعجاز البلاغي أقوالاً لمسلمة وآخرين ممن زعموا أنّ بإمكانهم الإتيان بمثل القرآن الكريم، فلم يأتوا إلاّ بكلام غثّ حقير، بيّن الإمام دناءته وخسسته، وأثناء ردّه عن القائل: "الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل.."، عبّ الخطابي: "..علقت هذا القول على دابة يدركها البصر في مدى اللحظة، ويحيط بمعانيها العلم في اليسير من مدّة الفكر، ثمّ اقتصرت من عظيم ما فيه من العجب على ذكر المشفر والذنب... فهلاًّ أتيت منها بما هو أشفّ قيلاً، وأشفى وأجمع لخواصّ نعوته وأوفى فتذكر ما أعطيته هذه البهيمة العجماء من الذهن والفتنة التي بها تفهم عن سائسها ما يومئ به إليها من تدييره، وهلاًّ تعجّبت وعجبت من ذلك من حسن مواتها وطاعتها له إذا أغراها، وقرب ارتداعها إذا زجرها ونهاها، وهلا فرنت إلى ذكر مشفرها ذكر ناييها اللذين بهما تصول، وبسناخا تطعن وتجرح، وكيف أغفلت أمر أذنيها العريضتين اللتين تلحفهما وجهها، وتذب بتحريكهما البقّ والذباب¹ عن صماخيها وعينيها، وبهما تروّح على نواحي رأسها، وكيف لم تفتن لموضع التدبير من قصر رقبتها واندماج عنقها، فإنّها لو طالت لم تُقل رأسها، ولأوهنها ثقل حملها، فإذا قد منعت امتداد العنق فقد عوضت به انسداد المشفر، لتتناول حاجتها من القوت والعلف، وتدلو به شربها من الماء، وتملأ كالسقاء فتضح به أعضائها إذا شاءت، ثمّ قد

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 67، 68.

منعت البروك بأن لم تجعل لها مفاصل لم تقدر على التهوض، إذ ليس لها عنق تتناول بها كالبعير الذي يهنع بعنقه وينبعث ويثور، فيما يشبه هذه الأمور من نعوت خلقها وعجائب تركيبها¹.

بعد قراءة هذا الرّد للإمام الخطّابي على من سمّاه "الفائل"، وبعدهما أبرز سوء لفظه أوّلاً، ها هو يكشف سوء معانيه، فكأنّنا به في هذا النّصّ _الذي يصف فيه الفيل وصفا علمياً دقيقاً، ذكرا شكله الخارجي، معلّلاً طبيعة كلّ عضو فيه_ يوجّه الفائل إلى الوجهة الأصلى له والأنسب، بخطاب ودعوة للتأمل، فعوض الانشغال بالأقوال التي لا تحمل معنى، أولى بك أن تتدبّر عظيم خلق الله تبارك وتعالى، وتنظر إلى بديع صنعه، وتتأمل دقائق وتفصيل مخلوقاته العجيبة، فهذه الدقّة المتناهية خالقها الله سبحانه لا شريك له، وما محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلا رسول، يبلغ رسالة ربّه تبارك وتعالى، بدل مجازاة القرآن، والانشغال عمّا هو أهم، ألا وهو التّدبّر: "سبيل الإيمان" وطريقه، فإن أنت لم تؤمن بكتاب الله المسطور، وتدّعي كذباً أنّك تقول مثله، فانظر وأبصر حولك كتابه المنظور، وارجع لنفسك معترفاً بضعفك واستسلامك للواحد الأحد، خالق كلّ شيء.

وفي هذا النّصّ نلمس نزعة علميّة بادية في أسلوب الخطّابي الذي تطلّبه السيّاق، فقد كان يشرح ويوضّح وجه الإعجاز البلاغي، ويردّ على أقوال المفترين مبيناً ضعف ألفاظها ومعانيها، فاصطبغت لغته بعد ذلك بطابع علمي.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 67، 68.

وقال مواصلاً تعقيبه على الفائل: "ويقال له أرأيت لو عارضك في قولك سفيه مثلك بالبعوض الذي هو خصم فيلك وجنفة في مضادّة الطّباع، وقد حكاها في مناظر الحلقة من شخوص الفودين وانخراط الخدين. وانسدال المشفر والوصول به، فقال: (البعوض وما أدراك ما البعوض، له مشفر عضوض، في الدماء يخوض، فهو للفيل عروض!) هل يكون سبيله فيما تعاطاه من السخف إلا سبيلك فيما أتته من الجهل؟ فإن قيل إن البعوض ليس بعروض الفيل لبعدهما من التفاوت في الحجم والجنّة وما بينهما من الضعف والقوة قيل: مدار الحكم في باب التشبيه والتمثيل على المعاني دون الأعيان والأجسام، والبعوض حيوان من أوجه كالفيل، يكسب القوت ويتوقى المهالك، ولذلك صار يتوارى نهاراً ويبرز ليلاً، وقد أشبه خلقه الفيل برأسه وبخرطومه، وبسائر ما ذكرناه من أمره، ثم قد زاد عليه بجناحين، فصار موضع نقص الجسم والجنّة مجبوراً بهما، فهما متساويان في المعاني التي تجمعهما غير مفترقين فيهما"¹.

في هذا الكلام يذكر الإمام الخطابي فرضيّة للفائل، إذا عورض بقول كاذب عن البعوض، مبيّناً خصائص البعوض العلميّة، وأوصافه وهو يذكره بعظمة هذا المخلوق رغم صغر حجمه، ممّا يحيلنا إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾².

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 68.

² سورة البقرة، الآية: 26.

وهي فرضية ساق موضوعها " البعوض " من القرآن الكريم، ليدعوه مجدداً إلى التدبر والتّظر، وعدم الاقتصار على المظهر الخارجي دون التّفكّر، وهذا واضح في قول الله تعالى: " فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً"، وإشارة الخطابي: " مدار الحكم في باب التشبيه والتمثيل على المعاني دون الأعيان والأجسام"، فهو خطاب توجيهي نحو التّظر في مخلوقات الله ذو مسحة علمية بارزة.

كما قال الخطابي حول ما جاء من نعت للحبلى من أصحاب الأباطيل والأكاذيب: " فإن أول ما غلط به هذا الجاهل أنه وضع كلمة الانتقام في موضع كلمة الإنعام حين قال: " ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى"، وإنما تستعمل هذه اللفظة في العقوبات ونحوها كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾¹، وكقوله سبحانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾²، وكقوله: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾³، وكقول القائل: فعل الله بفلان وفعل، إذا دعا عليه، وإنما وجه الكلام مما رامه من المعنى أن يقول: ألم تر إلى ربك كيف لطف بالحبلى، وكيف أنعم عليها أو نحوها من هذا الكلام الذي يجرى مجرى الامتنان والإنعام، وأما قوله: أخرج منها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى، وإنما تعاطى استراقاً من قول الله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾⁴ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ⁴، وهذا في أول تارات الخلق التي ذكرها الله سبحانه عز وجل، ثم ذكر

¹ سورة الفيل، الآية: 1.

² سورة النساء، الآية: 147.

³ سورة إبراهيم، الآية: 45.

⁴ سورة الطارق، الآية: 6-7.

في آية أخرى عدد انتقالاته في الرّحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى لحم، وإنشاء خلق بعد ذلك آخر، وهو اجتماع الصّورة ونفخ الرّوح فيها، فدل بها على عظيم قدرته ولطيف حكمته وسعة رحمته، فتبارك الله أحسن الخالقين، وإنما تتصرف به هذه الأحوال بعد الانتقال إلى الرّحم، وبين الرّحم والشراسيف مسافة وحجب، قال أصحاب التّشريح: الرّحم موضوعة بين المثانة والمعى المستقيم، فلم يدر هذا البائس ما يقول حين جعل الولد بعد الحبل خارجاً من بين الشراسيف والحشى تمثلاً بقوله جل وعز: ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ فغلط في الوصف وأخطأ في المعنى كما أبطل في الدعوى، وتلك سبيل مقالات المتكلفين وعاقبة دعاوى المبطلين¹.

كان للخطّابي أن يبرز سقطات صاحب القول اللّغويّة ويكتفي، لكنّ الموضوع له علاقة بحقائق علميّة، فيه سقطات لغويّة بلاغيّة، وأخرى علميّة لا بدّ أن تبين، فمحاولته البائسة للاستراق من كلام الله أوقعته في الخطأ الشّنيع، وموضوع خلق الإنسان شغل الدّارسين والمتخصّصين في الإعجاز العلمي إلى وقتنا الحاضر، لأنّه قضية علميّة محضّة، وإشارة الخطّابي إلى "أصحاب التّشريح" دليل صريح على تقبّله التّفسير العلميّ، وبالتالي إعجاز الآية العلمي هاته، فقد استشهد بقولهم في تحديد مكان الرّحم: "الرّحم موضوعة بين المثانة والمعى المستقيم"، وعليه فإنّ الخطّابي _ في سياق توضيحه علل الإعجاز البلاغي _ لم يغفل ما تطلّبه طبيعة الموضوع العلميّة، فأفاض في الأوصاف العلميّة الدّقيقة وأسهب.

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 69-70.

فكأنّ الخطّابي يؤسّس لمنهجية البحث في الإعجاز القرآني، ميرزا وجوهه: الإعجاز الغيبي، الإعجاز الآني، الإعجاز البلاغي، إعجاز الإعجاز، لكن بين الإعجاز البلاغي _ الذي أساسه اللفظ والمعنى وإعجاز الإعجاز _ الذي غرضه التأثير في القلوب والصنيع في النفوس _ مسافة تستوعب موضوعات لا حصر لها، قد تكون تشريعية، كما يمكن أن تكون علمية أو نفسية، أو حضارية.. تكون وسيلة للتأثير في القلوب والتغيير في السلوك.

- اللفظ والمعنى والإعجاز العلمي:

ترتبط ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه بإعجازه العلمي ارتباطا مباشرا وطيدا، وإلا كيف يفهم المقصود دون العلم باللغة العربية ودلالاتها، وعلومها، وهذا ما حرص الإمام الخطّابي على إبرازه في خصائص البلاغة القرآنية الكاملة، وقيامه على أصول دلالية ثابتة، ومن الأمثلة السابقة التي يمكن أن تعدّ إرهاصات للإعجاز العلمي يبرز ارتباط الإعجاز البلاغي بالإعجاز العلمي، يقول الإمام الشعراوي واصفا دقة كلام الله سبحانه وتعالى: "بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً، فلا تجد حرفاً زائدا بلا معنى، ولا كلمة مترادفة"¹. لهذا بات لزاماً قبل الإقبال على التفسير العلمي أو إبراز الإعجاز العلمي معرفة خصائص ألفاظ ومعاني القرآن الكريم، وبلاغته السامية، وللدارس أن يبحث عن كتاب واحد في بقاع الأرض كلّها أثبتت فيه حقائق علمية تمثل ألفاظ القرآن ومعانيه، فهيهات لن يجد غيره، وسنسوق فيما يلي نماذج أوردها الدكتور صلاح الخالدي آيات ذات مضامين علمية

¹ معجزة القرآن، متولّى الشعراوي، ص45.

جاءت في كتاب الله العزيز، بألفاظ واضحة عذبة معجزة، ومعاني سامية راقية، تزيد المؤمن إيماناً، وتحثه على تأمل الكون من حوله ففيها ما يتعلق بـ:

1- بدء الكون وخلق السماوات والأرض¹ بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ

بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا

رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ

الْأُولَىٰ بِمِصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾².

2- تماسك بنيان السماء، وعن تمدد الكون وتوسعه المستمر، يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٧﴾³.

3- خلق السماء بغير عمد، وعن الجاذبية بين الأفلاك في الفضاء⁴، يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ

السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ

كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٥﴾⁵.

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص 299.

² سورة فصلت، الآية: 9-12.

³ سورة الذاريات، الآية: 47.

⁴ المرجع السابق، ص 299.

⁵ سورة لقمان، الآية: 10.

4- كروية الأرض يقول الله: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ

وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ

الْعَزِيزُ الْعَفْوَءُ ¹ .

5- دحو الأرض ² يقول الله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣١﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرْعَاهَا ﴿٣٢﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ﴿٣٣﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَإِنَّا نَعْمِيكُمْ ³ .

6- الفرق بين الشمس والقمر، واستمداد القمر لنوره من الشمس، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ

وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⁴ .

7- مواقع النجوم العجيبة، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ

لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ⁵ .

8- وظيفة الجبال المثبتة للأرض، وكونها لها بمثابة الأوتاد للنخيمة، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ

الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٧٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ⁶ .

¹ سورة الزمر، الآية: 5.

² ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص 299، 300.

³ سورة النازعات، الآية: 30-33.

⁴ سورة يونس، الآية: 5.

⁵ سورة الواقعة، الآية: 75-76.

⁶ سورة النبأ، الآية: 6-7.

9- الماء العذب والماء المالح ووجودهما متجاورين بدون اختلاط أو امتزاج في البحار،

واستخراج اللؤلؤ والمرجان من كليهما، قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ

وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾¹.

10- حركة الرياح وتكون السحب وشحنها بالمطر ونزوله منها²، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ

وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ

يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٢﴾³.

11- حركة النحل الدائبة، وفوائد ومنافع ما يؤخذ منها من عسل يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ كُلِي

مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾⁴.

¹ سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الآية: 19-22.

² ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص 300.

³ سُورَةُ التَّوْرِ، الآية: 43.

⁴ سورة النحل، الآية: 68-69.

12- عن خلق الإنسان من الماء الخارج من بين الصلب والترائب، يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾¹.

13- عن السلالة التي خلق منها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾².

14- عن مراحل النشأة الجنينية في رحم الأم³، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرًا فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾⁴.

15- عن دور بصمات الإنسان في تحقيق شخصيته، وعدم التشابه ما بين بصمات شخصين

من البشر، وعن دقة صنع تلك البصمات، يقول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ

تُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّىٰ بِنَانِهِ ﴿٤﴾⁵.

¹ سورة الطارق، الآية: 5-7.

² سورة المؤمنون، الآية: 12-13.

³ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص301.

⁴ سورة المؤمنون، الآية: 14.

⁵ سورة القيامة، الآية: 3-4.

16- عن كون الجلد مركزا للإحساس بالألم أو النعيم، لتجمع الأعصاب الحساسة تحته¹،

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ

جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾².

فالمتأمل لهذه الآيات الكريمة يقف مندهشا من عجيب نظمها، ودلالاته العلميّة، وتعدّد أوجه

إعجازها، ممّا لا يتوفّر في أي كلام علمي آخر.

- الإعجاز العلمي في الدّراسات المعاصرة:

ألّفت في الإعجاز العلمي كثير من الكتاب، وشدّ موضوعه اهتمام الكثير من العلماء، فكتبوا

مقالات، وألّفوا كتباً، وأجروا دراسات، ومن العلماء والشيوخ الذين انشغلوا بالإعجاز العلمي في

القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، نذكر بعض هؤلاء ومؤلفاتهم:

- طنطاوي جوهري (الجواهر في تفسير القرآن).

- محمّد أحمد الغمراوي (من سنن الله الكونيّة، والإسلام في عصر العلم).

- محمّد جمال الدين الفندي (من الآيات الكونيّة في القرآن الكريم، القرآن والعلم).

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص301.

² سورة النساء، الآية: 56.

- عبد الرزّاق نوفل (الإعجاز العددي للقرآن الكريم، الإعجاز العلمي، معجزة القرآن، آيات في آيات).

- محمّد متولّي الشعراوي (الآيات الكونيّة ودلالاتها على وجود الله تعالى، الله والنفس البشريّة، الإسلام والفكر المعاصر).

- عبد المجيد الزنداني (البينة العلميّة في القرآن الكريم، علم الإيمان)، ويعدّ المشرف على " هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" وهي هيئة تابعة للمجلس الأعلى للمساجد في المملكة العربيّة السّعوديّة¹.

- أحمد شوقي إبراهيم (موسوعة المعارف الطّبيّة في ضوء القرآن والسنة، وفتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز فيه، وسنريهم آياتنا).

- عبد الدّائم الكحيل (روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الله يتجلّى في آياته، أسرار الكون بين العلم والقرآن، أسرار إعجاز القرآن: 70 حقيقة رقميّة تشهد على صدق القرآن).

- محمّد راتب التّابلسي (آيات الله في الآفاق، آيات الله في الإنسان، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص 284.

- عبد الله بن عبد العزيز المصلح (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه).

- عمر محمود عطية الراوي (التفسير العلمي لسورة الإخلاص، نظرة علمية لتفسير سورة الكهف).
كما ألقى المتخصصون العديد من المحاضرات والسلاسل العلمية المصوّرة، كما حضروا كثيرا من المؤتمرات في أماكن متعددة تتحدّث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم¹.

كما اهتمت دراسات أخرى بربط الأديان السماوية والظواهر العلمية من قبيل مناقشة قضايا الكوارث والزلازل وشرحها وتفسيرها²، وكذلك البحث في أوجه التقارب بين الدين والطب³.

¹ ينظر: البيان في إعجاز القرآن، صلاح الخالدي، ص 284.

² Mohsen Ghafory-Ashtiany, Chapter 21 - View of Abrahamic Religions on Natural Disaster Risk Reduction, Editor(s): John F. Shroder, Andrew E. Collins, Samantha Jones, Bernard Manyena, Janaka Jayawickrama, In Hazards and Disasters Series, Hazards, Risks, and Disasters in Society, Academic Press, 2015, Pages 373-390.

³ Jeff Levin, How Faith Heals: A Theoretical Model, EXPLORE, Volume 5, Issue 2, 2009, Pages 77-96.

المبحث الثالث: الإعجاز النفسي

صرّح الكثير من العلماء بضرورة الاهتمام بالإعجاز النفسي في القرآن، وبأنه نوع من الإعجاز القرآني مازال يحتاج إلى الكثير من البحث، وإنما أطلق عليه "الإعجاز النفسي" اشتقاقاً من لفظة "نفس" التي وردت في مواضع عديدة من كتاب الله تبارك وتعالى، 367 مرّة ويدلّ كلّ منها على الإنسان ككائن حيّ ذي أصل واحد، يتكاثر ويكسب، ويشتهي ويغضب، ثمّ يجازى على عمله، وقد استعملت للدلالة على الإنسان¹ كما في الآيات التالية، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾² وقال: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾³، وقال جلّ وعلا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا أُولَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁴، وقال سبحانه: ﴿لَا

¹ ينظر: ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، بلقاسم محمد الغالي، مجلّة جامعة الشارقة للعلوم الشرعيّة والإنسانيّة، المجلد 4، العدد 1، فبراير 2007م، ص 7.

² سورة البقرة، الآية: 48.

³ سورة البقرة، الآية: 123.

⁴ سورة البقرة، الآية: 233.

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أُكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ
لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾¹، وقال
تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۗ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ﴾²

وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ
فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾³، وقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾⁴

وقال سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۗ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ
الْأَعْيُنُ ۗ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾⁵، كما وردت تحمل دلالات عن ذات الإنسان، وجوهره، وداخله،
كما في قول الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

¹ سورة البقرة، الآية: 286.

² سورة الطلاق، الآية: 7.

³ سورة المائدة، الآية: 32.

⁴ سورة التحريم، الآية: 6.

⁵ سورة الزخرف، الآية: 71.

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾¹، وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ ۗ نَفْسُهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾²، وفي قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٥﴾³، فقد وردت لفظة "نفس" في الآيات الكريمة في صيغ الأفراد والجمع، دالة على أنّ الإنسان كائن ذو أصل واحد، يشعر وينفعل ويكسب، ودلت كذلك على طويّة هذا الإنسان وجوهه⁴.

وعرّفت النفس بأنّها كائن لطيف محدّد المعالم، له خصائص السّم والإبصار والاستجابة، وهي ليست بوهم أو معنى، ولكنها شقافة غير مرئية بالعين المادّية المجردة⁵.

وقال ابن مسكويه (ت 421هـ) إنّ النفس ناسوتية والروح لاهوتية، فالنفس هي الأصل في الإنسان وإذا صقلت بالرياضة وأنواع الذكر صارت روحا ترقى إلى أن تصير سرا من أسرار الله عز وجل⁶.

¹ سورة الرعد، الآية: 11.

² سورة ق، الآية: 16.

³ سورة الإسراء، الآية: 25.

⁴ ينظر: ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، بلقاسم محمّد الغالي، ص 8.

⁵ ينظر: مع الله في أعماق النفس البشرية، ضياء الدين الجمّاس، مركز نور الشّام للكتاب، دمشق، ط 1، س 1993، ص 35.

⁶ ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، مطبعة محمّد علي صبيح، القاهرة، سنة 1959، ص 2.

وأَنواع النَّفس في القرآن الكريم: النَّفس الأُمارة بالسَّوء، والنَّفس اللّوامة، والنَّفس المطمئنّة، قال

التفتازاني بأنَّ النَّفس تنقسم إلى فلكيّة وإنسانيّة، وتفسّر بأنّها كمال أوّلي لجسم طبيعي آلي.¹

- ما هو الإعجاز النَّفسي في القرآن الكريم؟

يعرّف الإعجاز النَّفسي بأنّه ما يلمح في تلك الآيات وهي تتحدّث عن أصناف النَّاس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، وعن بيان مكونات النَّفس وخفائها في آي القرآن الكريم.²

وهو "عدم مقدرة الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه، وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه"³.

فالمقصود بالإعجاز النَّفسي هو امتناع البشر عن الإتيان بكلام يكشف عن طبيعة النَّفس البشريّة، وخصائصها، وصفاتها، ويؤثّر في جوهرها، "والحديث عن النَّفس في القرآن ذو شعب أبرزها، أوّلاً: الحديث عن النَّفس عامّة، ثانياً: تأثير القرآن في النَّفس الإنسانيّة، ثالثاً: تمزيق القرآن للحواجز النَّفسيّة ... وأوّل من وقف عند هذا الضّرب من الإعجاز الخطابي (ت 388هـ) (أبو سليمان أحمد بن إبراهيم)⁴.

¹ ينظر: شرح المقاصد، التفتازاني، عالم الكتب، لبنان، س1989م، ج3، ص298.

² ينظر: إعجاز القرآن، فضل حسن عباس، ص330.

³ بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النورسي، أحمد شكري، شركة سوزلر، ط1، س2005، ص111.

⁴ ملامح الإعجاز النَّفسي في القرآن الكريم، بلقاسم محمّد الغالي، ص11، 12.

ـ بين الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي

معظم الباحثين متفقون على كون الخطابي أول من ذكر الإعجاز النفسي للقرآن الكريم، جاعلين من قوله: "في الإعجاز وجهها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، تأثيره في النفوس.."¹، حفلت جلّ الكتب بهذا القول جاعلته البذرة الأولى للإعجاز النفسي، يقول الدكتور وجدي محمد فريد: الحديث عن النفس الإنسانيّة ومنها تأثير القرآن في النفس الإنسانيّة، ومنها تمزيق القرآن لحواجز النفس الإنسانيّة، وبقيننا أن لا شيء من هذه المظاهر يطلق عليه إعجاز نفسي.. الإعجاز النفسي هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدّث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكونات النفس وخفائها، ودوافعها في آيات القرآن الكريم، قد يكون ذلك في القضية القرآنيّة، وقد يكون ذلك في الحديث عن أعداء المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا، وقد يكون في الآخرة كذلك، فإنك تقرّ الآية وإذ بها تصوّر نفسيّة أولئك الذين تتحدّث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تحمل جزئيّة ولا تنسى مشهدا.. إنك تقرّ الآية من كتاب الله وتندبّرها، فلا تغادرها إلا وأنت أمام صورة محكمة دقيقة لهذه النفس.²

والإعجاز الروحي هو "ذلكم التأثير العظيم لهذا القرآن العظيم على النفوس هيبه وحلاوة، ورغبة ورهبة، ولا يعرف كتاب في الدّنيا كلّها له من الأثر على تاليه ومستمعه كما لهذا القرآن حتى على

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص70.

² ينظر: دائرة معارف القرن العشرين، وجدي محمد فريد، دار الفكر، بيروت، ج7، ص677.

أولئك الذين لا يدركون معانيه، ولا يفهمون ألفاظه، نجدهم يتأثرون بهذا القرآن، وصدق الله: ﴿اللَّهُ

نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن

هَادٍ ﴿٢٣﴾¹، وصدق الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ﴾²، ولعلّ أول من نبّه على هذا الوجه في القرآن الكريم الإمام الخطابي³.

فإعجاز القرآن الرّوحي مرجعه لا يحتاج لكثير تأمل، وهو أن القرآن روح من أمر الله تعالى، قال الله تبارك

وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁴، فهو يؤثر

تأثير الرّوح⁵ في الأجساد، فيحرك ويتسلط على أهوائها.. غنّ للقرآن فوق البلاغة والعدوبة والحكمة

والبيان (روحانيّة) يدركها من لاحظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة... هذه

¹ سورة الزّمر، الآية: 23.

² سورة الرّعد، الآية: 28.

³ إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، ص 229، 235.

⁴ سورة الشّورى، الآية: 52.

⁵ نقل ابن قيّم الجوزيّة في كتاب الرّوح عن القائلين بالفروق الدلاليّة بين النّفس والرّوح مايلي: "وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقهاء والتّصوّف: الرّوح غير النّفس، قال مقاتل بن سليمان: للإنسان روح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتدّ له شعاع، فيرى الرّؤيا بالنّفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والرّوح في الجسد يتقلّب ويتنفس، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يريه في المنام أمسك تلك النّفس التي خرجت، كما قال: إذا نام خرجت نفسه فصعدت إلى فوق فإذا رأت الرّؤيا رجعت أخبرت الرّوح، ويخبر الرّوح القلب، فيصبح يعلم أنّه قد رأى كيت وكيت، قال أبو عبد الله بن منده: ثمّ اختلفوا في معرفة الرّوح والنّفس، فقال بعضهم: النّفس طينيّة نارّيّة، والرّوح نورّيّة روحانيّة، وقال بعضهم: الرّوح لاهوتيّة، والنّفس ناسوتيّة، وأنّ الخلق بما ابتلي. ينظر: كتاب الرّوح، ابن قيّم الجوزيّة، تح: محمد قطب، ووليد الذكري، المكتبة العصريّة، ط1، ص 2003، ص 279.

الرّوحانيّة تظهر جليّاً عندما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد في صفحة ما، فإنّك تراها تتجلى لك بين السّطور وخلال التّراكيب كأثما الشمس في رابعة النّها، ومهما كانت درجة تلك الصّفحة من البيان، ومنزلتها من جمال الأسلوب، وجزالة الألفاظ¹.

- بذور الإعجاز النّفسي في بيان إعجاز القرآن:

عرفنا ممّا سبق أنّه حيثما ذكر الإعجاز النّفسي تجد أقوال الخطّابي حاضرة، وحسبما توصّلنا إليه من فرق بين الإعجاز النّفسي والرّوحي، نقول ما يلي: إنّ وجه الإعجاز الذي ذكره الخطّابي في آخر رسالة بيان إعجاز القرآن، والذي غفل عنه الكثير من النّاس فلا يكاد يعرفه إلّا الشّاذّ من آحادهم_ الذي تشير أغلب الدّراسات إليه أنّه إعجاز نفسي_ إمّا نحسبه إعجازاً روحيّاً، تبعاً لقول الدّكتور فضل عبّاس، وهو ما سمّاه الدّكتور أسامة شفيح السيّد "إعجاز الإعجاز"، وهو وجه للإعجاز القرآني ربطه الخطّابي بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه وبلاغته ربطاً مباشراً، حينما مهّد لشرح الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، فقال: "فإنّه يقول إنّ الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حسّ السّامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلّى به من الرّونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام، حتّى يكون له هذا الصّنيع في القلوب، والتّأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنّه كلام لا يشبهه كلام، وتحصر الأقوال عن معارضته، وتنقطع به الأطماع عنها"².

¹ ينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل عبّاس، ص 229، 235.

² ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 25.

فاستعمال الخطابي لـ "حتى يكون" يفيد السببية والعلية، وكأننا به يقول: من أسباب صنيع القرآن في القلوب وتأثيره في النفوس، عذوبة هذا الكلام في حس السامع وهشاشته في نفسه، وما يتحلّى به من الرّونق والبهجة..، فالمرجّح من القول أن قصد الخطابي هو إعجاز الإعجاز وليس الإعجاز النفسي.

وهذا لا يعدم كلام الخطابي عن الإعجاز النفسي، من تحليل لأوصاف النفس البشرية في سياق شرحه للإعجاز البلاغي، فلعلّ الإمام جعل هذا النوع من الإعجاز ضمن الوجه البلاغي للإعجاز، مثل شرحه لصفة الشّح في نفس الإنسان، عندما أكّد على أهميّة الفروق الدلالية في ألفاظ القرآن الكريم، يقول: "والشّح ما يجده الشّحيح في نفسه من الحزاة عند أداء الحقّ وإخراجه من يده، قال ولذلك قيل: الشّحيح أعذر من الظالم"¹.

– اللفظ والمعنى والإعجاز النفسي:

فالإعجاز الرّوحي ناشئ عن الصبغة البيانية السامية، والأسلوب الرّفيع، والنظم البديع، وإذا كان هذا يصدق على الإعجاز الرّوحي فإنّه يصدق على الإعجاز النفسي، إنّ الإعجاز النفسي والإعجاز الرّوحي كليهما ناشئان عن الصبغة البيانية للقرآن الكريم التي تتمثل في أصوات حروفه وترتيبها في كلماته ونظم هذه الكلمات في جملة²، وأشار إلى تكامل ألفاظ القرآن مع الدلالة النفسية لدى إخوة سيّدنا يوسف عليه السّلام، فقالوا: "أكله" تناسبا مع صفة الكذب التي أسرّها في أنفسهم،

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص30.

² ينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، ص229، 235.

قال الإمام الخطّابي: "فادّعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل، على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع"¹، وواضح ارتباط الدلالة النفسية بالألفاظ والمعاني من قوله.

وأثناء شرحه لبعض الآيات وإبراز دلالات ألفاظها، منتصرا للقائلين بالفروق الدلالية، أبرز الصّفات النفسيّة لمعارضتي القرآن الكريم، وردود أفعالهم المعاندة، قال: "فلو كانوا أرادوه وقنعوا عن شفاء الأنفس به لسهل ذلك عليهم، وإتّما عاقبهم عن ذلك رأي آخر كان أقوى في نفوسهم، وأجدى عليهم في مبلغ آرائهم وعقولهم، وهو مناجزتهم إيّاه الحرب، ومعالجته بالإهلاك استراحة إلى الخلاص منه، وكراهة لمطاولته على القول، ومعارضته بالكلام الذي يقتضي الجواب، فيتمادى بهم الزّمان للنّظر فيه والانتقاد له، فتكثر الدّعاوى، ويخفى موضع الفضل بين الكلامين، فمالوا إلى هذا الرّأي قصدا إلى اجتياحه واستئصاله، إذ كانوا فيما يرونه مستظهرين عليه، مستعلين بالقدرة فوقه"².

فبعدهما استند الخطّابي إلى الفروق اللّغويّة لإبراز بعض صفات النّفس البشريّة كالشّح والكذب، والتي جاء ذكرها في كلام الله تعالى، ها هو في هذا القول يحلّل تحليلا نفسيّا سبب عجز العرب عن محاولة مجازاة العرب للقرآن الكريم، وأنّه فعل مقصود من طرفهم "قصدا في اجتياحه واستئصاله"، لما سمع العرب القرآن الكريم أدركوا أنّه كلام من عند الله تبارك وتعالى، ولو أنّهم اعترفوا بذلك لكان أحسن لهم، ولكن "رأي آخر كان أقوى في نفوسهم"، هو استعلاؤهم، وتكبّرهم، وأنفتهم المستمدة

¹ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 35.

من حميّة الجاهليّة هي التي حالت دون ذلك، ولم يعارضوا يقينا منهم بأنّ سبيل المعارضة كفيّل بإبراز هزيمتهم، فيضمن المزيد من الحجج والأدلة القاطعة بأنّه كلام الله جلّ في علاه، قال الله تعالى واصفا إياهم: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾¹، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾²، وقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾³، وقال جلّ في علاه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾⁴.

فالملاحظ أنّ الإمام الخطابي تحدّث عن دلالات نفسيّة في القرآن الكريم، في معرض حديثه عن الإعجاز البلاغي، ولم يجعل الإعجاز النفسي وجها من وجوه الإعجاز، بل جعله جزءا من الإعجاز اللغوي، مثلما لم يجعل الإعجاز التشريعي والعلمي وجهين منفردين للإعجاز، وإتّما هي وجوه تستمدّ من الإعجاز البلاغي واللغوي في القرآن الكريم، وحديثه عنها وعن دلالاتها، وارتباطها بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، كان بمثابة إرهاصات لجعلها وجوها مستقلة من وجوه الإعجاز القرآني بعده، وأفرد وجها لإعجاز الإعجاز، أو الإعجاز الروحي.

¹ سورة الفتح، الآية: 26.

² سورة مريم، الآية: 97.

³ سورة الأعراف، الآية: 199.

⁴ سورة الحجر، الآية: 95.

- الإعجاز النفسي في الدراسات المعاصرة:

إنّ الله سبحانه وتعالى خالق النّاس، وهو الأعلّم بأنفسهم، وطرق صلاحها، وأسباب رشادها، ولأنّ البحث في الإعجاز النفسي للقرآن الكريم أصبح أكثر أهميّة، فقد خصّص الباحثون فيه فصولاً، مثلما فعل الدكتور فضل عباس في كتاب إعجاز القرآن الكريم، وكذلك فعل الدكتور صلاح الخالدي في البيان في إعجاز القرآن، وعنيت كتب بالتّفصيل في شرح الإعجاز النفسي بدءاً بمراحل خلق الإنسان الأولى، ومتطلّباتها النفسيّة والتّربويّة، وعرضت السلوك الإنساني في القرآن الكريم، كما تطرّقت إلى القرآن الكريم ومعالجته الانحراف السلوكي، وإلى الدوافع في القرآن الكريم، والفروق الفرديّة والانفعالات والعواطف فيه، وعرّجت على التّدكّر والنسيان، والحيل اللاشعوريّة، والشخصيّة، والتّعلّم في القرآن الكريم، وتناولت مواضيع الصّحة النفسيّة في القرآن الكريم¹، وكتبت مقالات وبحوث عديدة عن الإعجاز النفسي، وما في ألفاظه من دلالات عميقة عمق النّفس البشريّة، فامتزجت الدّلالات النفسيّة بجماليّات ألفاظ القرآن الكريم وبلاغته، حيث إنّ " الدّلالة النفسيّة أخرجت غير واحدة من الظواهر الدّلاليّة إخراجاً جماليّاً فنياً، فبدأ أنّ القرآن الكريم يستعمل الأضداد _مثلاً_ على نحو من حركيّة دلاليّة إشاريّة، فيعمد إلى تضييق الحدود بين الدّالتين الضدّيتين لهذه اللفظة

¹ ينظر: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، مصطفى رجب، دار العلم والإيمان للنشر والتّوزيع، ط2، س2013، ص 319/

أوتلك، حتّى كأنّه يريد الدّالّتين معا مبتدءا من واحدة منتهيا إلى أخرى، فيحدث هالة من الدّلالة مضيفة بينهما تكون مثار لذة دلاليّة كبرى¹.

وما تزال قضايا ومفاهيم الروح والنفس موضوع بحث أساسي في الفلسفة الإسلاميّة²، والعلوم الاجتماعيّة والسلوكيّة وكذلك في الطب والعلوم الطبيّة والنفسية³، إضافة إلى ربط التجربة الدنيّة بما هو نفسي⁴.

وقد دعا مالك بن نبي إلى التّفسير النّفسي للقرآن الكريم في الظّاهرة القرآنيّة، بما أنّ الحضارة تستدعي بناء الإنسان قبل كلّ شيء، ومن هذا نجد الاعتناء اليوم بالبحث في الإعجاز النّفسي،— فرغم تطور الفهم الإسلامي لطبيعة القرآن الكريم إلا أنّها ظلت توحد العالم الإسلامي⁵— وهناك من أطلق عليه الإعجاز الحضاري، لما ورد في القرآن الكريم من قيم إنسانيّة مشتركة أساسيّة لبناء الحضارة، كقيم: الاعتقاد، والحريّة، والعدل، والسّلام، والعلم، والعمل، التي عرضها القرآن الكريم منسجمة مع بعضها البعض غير متعارضة ولا متقاطعة، فشكّلت منظومة قيمية حضارية بالغة التأثير في

¹ الدّلالة النّفسيّة للألفاظ في الخطاب القرآني منهج في إعجاز التّسمية، محمد جعفر العارضي، دار دجلة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ط1، س 2016، ص 500.

² Baltabayeva Alyona, Gabitov Tursun, Maldubek Akmaral, Shamakhay Saira, Spiritual Understanding of Human Rights in Muslim Culture (The Problem of “Ruh” – “Spirit”), Procedia - Social and Behavioral Sciences, Volume 217, 2016, Pages 712-718,

³ Harold G. Koenig, Faten Al Zaben, Doaa Ahmed Khalifa, Saad Al Shohaib, Chapter 19 - Measures of Religiosity, Editor(s): Gregory J. Boyle, Donald H. Saklofske, Gerald Matthews, Measures of Personality and Social Psychological Constructs, Academic Press, 2015, Pages 530-561.

⁴ Ian Bone, Simon Dein, Religion, spirituality, and epilepsy, Epilepsy & Behavior, Volume 122, 2021, P1.

⁵ Y. Wahyudi, Qur'an, Editor(s): Keith Brown, Encyclopedia of Language & Linguistics (Second Edition), Elsevier, 2006, Pages 334-336.

المسلمين ومن خالطهم من أبناء الحضارات الأخرى، ، كما أنّ هذه المنظومة مثّلت مجمل القيم الإنسانية التي تعجز عن جمعها وترتيبها أعظم مؤلّفات العصور السابقة لزمان نزول القرآن الكريم، فلم تتفاوت تأثيراتها على واقع البشريّة، ولم تغفل حضارة القرآن ركنا من أركان القيم الإنسانية السّمحة، فشموليّتها وفق تفسيراتها القرآنيّة المنضبطة للأزمنة والأمكنة، والفئات العمريّة والاجتماعيّة المختلفة، وتقديم القرآن الكريم لها بوصفها فرائضا، وصياغتها في هيئة أحكام جعلها تمثّل منظومة كاملة للقيم الإنسانية العامّة¹.

¹ ينظر: الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم: القيم الإنسانية العامّة نموذجاً، مجاهد مصطفى بهجت، وأشرف محمد زيدان، أكاديمية الدّراسات الإسلاميّة ملايا، ماليزيا، ص 11/4.

ففي القرآن الكريم تظهر " الكثير من الدلالات التفسيرية والإيجائية في كثير من الألفاظ حركية واضحة نحو مضامين التغيير والإصلاح، ومظاهر البناء الذاتي التّناموي.. وهذا يعني أننا من خلال عدم الاكتفاء بالدلالات العرفية للألفاظ نلامس موضوعات ذات آفاق مجتمعية وإنسانية تتعلق بالحياة والفكر، ومن ثمّ يصير منهج التحليل الدلالي المتوخى مثل هذه الدلالات مطلباً مهماً ونحن ندرس الخطاب القرآني... لأجل بيان مواقف القرآن العظيم الإصلاحية على مستوى الذات والفرد من خلال مقولات دلالية تفتح على فضاءات رحبة، تخلق جواً من التطلع نحو الحياة الكمالية ذات الآفاق المعنوية غير المنحسرة في حدود معطيات المادة وقبورها، وهذا يؤثّر من جهة ثانية أنّ الاكتفاء بالمقولات الدلالية العرفية يمثّل تضحية بهذه المواقف التي نحن إلى بيانها ومداومة النظر فيها أحوج على الدوام"¹.

فرغم أنّ الإمام الخطابي أورد وجوه الإعجاز متمثلة في الإعجاز الغيبي وعجز العرب، والإعجاز البلاغي، والتأثير في القلوب مع الصنيع في النفوس، إلّا أنّ بذور الإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي، والإعجاز النفسي بثّها ضمن حديثه عن الإعجاز البلاغي، لما تطرّق إلى إبراز خصائص ألفاظ القرآن ومعانيه، وجعلها الكثيرون وجوهاً مستقلة للإعجاز القرآني، يقول الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسيره " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: " القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقلّ بتفسيره إلّا الزمن، وكذلك كلام نبينا _ صلى الله عليه وآله وسلم _ المبين له، فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون، ومشكلات الاجتماع لم تفهم أسرارها

¹ الدلالة التفسيرية للألفاظ في الخطاب القرآني منهج في إعجاز التّسمية، محمد جعفر العارضي، ص501، 502.

ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدّقها من سنن الله في الكون، وكم فسّرت لنا حوادث الزّمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن، ومتون الحديث، وأظهرت منها للمتأخّرين ما لم يظهر للمتقدّمين، وأرتنا مصداق قوله _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ_ في وصف القرآن: (لا تنقضي عجائبه)، والعلماء القوامون على كتاب الله وسنّة رسوله لا يتلقّونها بالفكر الخامد، والفهم الجامد، إنّما يترقّبون من سنن الله في الكون، وتدبيره في الاجتماع ما يكشف لهم عن حقائقهما، ويكلون إلى الزّمن وأطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم، وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصّحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات: (لم يأت مصداقها أو تأويلها بعد)، يَعْنُونَ أَنَّهُ آت، وَأَنَّ الْآتِيَّ بِهِ حَوَادِثُ الزَّمَانِ، وَوَقَائِعُ الْأَكْوَانِ، وَكُلٌّ عَالَمٌ بَعْدَهُمْ فَإِنَّمَا يُعْطِي صُورَةَ زَمْنِهِ بَعْدَ أَنْ يُكَيِّفَ بِهِ نَفْسَهُ"¹، فأيات الله التي قصرت عقول البشر عن تفسيرها في زمن معيّن سيأتي تأويلها بلا ريب، فقد جمع القرآن الكريم كثيرا من الأسرار كـ " أسرار العمران والاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان، ممّا تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم، فكتاب اشتمل على كلّ هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق"².

¹ تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، س1995، ص377.

² المرجع نفسه، ص160.

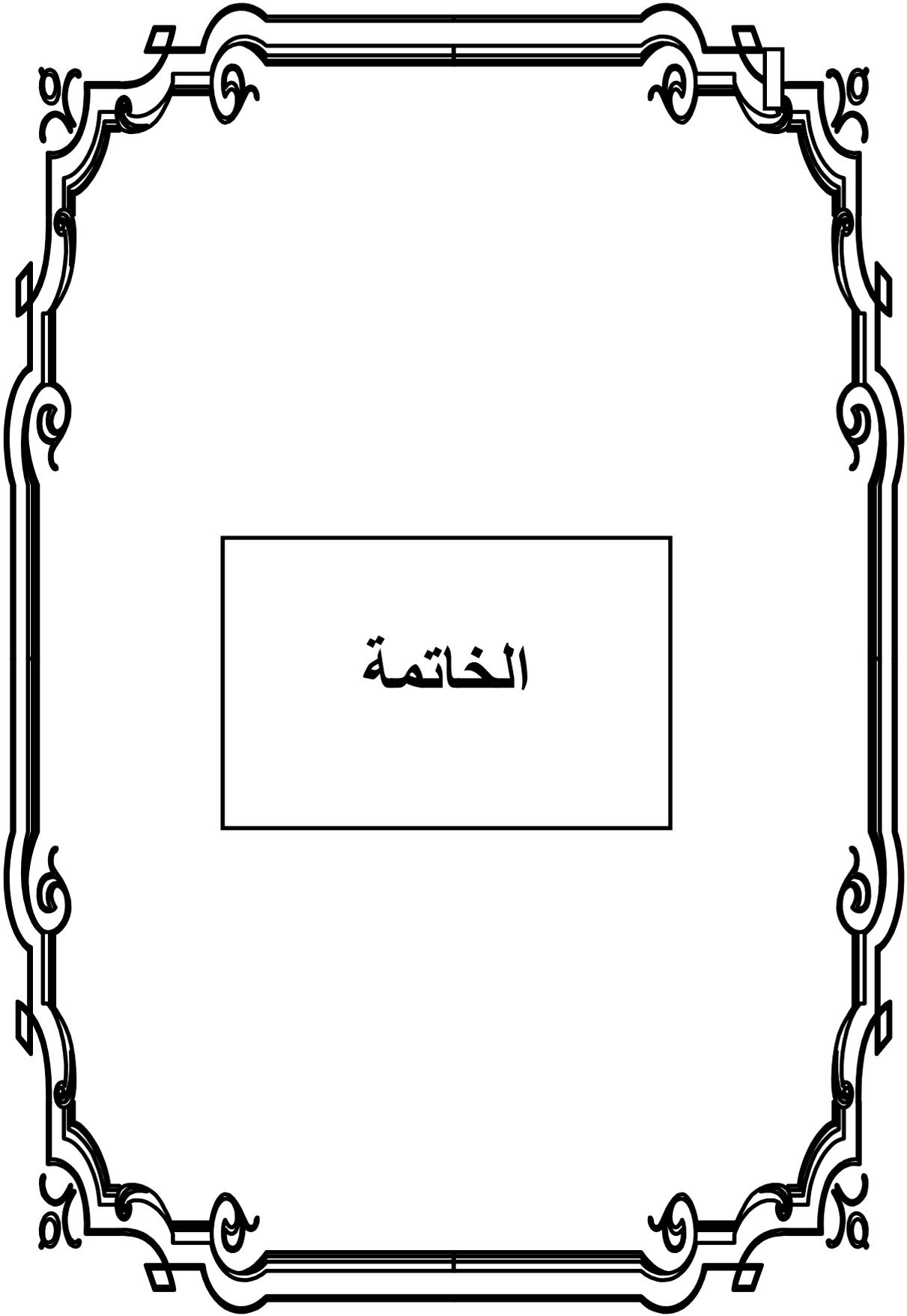
وانطلاقاً من هذه الفكرة " اقتنع ابن باديس بأنّ تشريع القرآن، والعلم الذي أخبر به القرآن، والغيب الذي قرّره القرآن، وأسرار العلم والاجتماع وغيرها، كلّ هذا حقيق أن يوصف بـ " الإعجاز"، وكلّما نطلّع على بعض تلك الأسرار، فإنّنا نزداد علماً وعرفانا، ونزيد الدّين حجّة وبرهاناً"¹.

وفي السّياق ذاته قال الشّيخ البشير الإبراهيمي: "القرآن كلّ لا يختلف أجزاءه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حججه، ولا تتناقض بيّناته.. والقرآن حجّة على غيره، وليس غيره حجّة عليه... تعجز عنه عقول البشر مهما ارتقت، وهو تعقيب كلّ حكم بحكمة، وكلّ أمر بما يثبت في النّفس، وكلّ نهي بما ينفر عنه، لأنّ القرآن كلام خالق النّفوس، وعالم ما تكنّ وما تبدي، ومركب الطّبائع، وعالم ما يصلح وما يفسد، وبارئ الإنسان بين عالمين: أحدهما خير محض، والآخر شرّ محض، فجعله ذا قابليّة لهما من غير أن يكون أحدهما ذاتياً فيه، ليبتليه أيشكر أم يكفر، وليمتحنه أي الطّريقين يختار، كلّ ذلك ليجعل سعادته بيده، وعاقبته باختياره، وتزكّيته أو تدسيته من كسبه... ففي القرآن آيات للمتوسّمين، وإرشاد للعقل البشريّ، يتدرّج مع استعداده، وفيه من الكشف عن غرائب النّفوس وألوانها، وعن حقائق الكون وأسرار مواليده ما يسير بمتدبّره رويدا رويدا حتّى يضع يده على الحقيقة، ويكشف له عن وجهها"²، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾³.

¹ إعجاز القرآن عند العلماء المغاربة مالك بن نبي وعبد الحميد بن باديس أممّودجا، ميلود عمارة، ص 71.

² آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقدم بجله الدّكتور: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الوعي للنشر والتّوزيع، الجزائر، سحب 2016، ج4، ص 226 / 227 / 228.

³ سورة الحجر، الآية: 75.



الخاتمة

الخاتمة

يمكن أن نقول في تنمة هذه الرسالة إنّ الخطّابي كان من المؤسّسين الرّواد لموضوع الإعجاز القرآني تأسيساً علمياً، فجمع القول فيه وهذب شعثه، وكان طرحه عبقرياً فريداً، ولعلّ أبرز النتائج التي خلصنا إليها هي:

- الإمام الخطّابي من مؤسّسي علم الإعجاز تأسيساً علمياً موضوعياً.
- يفهم من سرد الوضعية العامة لعصر الخطّابي وترجمته، أنّه كان عالماً متأثراً ببيئته حيث مارس التجارة شأن علماء عصره، وفضّل التّرحال في طلب العلم، واختار العزلة في آخر حياته لاضطراب زمانه، وتوفّي في رباط بعد ذلك.
- قال الإمام الخطّابي برأي شيخه الشّافعي إنّ اللّغة توقيف من عند الله تعالى، ولا يمكن لبشر الإحاطة بها، وهذا منطلق رأيه في إعجاز لغة القرآن.
- أنكر وجه الإعجاز بالصّرفة، وقال بعدم اطّراد الإعجاز الغيبي لأنّه ينطبق على جزء من كلام الله تعالى، وليس على القرآن كلّه.
- استحسن الوجه البارز من وجوه الإعجاز، وهو عجز العرب عن تحدي القرآن ولو بآية من مثله.
- ذكر قول معظم العلماء بالوجه البلاغي لإعجاز القرآن الكريم، واعتمادهم على الذّوق في تفسيره.

- حلّل الوجه البلاغي للإعجاز تحليلاً دقيقاً، حيث بدأ بإبراز مقوّمات الكلام وهي: اللفظ والمعنى والنّظم.
- لم ينشغل الإمام الخطّابي كغيره من العلماء بتفضيل اللفظ عن المعنى أو العكس، بل كان طرحه موضوعياً دقيقاً يعرف اللفظ والمعنى ليمهد البحث الرئيس في الإعجاز البلاغي.
- صلة اللفظ والمعنى تكاملية، فكلاهما يكمل الآخر والنّظم رباط لهما.
- وتجمع اللفظ والمعنى صلةً تلازمية كذلك.
- اعتنى بالنّظم، وكان من المؤسّسين الأوائل لنظرية النّظم التي وضّح الإمام عبد القاهر الجرجاني بعده معالمها.
- قسّم أجناس الكلام وما تحويه من أقسام، فالبلغ الرّصين الجزل، والفصيح القريب السّهل، والجائز الطّلق الرّسل.
- احتوى القرآن الكريم على كلّ من أجناس الكلام الرّفيح، كلّ وظّف في سياقه الأنسب والأمثل.
- وإتّما امتازت البلاغة القرآنية عن غيرها من البلاغات لأنّ عمودها هو وضع كلّ لفظ موضعه الأخصّ الأشكل به.
- اقترن مصطلح البلاغة عند الخطّابي بألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه.
- إنّ اشتراط الخصوصية والمشاكله في مواضع الألفاظ هو سرّ الفائقية في كلام الله، وكلّ ما عداه من استعمال للألفاظ دون مراعاة الخصوصية والمشاكله يؤدّي إلى ذهاب المعنى، وفساد الكلام، أو ذهاب الرّونق وسقوط البلاغة.

- ضرب الخطّابي أمثلة تثبت إعجاز ألفاظ ومعاني القرآن الكريم ونظمه، رادًا انتقادات الجاهلين، ومعائب المغرضين بالأدلة القاطعة، والحجج المقنعة.

- ختم الخطّابي رسالته بالقول إنّ في القرآن وجهًا معجزًا آخر، يتمثل في صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، وهو ما غفل الناس عنه.

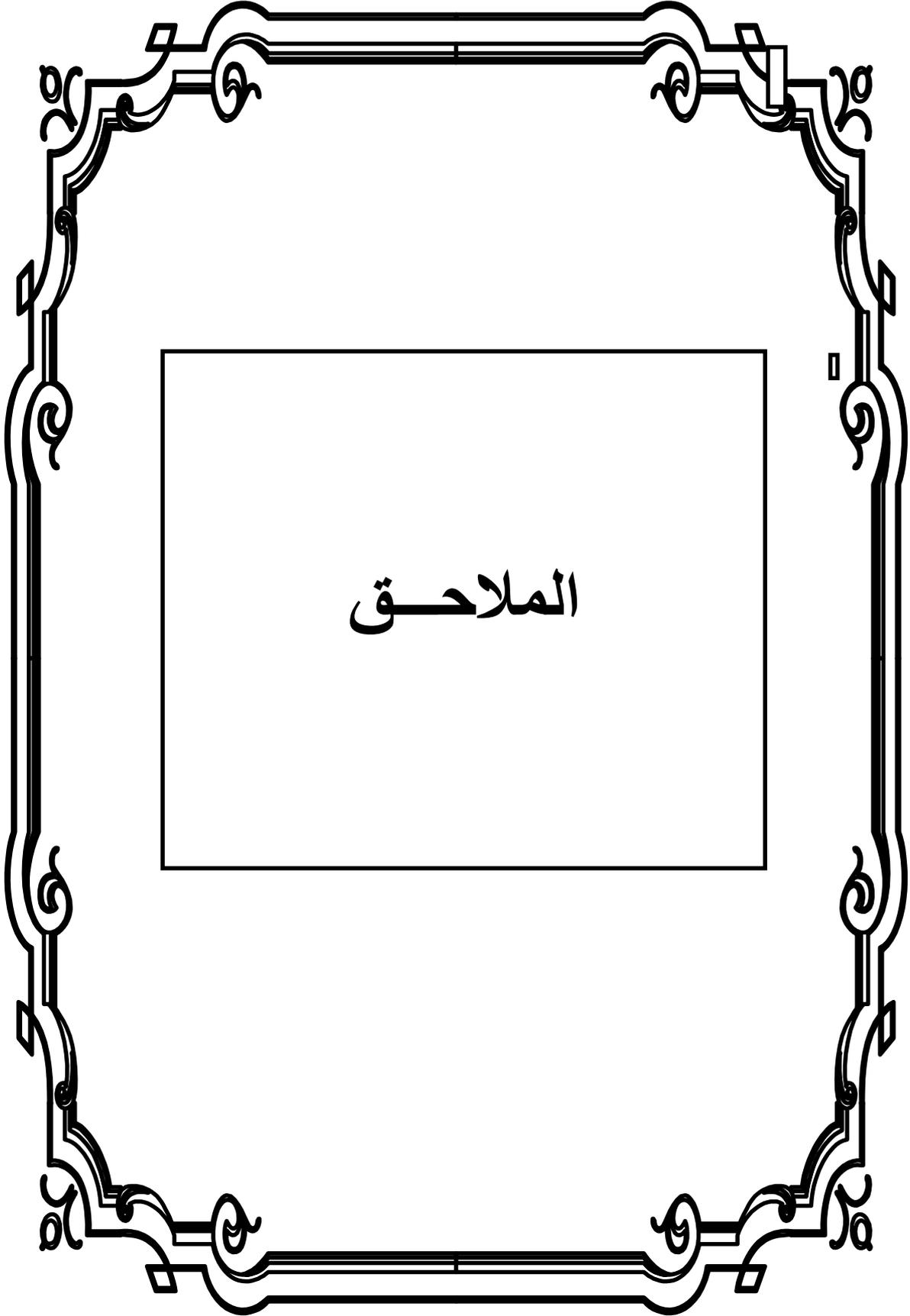
- في سياق تبيينه لسبب الإعجاز البلاغي بدءًا بوصف ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، وظّف الخطّابي تحليلات اتّسمت بصبغة علميّة، وأخرى تشريعيّة، مبرزًا ارتباط الفروق اللّغويّة بالدلالات التّفسيّة للألفاظ، وتبلورت هذه الإشارات في شكل وجوه إعجازيّة جديدة بعده، وفق متطلّبات العصر.

- يمكن أن نبيّن وجوها إعجازيّة للقرآن الكريم بعد ترجمة معانيه، كالإعجاز التّشريعي، والعلمي، والحضاري.

- تبقى ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه التي نزل بها المصدر الذي يدلّنا على إعجازه البلاغي، بعد تدبّرها بحضور السّمع والقلب معًا، إذ يمكن _ بعد استكمال صفحات هذه الرّسالة _ أن يقترح عنوان بديل عمّا ورد بين ثناياها يكون: "الإعجاز من قبل اللفظ والمعنى - دراسة تدبّريّة -".

- تعدّ ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه الرّكيّزة الأولى للإعجاز اللّغوي والبلاغي، ومنها تحلّق النفوس والقلوب نحو إعجاز الإعجاز، فسبحان الله الذي يخلق ما يشاء ويختار.

وخلاصة القول إنّ الخطّابي في بيانه ناقش موضوع الإعجاز، وطرحه طرحًا موضوعيًّا، فكانت تقسيماته رائدة، ومصطلحاته دقيقة، فشرّح وجه الإعجاز اللّغوي الذي اتبع فيه غيره من العلماء التّقليد، وشرحه شرحًا علميًّا سديدًا، بأسلوب علميٍّ مائز، جاعلاً اللفظ والمعنى ركيزه بحثه الأولى، ويبقى هذا البحث محاولة لا تخلو من النّقائص، وحسبنا فيها الأخذ بالتّصويبات والتّقويمات الجليّة، والله من وراء القصد.



الملاحق

21:35 4G

rattibha.com/thread/138951230758

سعد عبد العزيز مصلوح
@saadmaslouh

6 تغريدة، 4 مايو 2021

اقرأها في تويتر

مسيء

المفضلة

حفظ بصيغة PDF

الدراسات القرآنية ونحو النص (١)

منذ أن دعوتُ مع الداعين إلى أن نولِّي وجوهنا شطر اللسانيات النصية تجديدا للمنظور البحثي اللساني، نَسَل الدارسون من كل حَدْبٍ إلى هذا المجال، فكانت بحوث وأطاريح يخطئها الحصر في مشارق الجامعات العربية ومغاربها، اتخذت من القرآن موضوعا للتطبيق

الدراسات القرآنية ونحو النص (٢)

ولا ريب أن الكتاب الكريم لم يتنزل ليكون

Sélectionner une l Fourni par Google Traduction

الملحق رقم 01: الدراسات القرآنية ونحو النص (1)

اللساني ، نسل الدارسون من كل حَدْبٍ إلى هذا المجال ، فكانت بحوث وأطاريح يخطئها الحصر في مشارق الجامعات العربية ومغاربها ، اتخذت من القرآن موضوعا للتطبيق

الدراسات القرآنية ونحو النص (٢)
ولا ريب أن الكتاب الكريم لم يتنزل ليكون مصدقا لما بين أيدينا من مقولات بتوفي وفان دايم ودريس لر وغيرهم من أهل العدو القصى . إنه فوق ذلك وأجل من ذلك .

الدراسات القرآنية ونحو النص (٣)
نتيجة تجربة طويلة في القراءة ومناقشة الأطاريح والتحكيم صرت أخشى أن ينتهي بنا الأمر إلى تحكيم هذه النظريات والرؤى البشرية في كتاب الله تعالى ، وهو أمر تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا .

الدراسات القرآنية ونحو النص (٤)
ربما يفضي الاستغراق في هذا التوجه إلى نتيجة



Sélectionner une l

Fourni par Google Traduction



الملحق رقم 02: الدراسات القرآنية ونحو النص (2)



الملحق رقم 03: الدراسات القرآنية ونحو النص (3)



الملحق رقم 04: الدراسات القرآنية ونحو النص (4)



الملحق رقم 05: مدينة لشكرگاه_ هلمند_ أفغانستان (مسقط رأس الخطّابي)



الملحق رقم 06: قلعة بست _ لشكرگاه



الملحق رقم 07: نهر هلمند _ لشكرگاه



الملحق رقم 08: نهر هلمند _ لشكرگاه



أسامة شفيق السيد

★ Favorites · 12 Jun 2020 · 🌐

فصل في مراتب الإعجاز

اعلم -علمني الله وإياك من لدنه علمًا- أن التفطن لإعجاز القرآن لا يقع جملة، وإنما يتحصل شيئًا بعد شيء، فالقرآن منجّم في نزوله، منجّم في سفوره.

واعلم كذلك أن المدرّك من ذلك ليس طبّقًا واحدًا، بل منه ما تدل عليه العبارة، وهو أدناه، ومنه ما يندُّ عن العبارة إلى الإشارة، وهو أوسطه، ومنه ما يخرج عن طوق العبارة والإشارة ليكون ذوقًا محضًا، تجده في نفسك ضرورةً، ولا تستطيع أن تُعدّيّه إلى غيرك، وهذا إعجاز الإعجاز، وهو أعلى المراتب لاتصاله بالحيرة التي هي منتهى العلم بالله، ولأنه يقع في النفس موقع الضروري الذي لا يُردُّ ولا يُستدل عليه، ولعل هذا النوع هو الذي عناه السكاكي بقوله: "شأن الإعجاز عجيب، يُدرّك ولا يمكن وصفه!".



Love



Comment



Share



You, Ahmed Mahmoud and 112 others

10 Shares

Most Relevant ▾



Write a comment...



الملحق رقم 10: مراتب الإعجاز (1)



👍❤️ 451

82 commentaires • 48 partages



J'aime



Commenter



Partager



أسامة شفيق السيد



4 avr. • 🌐

أرشيفيات

لا يقع التفطن لإعجاز القرآن جملةً، وإنما يتحصّل شيئاً بعد شيء، فالقرآن منجّم في نزوله، منجّم في سفوره. وليس المدرك من وجوه الإعجاز طبّقاً واحداً، بل منه ما تدل عليه العبارة، وهو أدناه، ومنه ما يبيّن عن العبارة إلى الإشارة، وهو أوسطه، ومنه ما يخرج عن طوق العبارة والإشارة ليكون ذوقاً محضاً، تجده في نفسك ضرورةً، ولا تستطع أن تُعدّيه إلى غيرك، وهذا يصح أن يسمى "إعجاز الإعجاز"، وهو أعلى المراتب لاتصاله بالحيرة التي هي منتهى العلم بالله، ولأنه يقع في النفس موقع الضروري الذي لا يُردّ ولا يُستدل عليه، ولعل هذا النوع هو الذي عناه السكاكي بقوله: "شأن الإعجاز عجيب، يُدرك ولا يمكن وصفه!"

👍❤️ 404

40 commentaires • 61 partages



J'aime



Commenter



Partager



أسامة شفيق السيد



3 avr. • 🌐

من مقدمة رسالت للماحستين، وعنوانها:



الملحق رقم 11: مراتب الإعجاز (2)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً

القول في بيان إعجاز القرآن

قال أبو سليمان (١) : قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صدورنا عن ربي ، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن ، ومعرفة الأمر في الوقوف على كلفيته . فأمّا أن يكون قد يقبت في النفوس نقية (٢) بكونه معجزاً للخلق ممتنعاً عليهم الإتيان (٣) بمثله على حال فلا موضع لها ، والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر ، من لدن عصر نزوله إلى الزمان الراهن الذي نحن فيه . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه . وقد بقى صلى الله عليه وسلم يطالبهم به مدة عشرين سنة ، مظهرًا لهم النكير، زارياً على أديانهم ، مسفهاً آراءهم وأحلامهم ، حتى نابذوه وناصبوه الحرب فهلكت فيه النفوس ، وأريققت المهج ، وقطعت الأرحام ، وذهبت الأموال .

ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة .

(١) في «ب» : قال أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي رضى الله عنه .
 (٢) في «ب» : نقت . . نقية - ويذكر أنها في الأصل لقيت لقية ، أثبتناه أكثر القراءات تمثيلاً مع النص ، وربما كانت الكلمة في الأصل تصحيفاً لألقت إلقاء .
 (٣) في «ب» : ممتنعاً بالإتيان بمثله .

الملحق رقم 12: وجوه الإعجاز عند الخطابي/ الوجه الأول: عجز العرب عن مجازاة

القرآن الكريم

ولم يركبوا تلك الفواقير المبيرة ، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل ، وهذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذولب . وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام ، ووفارة العقول والألباب . وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون . وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بالجدل واللدد فقال سبحانه : ﴿... ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾^(١) وقال سبحانه : ﴿ وتُنذِرَ بِهِ قوماً لُدّاً ﴾^(٢) . فكيف كان يجوز - على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة - أن يغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه ، وأن يضربوا عنه صفحاً ، ولا يحوزوا الفلح والظفر فيه لولا عدم القدرة عليه والعجز المانع منه . ومعلوم أن رجلاً عاقلاً لو عطش عطشاً شديداً خاف منه الهلاك على نفسه وبعضرتة ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشاً [لحكمنا^(٣)] أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه . وهذا بين واضح لا يشكك على عاقل .

قلت : وهذا - من وجوه ما قيل فيه - أبينها دلالة وأيسرها مؤونة . وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه .
 وذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة^(٤) ، أي صرف الهمم عن المعارضة ، وإن كانت مقدوراً عليها ، وغير معجزة عنها ؛ إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات صار كسائر المعجزات . فقالوا : ولو كان الله عز وجل بعث نبياً في زمان النبوات ، وجعل معجزته في تحريك

(١) سنجرى في خلال هذا الكتاب على ذكر اسم السورة متبوعاً برقمها ثم رقم الآية (الزخرف ٥٨/٤٣) . وقام الآية: (وقالوا آآآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون) .
 (٢) [مريم ٩٧ / ١٩] .
 (٣) أضفنا هنا كلمة (لحكمنا) ليتم الكلام .
 (٤) في «ب» : وذهب قوم إلى الإعجاز فيه الصرفة .

الملحق رقم 13: وجوه الإعجاز عند الخطابي/ الوجه الأول: عجز العرب عن مجارة

القرآن الكريم

يده أو مدرجته في وقت قعوده بين ظهراني قومه ، ثم قبيل له : « ما آيتك ؟ » فقال آتيت أن أحرك يدي أو أمد رجلي ، ولا يمكن أحداً منكم أن يفعل مثل فعلتي ، والقوم أصحاء الأبدان لا آفة بشيء من جوارحهم ، فحرك يده أو مدرجته ، فرأوا أن يفعلوا مثل فعله فلم يقدرُوا عليه ، كان ذلك آية دالة على صدقه . وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي ولا إلى فخامة منظره ، وإنما تعتبر صحتها بأن تكون أمراً خارجاً عن مجاري العادات ناقضاً لها ، فمهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاء بها ، وهذا أيضاً وجه قريب ، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه وهي قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) ، فأشار في ذلك إلى أمر طريقه التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد . والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة ، فدل على أن المراد غيرها ، والله أعلم .

وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه : ﴿ الَمْ . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ (٢) ، وكقوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمِ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدٍ ﴾ (٣) ، ونحوهما من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها . قلت : ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه ، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن ، وقد جعل سبحانه في صفة كل

(١) [الإسراء / ٨٨ / ١٧] .

(٢) [الروم / ٣٠ - ١ / ٣] . وفي « ب » إلى قوله تعالى « الأرض » الآية .

(٣) [الفتح / ٤٨ / ١٦] .

الملحق رقم 14: الوجه الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم

سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها ، فقال : ﴿ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) من غير تعيين (٢) ، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه . وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة (٣) ، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر ، وفي كیفيتها يعرض لهم الإشكال ، ويصعب عليهم منه الانفصال ، ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به ، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن ، الفائقة في وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتميز به عن وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده ، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك ، ويتميز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه .

قالوا : وقد يخفى سببه عند البحث ويظهر أثره في النفس حتى لا ياتبس على ذوى العلم والمعرفة به . قالوا : وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه ، والكلامان معاً فصيحان ، ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة .

قلت : وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ، ولا يشفي من داء الجهل به ،

(١) [البقرة - ٢٣/٢] .

(٢) في « ب » : عبارة « من غير تعيين » ناقصة .

(٣) نخص السيوطي هذا الرأي في كتاب الإتقان ط حجازي سنة ١٣٦٠ هـ / ٢٠٤٠ م .

الملحق رقم 15: الوجه الثالث: الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم

وأخطأ في العنى كما أبطل في الدعوى .

وتلك سبيل مقالات المتكلفين وعاقبة دعاوى المبطلين .

قلت^(١) في إعجاز القرآن وجهاً^(٢) آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، إذا قرع السمع لخص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ؛ فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن ، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول ، وأن يركنوا إلى مسالته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيماناً .

خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمد لقتله ، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ سورة طه ، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن . وبعث الملائكة من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوافقوه^(٣) على أمور أرسلوه بها ، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من حم السجدة ، فلما أقبل عتبة وأبصره الملائكة من قريش

(١) يلخص السيوطي في الإتيان ٢ ص ٢٠٥ رأى الخطابي هنا في هذا الوجه من الإعجاز ويلخصه كذلك صاحب مفتاح السعادة ط حيدر آباد ٢ / ٣٦١ .

(٢) أثبتتها (١) وجه .

(٣) أثبتتها (١) « ليوافقوه » وليس هذا مراداً هنا .

الملحق رقم 16: الوجه الرابع: صنيع القرآن الكريم بالقلوب وتأثيره في النفوس (إعجاز

الإعجاز)

بجميع أسماء اللغة العربية [وبألفاظها ^(١)] التي هي ظروف المعاني والحوامل لها ، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ . ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض ، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن ^(٢) من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله ، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط. لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ. أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلوفاً وتشاكلاً من نظمه . وأما المعاني فلا خفاء على ذى عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها . والترقى إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها .

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً .

فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ. في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني ، من توحيد له عزت قدرته ، وتنزيه له في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان بمنهاج عبادته ؛ من تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ ^(٣) وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها ، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يرى ^(٤) في صورة العقل أمر أليق ^(٥)

(١) في الأصل أوضاعها ويبدو أنها تصحيف لكلمة ألفاظها التي أثبتناها والتي تتفق مع السياق .

(٢) في « ب » الأخص .

(٣) في الأصل واو قبل كلمة (وعظ) ويظهر أن هذا حمل ناشر « ا » أن يقرأ العبارة :

ومن وعظ . ونحن نرجح القراءة المثبتة لتمشيتها مع السياق .

(٤) في « ب » : ولا يتوهم . (٥) في « ب » : أليق به منه .

الملحق رقم 17: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز التشريعي

(1)

قلت : فإذا عرفت هذه الأصول تبينت أن القوم إنما كاعوا^(١) . وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يعودهم ويتصعدهم منه ، وقد كانوا بطباعهم يتبينون مواضع تلك الأمور ويعرفون ما يلزمهم من شروطها ومن العهدة فيها ، ويعلمون أنهم لا يبلغون شأوها ، فتركوا المعارضة لعجزهم ، وأقبلوا على المحاربة لجهلهم ، فكان حظهم مما فروا إليه حظهم مما فزعوا منه ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ والحمد لله رب العالمين .

فإن قيل : إنا إذا تلونا القرآن وتأملناه وجدنا معظم كلامه مبنياً ومؤلفاً من ألفاظ مبتدلة^(٢) في مخاطبات العرب مستعملة في محاوراتهم ، وحظ الغريب المشكل منه بالإضافة إلى الكثير من واضحه قليل ، وعدد الفقر والغرر من ألفاظه بالقياس إلى مبادئه ومراسيله عدد يسير ، فكيف يتوهم عليهم العجز عن معارضته والإتيان بمثله ، وهم عرب فصحاء مقتدرون على التصرف في أودية الكلام ، عارفون بنظومه . قصيده ورجزه وسجعه ، وسائر فنونه ، فلو كانوا أرادوه وقنعوا عن شفاء الأنفس به لسهل ذلك عليهم ، وإنما عاقهم عن ذلك رأى آخر كان أقوى في نفوسهم وأجدى عليهم في مبلغ آرائهم وعقولهم ، وهو مناجزتهم إياه الحرب ومعاجلته بالإهلاك استراحة إلى الخلاص منه . وكراهة لمطاولته على القول ومعارضته بالكلام الذي يقتضى الجواب ، فيتمادى بهم الزمان للنظر فيه والانتقاد له ، فتكثرت الدعاوى ، ويخفى موضع الفضل بين الكلامين ، فمالوا إلى هذا الرأي قصداً إلى اجتياحه واستئصاله ، إذ كانوا فيما يرونه مستظهرين عليه مستعلين بالقدره فوقه .

قيل : إنا قدمنا من بيان أوصاف بلاغة القرآن وذكرنا من شرائطها ما أسقطنا به عن أنفسنا هذا السؤال . وزعمنا أنها أمور لا تجتمع لأحد من

(١) كاع عن الشيء هابه وجبن عنه .

(٢) في الأصل مبتدلة وصحها « ا » مبتدلة .

الملحق رقم 18: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز النفسي(2)

وصفناه صحيح لا ينكره إلا جاهل أو معاند ، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأولوه ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ ﴾ فإن الافتراض معناه في فعل السبع القتل فحسب ، وأصل الفرس دق العنق ، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه ، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكره ، فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطى تمام هذا المعنى ، فلم يصلح على هذا أن يُعبّر عنه إلا بالأكل ؛ على أن لفظ الأكل شائع^(١) الاستعمال في الذئب وغيره من السباع . وحكى ابن السكيت في ألفاظ العرب قولهم : « أكل الذئب الشاة فما ترك منها تامورا^(٢) » ، وقال بعض شعرائهم^(٣) :

فَتَى لَيْسَ لَابْنِ الْعَمِّ كَالذَّنْبِ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهَوَّ آكِلُهُ
وقال آخر^(٤) :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ
وفي حديث عتبة بن أبي لهب أنه لما دعا عليه السلام فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ، فخرج في تجر إلى الشام ، فنزل في بعض المنازل ،

(١) في « ب » سائغ .

(٢) التامور : الوعاء والنفس وحياتها ، والقلب وحبته وحياته ودمه ، أو الدم . . . إلخ .

(٣) ينسب البيت للفرزدق ، وفي بعض المراجع لزينب بنت الطيرة . راجع : اللسان ١٣ / ٢٠٤ التنبيه ٣٦ ، الأغاني ٧ / ١٢٣ ، حماسه البحري ٣٩٦ ، ويروى للفرزدق بيت قريب في نفس المعنى (راجع الحيوان ٦ / ٢٩٨ ، المعاني الكبير ١ / ٢٨٥ . ويقول الجاحظ : (الحيوان ط ، هارون ٧ / ٦٣) : « الذئب لا يطعم فيه صاحبه فإذا دمي وثب عليه صاحبه فأكله » .

(٤) والبيت للعباس بن مرداس ، وأبو خراشة هو خفاف بن ندبة ، ورواية الحيوان : (أما كنت ط هارون ٥ / ٢٤ ، وراجع شرح المفصل ط لبيزج ٢ / ١١٨٤ والشعر والشعراء ط شاكر ١ / ٣٠٠ .

الملحق رقم 19: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز النفسي(2)

الخطبة بها فقال : ﴿ يوم يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوثِ وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفوشِ . . . ﴾ إلى آخر السورة . وأنتِ علقتِ هذا القول على دابة يدركها البصر في مدى^(١) اللحظة ويحيط بمعانيها العلم في اليسير من مدة الفكر ، ثم اقتصرت من عظيم ما فيه^(٢) من العجب على ذكر المشفر والذنب . فما أشبه قولك هذا إلا بما أنشدنيه بعض شيوخنا لبعض نظرائك :

وإني وإني ثم إني وإني إذا انقطعت نعلي جعلت لها شسعا
أى صغير ما أتيت به في عجز كلامك^(٣) من عظيم ما أصميت به في صدره
ويسير ما رضيت به في آخره من كثير ما أمميت في أوله ، وإذ قد ذلك^(٤)
فيألة رأيك وسوء اختيارك على معارضة القرآن العظيم بذكر الفيل وأوصافه ،
فهلا أتيت منها بما هو أشرف قيلاً^(٥) وأشنى وأجمع لخواص نعوتها وأوفى فتذكر
ما أعطيت هذه البهيمة العجماء من الذهن والفتنة التي بها تفهم عن سائسها
ما يوميء به إليها من تدبيره ، وهلا تعجبت وعجبت من ذلك من حسن
مواتها وطاعتها له إذا أغراها ، وقرب ارتداعها إذا زجرها ونهاها . وهلا فرنت
إلى ذكر مشفرها ذكر نابيها اللذين هما تصول ، وبسنانها تطعن وتجرح .!!^(٦)
وكيف أغفلت أمر أذنيها العريضتين اللتين تلحفهما وجهها وتذب بتحريكهما
البق والذباب عن^(٧) صمماخيها وعينيها ، وهما تروح على نواحي رأسها ،

(١) في (١) سر .

(٢) هكذا في الأصل ، وقد نقلها (١) فيها ، ولعله قصد بذلك عود الضمير على دابة .
ويمكن على الأصل أن يعود الضمير على الفيل وهو محور الكلام .

(٣) في الأصل « كلامه » والسياق يتطلب ما أثبتناه .

(٤) في الأصل ذلك - وقرأها (١) كما أثبتناه ، والسياق يقتضى لفظاً بمعنى حملك .

(٥) في الأصل قليلاً ، وقرأها (١) غليلاً .

(٦) سقطت هذه الكلمة في (١) .

(٧) هكذا في الأصل وقد قرأها (١) على ، والأصل أصح .

الملحق رقم 20: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز العلمي(1)

وكيف لم تفتن لموضع التدبير من قصر رقبتها واندماج عنقها ، فإنها لو طالت لم تُقَلْ رأسها ، ولأوهنها ثقل حمله . فإذا قد منعت امتداد العنق فقد عوضت به انسدال المشفر ، لتناول^(١) به من وجه الأرض حاجتها من القوت والعلف ، وتدلُّو به شربها من الماء ، وتملاً كالسقاء فتنضح به أعضائها إذا شاءت ، ثم قد منعت البروك بأن لم تجعل لها مفاصل لم تقدر على النهوض ، إذ ليس لها عنق تتناول بها^(٢) كالبعير الذي يهنح بعنقه وينبعث ويثور ، فيما يشبه هذه الأمور من نعوت خلقها وعجائب تركيبها . ويقال له أرايت لو عارضك في قولك سفية مثلك بالبعوض الذي هو خصم فيملك وجنفة^(٣) في مضادة الطباع ، وقد حكاها في مناظر الخلقة من شخوص الفودين وانخراط الخدين . وانسدال المشفر والوصول به . فقال : « البعوض وما البعوض وما أدراك ما البعوض ، له مشفر عضوض ، في الدماء يخوض ، فهو للقييل عروض ! » هل يكون سبيله فيما تعاطاه من السخف إلا سبيلك فيما أتيت من الجهل ؟ . فإن قيل إن البعوض ليس بعروض الفييل لبعدهما بينهما من التفاوت في الحجم والجملة وما بينهما^(٤) من الضعف والقوة قيل : مدار الحكم في باب التشبيه والتمثيل على المعاني دون الأعيان والأجسام ، والبعوض حيوان من أوجه كالفييل ، يكسب القوت ويتوقى المهالك ، ولذلك صار يتوارى نهاراً ويبرز ليلاً ، وقد أشبه خلقه الفييل برأسه وبخرطومه ، وبسائر ما ذكرناه من أمره ، ثم قد زاد عليه بجناحين ، فصار موضع نقص الجسم والجملة مجبوراً بهما ، فهما متساويان في المعاني التي تجمعهما غير مفترقين فيهما .

(١) في (١) تناول .

(٢) في « ب » (فتنوه) زيادة بعد بها .

(٣) غير واضحة في الأصل .

(٤) في (ت) وتباينها .

الملحق رقم 21: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز العلمي(2)

وأما قول الآخر وما جاء به من نعت للجبلي ، فإن أول ما غلط به هذا الجاهل أنه وضع كلمة الانتقام في موضع كلمة الإنعام حين قال : « ألم تر إلى (١) ربك كيف فعل بالجبلي » ، وإنما تستعمل هذه اللفظة في العقوبات ونحوها كقوله : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ ، وكقوله سبحانه : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم ﴾ وكقوله : ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ وكقول القائل : فعل الله بفلان وفعل ، إذا دعا عليه ، وإنما وجه الكلام مما رامه من المعنى أن يقول : ألم تر إلى ربك كيف لطف بالجبلي ، وكيف أنعم عليها أو نحواً من هذا الكلام الذي يجري مجرى الامتنان والإنعام . وأما قوله : أخرج منها نسمة تسعى من بين شراسيف وحشى ، فإنما تعاطى استراقاً من قول الله تعالى : ﴿ خلق (٢) من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ ، وهذا في أول تارات الخلق التي ذكرها الله سبحانه عز وجل ؛ ثم ذكر في آية أخرى عدد انتقالاته في الرحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى لحم ، وإنشاء (٣) خلق بعد ذلك آخر ، وهو اجتماع الصورة ونفخ الروح فيها ، فدل بها على عظيم قدرته ولطيف حكمته وسعة رحمته ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وإنما تتصرف به هذه الأحوال بعد الانتقال إلى الرحم ، وبين الرحم والشراسيف مسافة وحجب . قال أصحاب التشريح : الرحم موضوعة بين المثانة والمعى المستقيم ، فلم يدر هذا البائس ما يقول حين جعل الولد بعد الحبل خارجاً من بين الشراسيف والحشى تمثلاً بقوله جل وعز : ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ فغلط في الوصف .

(١) هذه قراءة الأصل وقد جعلها (١) : ألم تر كيف فعل ربك .

(٢) في الأصل : « خلق الإنسان » وهو خطأ في المخطوط وصحة الآية ما أثبتناه .

(٣) على قراءة الأصل ، وحرفها (١) إلى : وأنشئ خلقاً .

الملحق رقم 22: بذور وجوه جديدة للإعجاز القرآني في رسالة البيان/الإعجاز العلمي(3)

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأشكال

ثالثاً: فهرس الملاحق

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

موضع ذكرها	الآية	رقم الآية	السورة	الرقم
55	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	البقرة	1
159	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	286	البقرة	2
160	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ	185	البقرة	3

	<p>سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧٥﴾</p>			
165	<p>﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾</p>	177	البقرة	4
168	<p>﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ</p>	286	البقرة	5

	لَنَا بِهِ ^ط وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾			
170	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾	143	البقرة	6
172	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	23	البقرة	7
182	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ^ط وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦١﴾ ﴾	26	البقرة	8

193	<p>﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٤٨)</p>	48	البقرة	9
193	<p>﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٤٩)</p>	123	البقرة	10
193	<p>﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ^ط لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّرُ وَوَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِيهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ^ط وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٥٠)</p>	233	البقرة	11

194	<p>﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾</p>	286	البقرة	12
39	<p>﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾</p>	138	آل عمران	13
87	<p>﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٥﴾ ﴾</p>	174	النساء	14
168	<p>﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾</p>	135	النساء	15
170	<p>﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾</p>	82	النساء	16

183	﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ ﴿١٧٧﴾	147	النساء	17
190	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضَجَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾	56	النساء	18
9	﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُرِيَّتُنِي أَعْمَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾	31	المائدة	19
123	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾	16-15	المائدة	20

128	<p>﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكُنُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٨٣﴾</p>	83	المائدة	21
160	<p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾</p>	6	المائدة	22
160	<p>﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَالْحُمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ</p>	3	المائدة	23

	<p>عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ</p> <p>الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا</p> <p>تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ</p> <p>وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ</p> <p>دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ</p> <p>فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾</p>			
194	<p>﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ</p> <p>قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا</p> <p>قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا</p> <p>النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ</p> <p>كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٣﴾</p>	32	المائدة	24
13	<p>﴿ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٤﴾</p>	134	الأنعام	25
161	<p>﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ</p> <p>يُطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ</p> <p>لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ</p>	145	الأنعام	26

	<p>بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾</p>			
<p>162</p>	<p>﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾</p>	<p>-151 153</p>	<p>الأنعام</p>	<p>27</p>

115	<p>﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾</p>	172	الأعراف	28
115	<p>﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾</p>	44	الأعراف	29
169	<p>﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾</p>	157	الأعراف	30

202	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩﴾ ﴾	199	الأعراف	31
9	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	59	الأنفال	32
127	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	2	الأنفال	33
13	﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلَّمُوا أَنَّكُمْ عَزِيزٌ مُّعْجِزٌ لِلَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ ﴾	2	التوبة	34
13	﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَزِيزٌ مُّعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾	3	التوبة	35

164	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾	103	التوبة	36
13	﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾	53	يونس	37
187	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾	5	يونس	38
10	﴿ قَالَتْ يَتُوبَلَّتِي ۖ أَلَيْدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾	72	هود	39
14	﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٦٠﴾	20	هود	40

14	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	هود	41
117	﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ اللَّيْتُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	يوسف	42
117	﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِصَلْعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبغى هَذِهِ بَصَلْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٥﴾ ﴾	65	يوسف	43
121	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	الرعد	44

195	﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ ﴿١١﴾	11	الرّعد	45
198	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾	29-28	الرّعد	46
183	﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ ﴿٤٥﴾	45	إبراهيم	47
202	﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾	95	الحجر	48
207	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾	76-75	الحجر	49
14	﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾	46	النحل	50
161	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِن مِّن شَرَحٍ	106	النحل	51

	بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾			
165	﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	97	النحل	52
167	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	90	النحل	53
188	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الْثَمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	69-68	النحل	54
162	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا	35-23	الاسراء	55

قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ
 الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا
 صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٣٥﴾ وَعَاتِ ذَا
 الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
 تَبْذِيرًا ﴿٣٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ
 ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ
 أَبْصَارَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
 مَّيْسُورًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
 تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ
 رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ
 بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
 خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ
 خِطَا كَبِيرًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً
 وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ

	<p>سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾</p> <p>وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ</p> <p>يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ</p> <p>مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا</p> <p>بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ</p> <p>تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾</p>			
166	<p>﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا</p> <p>مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾</p>	105	الاسراء	56
171	<p>﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ</p> <p>الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا</p> <p>كَبِيرًا ﴿١﴾</p>	9	الإسراء	57
195	<p>﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا</p> <p>صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٥﴾</p>	25	الإسراء	58
202	<p>﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ</p> <p>بِهِ قَوْمًا لَّدَاكِ ﴿٧٧﴾</p>	97	مريم	59

11	﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾	51	الحج	60
164	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴾	28-27	الحج	61
168	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾	78	الحج	62
119	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾	4	المؤمنون	63

165	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾	-101 103	المؤمنون	64
189	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾	13-12	المؤمنون	65
189	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	المؤمنون	66
14	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾	57	التور	67
188	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ	43	النور	68

	فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ ^ط يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾			
3	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾	1	الفرقان	69
163	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٠﴾	76-63	الفرقان	70

	<p>وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾</p>			
10	<p>﴿ فَتَجَنَّبْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٧٧﴾</p>	-170 171	الشعراء	71
169	<p>﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾</p>	77	القصص	72
14	<p>﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٨﴾</p>	22	العنكبوت	73

127	﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	51	العنكبوت	74
164	﴿ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾	45	العنكبوت	75
176	﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ ﴾	20-19	العنكبوت	76
56	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَاتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾	22	الروم	77
164	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي	19-13	لقمان	78

	<p>عَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةِ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۗ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾</p>			
<p>186</p>	<p>﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ</p>	<p>10</p>	<p>لقمان</p>	<p>79</p>

	<p>دَابَّةً وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾</p>			
12	<p>﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾</p>	5	سبأ	80
12	<p>﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾</p>	38	سبأ	81
112	<p>﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾</p>	13	سبأ	82
10	<p>﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾</p>	44	فاطر	83
119	<p>﴿ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾</p>	37	يس	84

10	﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾	-134 135	الصَّافَات	85
94	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٥﴾ ﴾	65	الصَّافَات	86
118	﴿ وَأَنْطَلَقَ أَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آيَاتِنَا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾	6	ص	87
14	﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾	51	الزَّمر	88
127	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	الزَّمر	89
130	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ	23	الزَّمر	90

	يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٢﴾			
187	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَ ﴿٥﴾	5	الزمر	91
198	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٢﴾	23	الزمر	92
166	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾	42	فصلت	93
176	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾	53	فصلت	94

186	<p>﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾</p> <p>وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ</p> <p>أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾</p>	12-9	فصلت	95
15	<p>﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾</p>	31	الشورى	96
198	<p>﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾</p>	52	الشورى	97

194	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾	71	الزّخرف	98
12	﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾	32	الأحقاف	99
202	﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦١﴾	26	الفتح	100
128	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾	37	ق	101
195	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦١﴾	16	ق	102
10	﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿١١﴾	29	الذّاريات	103

175	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ١٦	21	الذاريات	104
186	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ٤٧	47	الذاريات	105
132	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥	35	الطور	106
55	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴾ ٣٣	23	النجم	107
11	﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ٥	20	القمر	108
39	﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ١	4	الرحمن	109
175	﴿ يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ ٣٣	33	الرحمن	110
188	﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١١ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ١٢ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ١٣	22-19	الرحمن	111

187	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾	76-75	الواقعة	112
127	﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾	21	الحشر	113
130	﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾	21	الحشر	114
194	﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾	7	الطلاق	115
194	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾ ﴾	6	التحریم	116

11	﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِّيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا ۗ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾	7	الحاقة	117
118	﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةٌ ﴿٣١﴾ ﴾	29	الحاقة	118
9	﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾	12	الجن	119
2	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴾	18-17	القيامة	120
189	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾	4-3	القيامة	121
187	﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿١﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾	7-6	النبأ	121
187	﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣١﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣٢﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٣﴾ مَتَلَعَا لَكُم وَ لِأَنعِمِكُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾	33-30	النازعات	122
183	﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالْتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾	7-6	الطارق	123

189	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾	7-5	الطارق	124
176	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾ فَذَكِّرْ ﴿١١﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١٢﴾ ﴾	22-17	الغاشية	125
120	﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ ﴾	1	البلد	126
120	﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	4-1	التين	127
175	﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾	5-1	العلق	128
119	﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾	8	العاديات	129
183	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ ﴾	1	الفيل	130

133	<p>﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾</p>	4-1	الإخلاص	131
-----	--	-----	---------	-----

ثانيا: فهرس الأشكال

الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
65	مقومات الكلام	1-2
69	علاقة اللفظ والمعنى	2-2
71	العلاقة بين مقومات الكلام	3-2
73	وظائف المقومات الكلامية	4-2
79	أجناس الكلام	5-2
82-81	أقسام الكلام المحمود الفاضل	6-2
83	علل خصائص الأقسام الكلامية المحمودة الفاضلة	7-2
105	عمود البلاغة القرآنية	1-3
108	أهم خصائص مواضع الألفاظ	2-3
154	أوجه الإعجاز في بيان إعجاز القرآن	1-4

ثالثاً: فهرس الملاحق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
1	الدراسات القرآنية ونحو النص (1)	215
2	الدراسات القرآنية ونحو النص (2)	216
3	الدراسات القرآنية ونحو النص (3)	217
4	الدراسات القرآنية ونحو النص (4)	218
5	مدينة لشكرگاه _ هلمند _ أفغانستان (مسقط رأس الخطابي)	219
6	قلعة بست _ لشكرگاه	220
7	نهر هلمند _ لشكرگاه	221
8	نهر هلمند _ لشكرگاه	222
9	الصفحة الأولى من رسالة بيان إعجاز القرآن مخطوطة	223
10	مراتب الإعجاز (1)	224
11	مراتب الإعجاز (2)	225
12	وجوه الإعجاز عند الخطابي/الوجه الأول: عجز العرب عن مجاراة القرآن الكريم 1	226
13	الوجه الأول: عجز العرب عن مجاراة القرآن الكريم 2	227
14	الوجه الثاني: الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم	228
15	الوجه الثالث: الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم	229

230	الوجه الرابع: إعجاز الإعجاز	16
231	بذور الإعجاز التشريعي	17
232	بذور الإعجاز النفسي 1	18
233	بذور الإعجاز النفسي 2	19
234	بذور الإعجاز العلمي 1	20
235	بذور الإعجاز العلمي 2	21
236	بذور الإعجاز العلمي 3	22

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

1 القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المصادر والمراجع

- 1 - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، سحب 2016.
- 2 - الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مركز الدراسات القرآنية المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، دس.
- 3 - إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، تحقيق وتعليق وتقديم: عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1949م.
- 4 - الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأنصاري، تح: عبد السلام هارون، مكتبة المثقّى، بغداد، دط، س 1979.
- 5 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي بجدّة.
- 6 - الإعجاز البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف مصر، س 1971، دط.

- 7 - الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، س1433هـ.
- 8 - إعجاز القرآن بحث في وجوه إعجاز القرآن الكريم عند علماء المسلمين وبيان القول الفصل فيه، علاء السالم، معهد الدراسات العليا الدينية واللغوية، كتب بالعراق، في 07 / 04 / 2021م.
- 9 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط9، س1973.
- 10 - إعجاز القرآن، فضل حسن عباس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط2، س1997م.
- 11 - الإعجاز التفسيري في القرآن الكريم، مصطفى رجب، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط2، س2013.
- 12 - الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، دط، س2007.
- 13 - الإنجيل المقدس، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، بيروت، إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول/1.
- 14 - الأنساب، أبو سعد عبد الكريم السمعاني، تح: عبد الرحمن بن المعلمي اليماني وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، ط1، س1977م.

- 15-الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة لبنان، ط1، س 2003.
- 16-بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النورسي، أحمد شكري، شركة سوزلر، ط1، س 2005م.
- 17-البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط1، س1408هـ.
- 18-البديع، عبد الله بن المعتز، تح: محمد عبد المنعم الحفاجي، طبع الحلبي، القاهرة، دط، س 1954م.
- 19-البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، س 1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- 20-بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، دار الأمان، الرباط، ط1، س 2013.
- 21-البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط9، س 1995م.
- 22-البلاغة والأسلوبية، هنريش بليث، تر: محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، لبنان، دط، س 1999م.
- 23-البلاغة، أبو العباس المبرد، تح: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، س 1985م.

- 24- بيان إعجاز القرآن، تأليف العلامة أبي سليمان حمد بن محمد الخطّابي، تح: يوسف بن عبد الله العُلَيوي، دار التّوحيد للنّشر، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، س 2018.
- 25- البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار النّفائس للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، س 2017.
- 26- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص78، وينظر: النّظريّات اللّسانيّة والبلاغيّة والأدبيّة عند الجاحظ من خلال البيان والتّبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، س1983م.
- 27- البيان والتّبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، س 1998م.
- 28- تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مادّة قرأ، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1979م.
- 29- تاريخ الدّولة العبّاسيّة، سامي المغلوث، مكتبة العبيكان، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص 76-102.
- 30- تاريخ الدّولة العبّاسيّة، محمد سهيل طقوش، دار النّفائس بيروت، لبنان 2009م.
- 31- تحصيل عين الدّهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلام الشنتمري، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرّسالة، ط2، س1994م.

- 32- التّراث اللّغوي العربي، بوهاس، جيوم، كولوغلي، تر: محمّد حسن عبد العزيز، وكمال شاهين، دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، ط2، س 2012م.
- 33- التّعريفات، الشّريف الجرجاني، مكتبة لبنان، لبنان، 1985م.
- 34- تفسير ابن باديس أو مجالس التّدكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، س 1995.
- 35- تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، محمّد رشيد رضا، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، س 1990.
- 36- التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا، دار محمد الأمين دمشق، س 2010.
- 37- التّقييد لمعرفة الرواة والسّنن والمسانيد، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة، دائرة المعارف العثمانية، ط1، س 1983، ج1.
- 38- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، مطبعة محمّد علي صبيح، القاهرة، سنة 1959.
- 39- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني، محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، س 1976.

- 40- جاسم محمد العبود، مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، لبنان، (2007م).
- 41- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، دط، دس.
- 42- جمهورية أفلاطون، أفلاطون، تر: حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط2، س 1980.
- 43- جوامع الشعر، الفارابي، تح: سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، س 1971.
- 44- الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، س 2008.
- 45- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، تر: محمد عبد الهادي أبو ريذة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1941م.
- 46- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، لبنان، دط، دس.
- 47- الخطابة، أرسطو، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، س 1979.
- 48- دائرة معارف القرن العشرين، وجدي محمد فريد، دار الفكر، بيروت.
- 49- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان، ط13، س 1997.

50- دراسات لغويّة في أمّهات كتب اللّغة، إبراهيم محمّد أبو سكّين، وقفية الأمير غازي للفكر

القرآني، نشر في 2019.

51- دراسات لغويّة في أمّهات كتب اللّغة، إبراهيم محمّد أبو سكّين، وقفية الأمير غازي للفكر

القرآني، نشر في 2019.

52- دفاع عن البلاغة، أحمد الزيّات، مطبعة الرّسالة، القاهرة، دط، س 1945.

53- الدّلالة النّفسيّة للألفاظ في الخطاب القرآني منهج في إعجاز التّنمية، محمد جعفر العارضي،

دار دجلة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، ط1، س 2016.

54- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني

بمصر، ط3، 1992.

55- رحلة الخلافة العبّاسيّة، العبّاسيون الضّعفاء، محمد الهامي ومحمد شعبان أيوب، مؤسّسة

اقرأ للنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، مج2، ط2013.

56- الرّماني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، دط،

دس.

57- الرّبيدي، تاج العروس، تح: عبد المجيد قطوش، مؤسّسة الكويت، الكويت، ط1،

2002.

- 58- سحر البلاغة وسرّ البراعة، أبو منصور عبد الملك التّعالبي النّيسابوري، تح: عبد السّلام الحوفي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، دط، دس.
- 59- سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح: الصعيدي، مطبعة صبيح، القاهرة، مصر، س 1372هـ.
- 60 - السّماء في القرآن، زغلول النّجّار، دار المعرفة بيروت، ط3، س 2005م.
- 61- سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، (1425هـ 2004م)، مصر.
- 62- سير أعلام النّبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الدّهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وبشار معروف وآخرون، مؤسسة الرّسالة، دط، س 1982، الطّبقة الثّانية والعشرون.
- 63- شذرات الدّهب في أخبار من ذهب، ابن عماد، تح: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، ط1، س 1986م.
- 64- شرح التّصريح على التّوضيح، الشيخ خالد الأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2000م.
- 65- شرح المقاصد، التفتازاني، عالم الكتب، لبنان، س 1989م، ج3.
- 66- شرح رسالة بيان إعجاز القرآن للإمام الخطّابي، عمر محمّد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، بيروت.
- 67- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دط.

- 68- الشّفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلاً بالحاشية المسمّاة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشّفاء، أبو الفضل القاضي عياض اليحصبي، الحاشية لأحمد بن محمد الشمي، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع بيروت، س1988م، دط.
- 69- الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت395هـ)، تح: أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دط، دس.
- 70- الظّاهرة القرآنيّة، مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط4، س2000م.
- 71- عبد المجيد الزروقي، أحكام الغلط دراسة في المنهجية التّشريعية، دار الكتب العلميّة، لبنان، دس.
- 72- العصر العبّاسي الأوّل، عبد العزيز الدور، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، س1997م.
- 73- العلاقة بين اللفظ والمعنى من السقراط حتى علم الهرمينوطيقا، كاظم عظيمي، ديوان العرب، 12 أبريل 2010.
- 74- علم البيان دراسة تاريخيّة فنية في أصول البلاغة العربيّة، بدوي طبانة، دار الثّقافة، بيروت، دط، س1981.
- 75- العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، دار الكتب العلميّة، لبنان، 2001.

- 76- عيار الشّعر، ابن طباطبا العلوي، تح: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، دط، دس.
- 77- غريب الحديث، الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، س 1982.
- 78- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان، ط2، 1980م.
- 79- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي.
- 80- فنّ الشّعر، أرسطو، ترجمة: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دس.
- 81- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق مصر، ط 22، س 1992م.
- 82- القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تح: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرّسالة، ط8، ص 2005.
- 83- كبرى اليقينيّات الكونيّة وجود الخالق ووظيفة المخلوق، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر بيروت، ط31، س 2010م.
- 84- كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتهبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد القاسم بن سلام النّحويّ الهروي البغدادي، دار الرّائد العربي بيروت، لبنان، 1983م.
- 85- كتاب الرّوح، ابن قيّم الجوزيّة، تح: محمد قطب، ووليد الذكري، المكتبة العصريّة، ط1، س 2003.

86- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط2، س1989م.

87- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2009.

88- الكلمات، النورسي بديع الزمان سعيد، تح: إحسان قاسم الصّالحي، شركة سوزلر للنشر، مصر، ط3، 2002.

89- الكلّيّات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1993.

90- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين بن منظور، دار صادر لبنان، دط، دت، ج1،

91- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ط35، س1998م.

92- متن السنوسيّة، أبو عبد الله السنوسي، دار الإحياء الكتب العربيّة، مصر، حاشية البيجوري، الهامش تقرير شمس الدين الأنباري.

93 - المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، دط، دس ج6.

- 94- المحرّر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنيّة، جدّة الرياض، ط2، س2008.
- 95- محمد بن عبد الرّحمن بن صالح الشايح، (1414هـ 1993م)، الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.
- 96- محمد سعيد رمضان البوطي، (1970م)، روائع القرآن، دار الفارابي، دمشق، سوريا.
- 97- المدخل إلى النّحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عمّار ساسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، س2007.
- 98- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، ط1، س1998م.
- 99- المستصفي في علم أصول الفقه، الغزالي، المكتبة العصريّة، دط، دس.
- 100 - مصطفى صادق الرّافعي، (1973م)، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- 101 - مع الله في أعماق النّفس البشريّة، ضياء الدّين الجّمّاس، مركز نور الشّام للكتاب، دمشق، ط1، س1993.
- 102 - معجزة القرآن، محمّد متولّي الشّعراوي، مكتبة دار التّراث الإسلامي، القاهرة، ط1، س1988م.

- 103 - المعجزة القرآنية، متولي الشعراوي، دار الكتب والمكتبات.
- 104 - معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، س 1993.
- 105 - معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، دط، س 1993م.
- 106 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، س 1979.
- 107 - معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2001م، محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان.
- 108 - المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، دار الكتب المصرية، دط، س 1960.
- 109 - مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر السكاكي، المطبعة الميمنية، مصر، دط، س 1318هـ.
- 110 - مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس القزويني، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة 1979م.
- 111 - من الإعجاز اللغوي في القرآن دراسة لغوية أسلوبية في مناسبة اللفظ لسياق الحال، مصطفى شعبان المصري، المكتب الجامعي الحديث، ط1، س 2012.

- 112 - من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، زغلول النّجّار، مكتبة الشّرق الدّوليّة، س2002م.
- 113 - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزّرقاني، تح: فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي لبنان، ط1.
- 114 - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط3، دس.
- 115 - المنطق وأصول الفقه، أحمد ولد محمّد محمود، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان.
- 116 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنيّ، تح: محمّد الحبيب بن خوجة.
- 117 - نسيح النّصّ، الأزهر الزّناد، المركز الثّقافي العربي، بيروت، س1993.
- 118 - نظرات في القرآن، محمد الغزالي، شركة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع، ط6، س2005.
- 119 - نقد الشّعْر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجرائب، 1303هـ.
- 120 - النّكت في تفسير كتاب سيّويه، الأعلم الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي ت476هـ)، تح: رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف، المملكة المغربية، 1999م.

- 121 - الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى،
دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، س 2000م.
- 122 - الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، دس.
- 123 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري،
تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1983م.

المقالات:

- 1 - إشكاليّة اللفظ والمعنى عند اللّغويين العرب القدامى، مجلّة بحوث، جامعة الجزائر، العدد
12، الجزء الأوّل، س 2018.
- 2 - الإعجاز التّأثيري للقرآن الكريم _دراسة تاريخيّة وتطبيقية من القرآن والسّنّة النبويّة_، محمد
عطا أحمد يوسف، مجلّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة العدد 36، السّنة الثالثة عشرة،
ديسمبر 1998م.
- 3 - الإعجاز التّأثيري للقرآن الكريم، عبد الكريم علي عبده الفهدي، الجمهورية اليمنية.
- 4 - الإعجاز التّشريعي في القرآن الكريم، سيف بن منصر بن علي الحارثي، كليّة الشريعة
وأصول الدّين، جامعة نجران.

- 5 - الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم: القيم الإنسانيّة العامّة نموذجاً، مجاهد مصطفى بهجت، وأشرف محمد زيدان، أكاديمية الدّراسات الإسلاميّة ملايا، ماليزيا.
- 6 - إعجاز القرآن عند العلماء المغاربة مالك بن نبي وعبد الحميد بن باديس أنموذجاً، ميلود عمارة، مجلّة الشّهاب، مجلد5، عدد3، 2019م.
- 7 - الإعجاز بين التّحليل والتّلقّي لدى علماء القرنين الرّابع والخامس، عبير عبيد الشّيبيل، قصي علي السعودي،
- 8 - الألفاظ ومعانيها كانت رموزاً لدلالاتها، إبراهيم أنيس، الكويت، مجلّة العربي الكويتية، العدد 100، آذار 1967م.
- 9 - البحث الدّلالي في المعجمات الفقهيّة المتخصّصة، دلدار غفور أمين، دار دجلة، الأردن، (2007).
- 10 - البلاغة القرآنيّة عند الخطّابي، عبد الجليل مصطفى، مجلّة الآداب واللّغات كليّة الآداب واللّغات جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، المجلّد 3، العدد1، س 2003م.
- 11 - تصحيح طريقة معالجة السّلف في بحوث الإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان الطيّار، مجلّة معهد الإمام الشّاطبي للدّراسات القرآنيّة.
- 12 - التّفسير العلمي للقرآن الكريم بين الرّفص والقبول، عادل بن علي بن أحمد الشّدي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.

- 13- تقنيات المحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقارنة لمشروع: السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، شعبان أمقران، مجلة اللسانيات، المجلد 25، العدد 2، س 2019.
- 14- جهود علماء التراث ودقائق الفروق اللغوية في القرآن الكريم (نماذج من القرآن الكريم)، بلقاسم عيسى، مجلة مقامات، المجلد 4، العدد 2، س 2020م.
- 15- جهود مصطفى صادق الرافعي في بيان الإعجاز القرآني، عزوز ياسين قلايلية العربي، مجلة لغة كلام، المجلد 6، العدد 2، 2020.
- 16- الدرس البلاغي والتقدي في المغرب العربي قبل العصر المريني، جيلالي بوزينة محمد/ جلول دواجي عبد القادر، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 05، العدد 18، س 2020م.
- 17- شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، محمد أبو زهرة، مجلة المسلمون، السنة الأولى، العدد 2، سنة 1959.
- 18- شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، محمد أبو زهرة، مجلة المسلمون، السنة الأولى، الأعداد 7/6/5/3/2/1، سنة 1951.
- 19- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد بن السيد راضي جبريل، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر القاهرة.
- 20- عنوان الكتاب السؤال المتجدد والمستفز، مآب عامر بغداد، الصباح، 06 آب 2019.

21- عنوان الكتاب أوّل برقيّة من الكاتب للقارئ، عبد الحكيم الأنيّس، الخليج، 06 نوفمبر 2019.

22- قضية اللفظ والمعنى في الخطاب النقدي المغاربي حتى منتصف القرن الخامس للهجرة، الشيخ بوقربة، مجلّة الفضاء المغاربي.

23- اللفظ والمعنى في البيان العربي، محمد عابد الجابري، مجلّة فصول، المجلد السادس، العدد 1، س 1985.

24- مبتكرات العلماء في إظهار وجوه إعجاز القرآن، عبد المطلب بوغرارة، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

25- ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، بلقاسم محمّد الغالي، مجلّة جامعة الشارقة للعلوم الشرعيّة والإنسانيّة، المجلد 4، العدد 1، فبراير 2007م.

26- نبيل قصاب باشي، (2010م)، نظريّة النّظم عند الخطّابي في معايير النّقد الحديث والنّقد الحديثي، مجلّة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، المجلد 15، العدد 1.

27- نشأة الإعجاز التّأثيري للقرآن وتطوّره، محمد محمد السّقا عيد، مجلّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة، العدد 36، 1998.

28- نشأة الإعجاز التأثري للقرآن وتطوره، محمد محمد السقا عيد، مجلة الشريعة والدراسات

الإسلامية، العدد 36، 1998.

29- نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره، عبد الله أحمد الزبوت، المجلة الأردنية في الدراسات

الإسلامية، المجلد الثامن، العدد 3، س2012م.

30- وجوه الإعجاز القرآني عند الإمام الخطّابي من خلال كتابه بيان إعجاز القرآن _دراسة

تحليلية _، عمر ياسين طه الملاح، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، المجلد

السابع، س 1434هـ / 2013م.

المراجع الأجنبية:

- 1- Baltabayeva Alyona, Gabitov Tursun, Maldubek Akmaral, Shamakhay Saira, Spiritual Understanding of Human Rights in Muslim Culture (The Problem of “Ruh” – “Spirit”), Procedia - Social and Behavioral Sciences, Volume217, 2016.
- 2- Harold G. Koenig, Faten Al Zaben, Doaa Ahmed Khalifa, Saad Al Shohaib, Chapter 19 - Measures of Religiosity, Editor(s): Gregory J. Boyle, Donald H. Saklofske, Gerald Matthews, Measures of Personality and Social Psychological Constructs, Academic Press, 2015.
- 3- Ian Bone, Simon Dein, Religion, spirituality, and epilepsy, Epilepsy & Behavior, Volume 122, 2021.
- 4- Jeff Levin, How Faith Heals: A Theoretical Model, EXPLORE, Volume 5, Issue 2, 2009.
- 5- Mohsen Ghafory-Ashtiany, Chapter 21 - View of Abrahamic Religions on Natural Disaster Risk Reduction, Editor(s): John F. Shroder, Andrew E. Collins, Samantha Jones, Bernard Manyena, Janaka Jayawickrama, In Hazards and Disasters Series, Hazards, Risks, and Disasters in Society, Academic Press, 2015.

- 6- Richard J. Terrill, Chapter VII - Islamic Law, Editor(s): Richard J. Terrill, World Criminal Justice Systems (Seventh Edition), Anderson Publishing, Ltd., 2009.
- 7- Samih Mahmoud Al-karasneh, Ali Mohammad Jubran Saleh, Islamic perspective of creativity: A model for teachers of social studies as leaders, Procedia - Social and Behavioral Sciences, Volume 2, Issue 2, 2010.
- 8- The miraculous eloquence of Quran general trajectories and individual approaches. Vasalou Sophia. Journal of Quranic studies. 4.2. 2002.
- 9- The Quran an encyclopedia.London. Routledge.2006, Jurnal Ilmiah ISLAM FUTURA, Vol. 19. No. 1, Agustus 2019.
- 10- Y. Wahyudi, Qur'an, Editor(s): Keith Brown, Encyclopedia of Language & Linguistics (Second Edition), Elsevier, 2006.

خامسا: فهرس الموضوعات

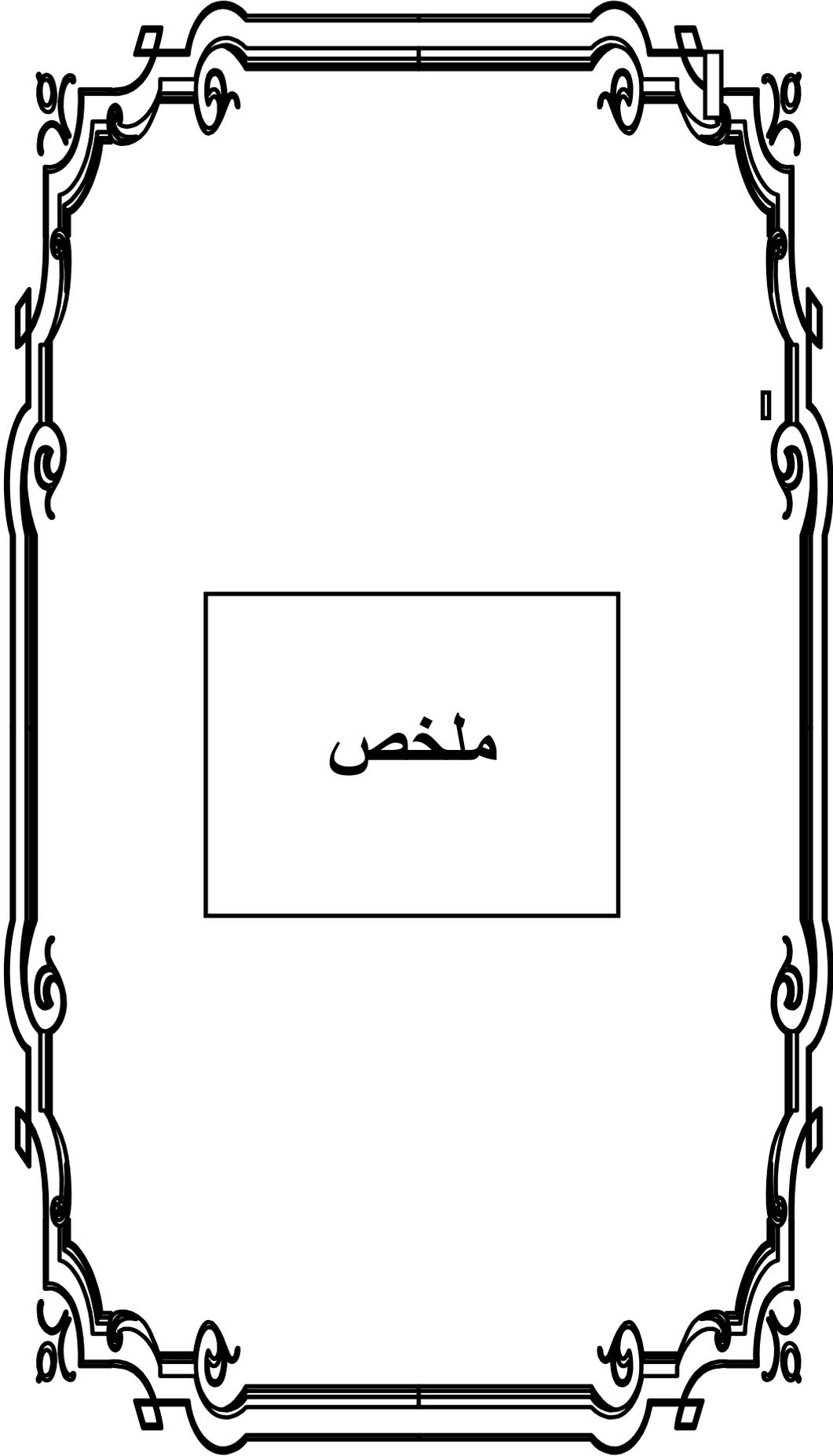
الصفحة	العنوان
	الإهداء
	شكر وتقدير
أ-ط	مقدمة
20-1	المدخل: الإعجاز القرآني... نظرة تأصيلية
45-21	الفصل الأول: الخطابي ورسالته بيان إعجاز القرآن
22	تمهيد
33-26	المبحث الأول: ترجمة الإمام الخطابي
26	اسمه ونسبه
26	مولده ونشأته
27	شيوخه
27	تلاميذه
28	مصنفاته
28	صفاته وثناء العلماء عليه
29	شعره
33	وفاته
41-34	المبحث الثاني: رسالة بيان إعجاز القرآن... وصف أولي
34	تعريف عام بالرسالة
35	الطبعة المعتمدة في الدراسة
37	دلالات عنوانها
38	"بيان"
40	"إعجاز القرآن"

45-42	المبحث الثالث: قراءة في مقدمة بيان إعجاز القرآن
42	موضوع الكتاب
43	أهميته
44	إشكاليته
45	أهدافه
87-46	الفصل الثاني: مقومات الكلام وأجناسه عند الخطابي
47	تمهيد
58-54	المبحث الأول: أصل اللغة
54	هل اللغة توقيف؟
57	أصل اللغة والإعجاز القرآني
73-59	المبحث الثاني: مقومات الكلام
59	ماهية اللفظ والمعنى عند الخطابي
59	1- اللفظ
60	اللفظ ظرف حامل
63	2- المعنى
64	معنى به قائم
65	علاقة اللفظ والمعنى
69	3- النظم
87-74	المبحث الثالث: أجناس الكلام
74	تعريف أجناس الكلام
76	أجناس الكلام في بيان إعجاز القرآن
76	الكلام الفاضل المحمود
77	الكلام المهجين المذموم
79	أقسام الكلام الفاضل المحمود

80	1/الكلام البليغ الرصين الجزل
80	2/الكلام الفصيح القريب السهل
80	3/الكلام الجائز الطلق الرسل
84	الغريب في ألفاظ القرآن الكريم
123-88	الفصل الثالث: عمود الإعجاز القرآني عند الخطابي
89	تمهيد
101-92	المبحث الأول: البلاغة عند الخطابي
92	البلاغة في التراث العربي
97	مصطلح "البلاغة" في بيان إعجاز القرآن
108-101	المبحث الثاني: عمود البلاغة القرآنية
102	دلالات مصطلح "عمود"
106	الموضع الأخص الأشكل
106	شروط مواضع الألفاظ
106	1- الخصوصية
106	2- المشاكلة (الموافقة)
123-109	المبحث الثالث: الأصول الدلالية للإعجاز القرآني
110	معنى "الأصول"
110	الفروق اللغوية
110	الفروق الدلالية
113	الفروق النحوية
115	النظم القرآني
154-124	الفصل الرابع: إعجاز الإعجاز عند الخطابي
125	توطئة
133-126	المبحث الأول: ما هو الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم؟

139-134	المبحث الثاني: إعجاز الإعجاز
135	شرح مصطلح إعجاز الإعجاز
137	الموازنة بين القولين
147-140	المبحث الثالث: اللفظ والمعنى وإعجاز الإعجاز
148	أوجه الإعجاز القرآني في بيان إعجاز القرآن
209-156	الفصل الخامس: آفاق وجوه الإعجاز الخطابية
156	توطئة
175-158	المبحث الأول: الإعجاز التشريعي
158	ما هو الإعجاز التشريعي؟
159	بذور الإعجاز التشريعي في بيان إعجاز القرآن
160	اللفظ والمعنى والإعجاز التشريعي
167	مميزات الإعجاز التشريعي
172	الإعجاز التشريعي في الدراسات الحديثة
193-176	المبحث الثاني: الإعجاز العلمي
177	ما هو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟
181	بذور الإعجاز العلمي في بيان إعجاز القرآن
186	اللفظ والمعنى والإعجاز العلمي
191	الإعجاز العلمي في الدراسات المعاصرة
209-194	المبحث الثالث: الإعجاز النفسي
197	ما هو الإعجاز النفسي في القرآن الكريم؟
198	بين الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي
200	بذور الإعجاز النفسي في بيان إعجاز القرآن
201	اللفظ والمعنى والإعجاز النفسي
204	الإعجاز النفسي في الدراسات المعاصرة

213-210	خاتمة
214	الملاحق
237	الفهارس
238	فهرس الآيات القرآنية
271	فهرس الأشكال
272	فهرس الملاحق
274	فهرس المصادر والمراجع
294	فهرس الموضوعات



ملخص:

كان نزول القرآن الكريم سببا في نشأة علوم كثيرة، وفتح أبواب بحث عديدة، منها البحث في وجوه الإعجاز القرآني، وممن ألفوا في إعجاز القرآن الكريم الإمام الخطّابي، حيث أبرز في رسالته بيان إعجاز القرآن تعدّد أقوال العلماء قبله وتباينها، واختلاف مذاهبهم، فأحصى تلك الوجوه رادّا بعضها، وشارحا البعض الآخر، مبرزاً أكثر هذه الوجوه تداولاً ألا وهو الإعجاز البلاغي، إذ جعل له ركيزة هي اللفظ والمعنى ورباطهما النظم، مقسّماً أجناس الكلام، مبيناً عمود البلاغة القرآنيّة، ذاكراً أهم مميّزات مواضع الألفاظ فيها وهما الخصوصيّة والمشاكلّة.

الكلمات المفتاحية: اللفظ، المعنى، النظم، الإعجاز، الخطّابي.

Summary

The revelation of the Noble Qur'an was a reason for the emergence of many sciences and the opening of several doors of research, including research in the aspects of the Qur'anic miracle. Among those who wrote about the miraculousness of the Noble Qur'an was Imam al-Khattabi. In his letter the statement of the inimitability of the Qur'an, he highlighted the multiplicity of scholars' assertions before him, their contrast, and the difference of their tendencies. So, he assembled these facets, rejecting some of them, and explaining others, highlighting the most frequently used one, which is the rhetorical miraculousness as he supplied a foundation to it, that is the utterance and meaning and their connection – composition- dividing the types of speech; explaining the principle of Quranic rhetorics, mentioning the most important characteristics of utterances' placement within it, namely specificity and problematization.

Keywords: word, meaning, composition, miraculousness, Al Khattabi

Résumé :

La révélation du Noble Coran a été une raison de l'émergence de nombreuses sciences, et l'ouverture de nombreuses portes de recherche, y compris la recherche sur les aspects du miracle coranique. Parmi ceux qui ont écrit sur l'inimitabilité du Noble Coran' était l'Imam al-Khattabi, où il a souligné dans sa lettre la déclaration de l'inimitable du Coran, la multiplicité des paroles des savants avant lui et leurs différences, et la différence de leurs doctrines, alors il a compté ces visages. Il a rejeté quelques-uns et en a expliqué d'autres, en soulignant le plus couramment utilisé de ces visages, qui est le miracle rhétorique, car il en a fait une base d'énoncé et de sens, divisant les genres de discours, clarifiant les piliers de la rhétorique coranique, mentionnant ses caractéristiques les plus importantes qui sont la spécificité et la problématisation.

Mots-clés : mot, sens, composition, miracle, Alkhatabi.